

نفس السعوى

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه ابن القيم

تأليف القاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العادني
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثامن

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٥ - سورة المائدة

(مدنية وآياتها مائة وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

٥ المائدة

(سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الإيفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً بأن يحمل الأمر على معنى يعم الوجوب والندب أمر بذلك أولاً على وجه الإجمال ثم شرع في تفصيل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها وبدى بما يتعلق بضروريات معاشهم فقيل (أحلت لكم بهيمة الأنعام) البهيمة كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخبز وإفرادها لإرادة الجنس أى أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأناب وفائدتها الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين المضافين كأنه قيل أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والنشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن (إلا ما يتلى عليكم) استثناء من بهيمة الأنعام أى إلا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه (غير محلي الصيد) أى الاصطياد في البر أو أكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم إحلالهم له تقرير حرمة عملاً واعتقاداً وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى (وأنتم حرم) أى محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد إحلال بهيمة الأنعام بما ذكر من عدم إحلال الصيد حال الإحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما أن إحلالها غير مطلق كأنه قيل أحل لكم الصيد حال كونكم تمتنعين عنه عند إحرامكم وأما على التقدير الأول ففائدته إتمام النعمة وإظهار الامتنان بإحلالها بتذكير احتياجهم إليه فإن حرمة الصيد في حالة الإحرام من

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
نُ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

٥ المائدة

- مظان حاجتهم إلى إحلال غيره حينئذ كأنه قيل أحلت لكم الأنعام مطلقاً حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الأوقات محتاجين إلى إحلالها وفي إسناده عدم الإحلال إليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بأن يقال غير محلل لكم أو محرماً عليكم الصيد حال إحرامكم من يد تربية للامتنان وتقرير الحاجة ببيان علنها القرية فإن تحريم الصيد عليهم إنما يوجب حاجتهم إلى إحلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملاً واعتقاداً مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم (إن الله يحكم ما يريد) من الأحكام حسبما تقتضيه مشيئة المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولاً أولاً ومعنى الإيفاء بهما الجريان على موجبهما عقداً وعملاً والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحلات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها (يا أيها الذين آمنوا اتحلوا شعائر الله) لما بين حرمته إحلال الإحرام الذي ٢ هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمته إحلال سائر الشعائر وإضافتها إلى الله عز وجل لتشريفها وتمويل الخطب في إحلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعاراً أو علماً للناس من مواقيت الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر وإحلالها أن يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث في أشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل حرمة الله وقيل فرائضه التي حدها العبادة وإحلالها الإخلال بها والأول أنسب بالمقام (ولا الشهر الحرام) أي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسبة والأول هو الأولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الأشهر الأربعة الحرم والأفراد لإرادة الجنس (ولا الهدى) بأن يتعرض له بالغصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ما أهدى إلى الكعبة من إبل أو بقر أو شاء جمع هدية كجدي وجدي (ولا القلائد) هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدى من نعل أو لحاء شجر ليعلم به أنه هدى فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهي البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كأنه قيل والقلائد منه خصوصاً أو النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لأصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلاً عن أن تحلوا كما نهى عن إبداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدن زينتهن مبالغة في النهي عن إبداء مواعفها (ولا آمين البيت الحرام) أي لا تحلوا قوماً قاصدين زيارته بأن تصدوهم عن ذلك بأي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف أي قتال قوم أو أذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالإضافة وقوله تعالى (يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً)

حال من المستمكن في آمين لصفة له لأن المختار أن اسم الفاعل إذا وصف بطل عمله أي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين أن يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفضل أو بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها أي فضلا كأنما من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتشريفهم والإشعار بمحصول مبتغاهم وقرئ: تبتغون على الخطاب فالجمله حينئذ حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على أن المراد بيان مناقاة حالهم هذه للمني عنه لا تقييد المنى بها وإضافة الرب إلى ضمير الآمين للإيماء إلى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل المنى وتأكيده والمبالغة في استنكار المنى عنه مالا يخفى ومن ههنا قيل إن المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب إلى أن الآية محكمة وقد روى أن النبي ﷺ قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا إحلالها وحرموأ حرامها وقال الحسن رحمه الله تعالى ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثمان عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لأنهم المحتاجون إلى نهى المؤمنين عن إحلالهم دون المؤمنين على أن حرمة إحلالهم ثبتت بطريق دلالة النص ويؤيده أن الآية نزلت في الحطيم بن ضبيعة البكري وقد كان أتى المدينة لخلف خيله خارجها فدخل على النبي ﷺ وحده ووعدته أن يأتي بأصحابه فيسلوا ثم خرج من عنده عليه السلام فرسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فسأل المسلمون النبي ﷺ أن يخلى بينهم وبينه فأباه النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل يأياها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بأنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وإن كان بمنزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مداراً للحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلصهم عن المسكاره العاجلة لاسيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يجعل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن المسلمين والمشركين كانوا يجحجون جميعاً فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعاً إما استقلالاً وإما اشتراكاً لما سيأتى من قوله تعالى ولا يجرمكم شأن قوم الخ فيتعين النسخ كلا أو بعضاً ولا بد في الوجه الأخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقبل ابتغاء الفضل أي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز أن يكون الفضل على إطلاقه شاملاً للفضل الأخرى أيضاً ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين (وإذا حللتم فاصطادوا) تصريح بما أشير إليه بقوله تعالى وأنتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والأمر للإباحة بعد الحظر كأنه قيل وإذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ أحللتهم وهو لغة في حلى وقرئ بكسر الفاء بإلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو

- ضعيف جداً (ولا يجرمكم) نهى عن إحلال قوم من الآمين خصوصاً به مع اندراجهم في النهى عن إحلال الكل كافة لاستقلالهم بأمور ربما يتوهم كونها مصححة لإحلالهم داعية إليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدى إلى مفعول واحد وإلى اثنين يقال جرم ذنباً نحو كسبه وجرمته ذنباً نحو كسبته إياه خلا أن جرم يستعمل غالباً في كسب مالا خير فيه وهو السبب في إثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الأول من كل منهما بالهمزة إلى معنى الثاني فيقال أجرمته ذنباً وأكسبته إياه وعليه قراءة من قرأ يجرمكم بضم الياء (شأن قوم) بفتح النون وقرىء بسكونها وكلاهما مصدر أضيف إلى مفعوله لا إلى فاعله كما قيل وهو
- شدة البغض وغاية المقت (أن صدوكم) متعلق بالشأن بإضمار لام العلة أى لأن صدوكم عام الحديبية (عن المسجد الحرام) عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للشركين قطعاً وقرىء إن صدوكم على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمكم قد أبرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبية على أن حقه أن لا يكون وقوعه إلا على سبيل الفرض والتقدير (أن تعتدوا)
- أى عليهم وإنما حذف تعويلاً على ظهوره وإيماء إلى أن المقصد الأصلي من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجرمكم أى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصددهم إياكم عن المسجد الحرام اعتداكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للشأن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكانه في الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على أبلغ وجهه وآكده فإن النهى عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهى إلى المسبب ويراد النهى عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهى عن قوله تعالى وإذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للإيدان بأن حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الإحرام كانهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الأولى (وتعاونوا على البر والتقوى) لما كان الاعتداء غالباً بطريق التظاهر والتعاون أمروا إثر ما نهوا عنه بأن يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدد من التعاون على العفو والإغضاء عما وقع منهم دخولا أو لياً ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه إحدى التامين تخفيفاً وإنما أخر النهى عن الأمر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم أمروا بقوله تعالى (واتقوا الله) بالاتقاء في جميع الأمور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الأمر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى (إن الله شديد العقاب) أى لمن لا يتقبه فيعاقبكم لا محالة إن لم تتقوه وإظهار الاسم الجليل لما مر مراراً من إدخال الروعة وتريية المهابة وتقوية استقلال الجملة.

حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيِّتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ
وَالنَّطِيطَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ
فِسْقُ الْيَوْمِ الْبَاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

ه المائدة

- (حرمت عليكم الميتة) شروع في بيان المحرمات التي أشير إليها بقوله تعالى إلا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير ذبح (والدم) أي المسفوح منه لقوله تعالى أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه
في الأسماء ويشوونونه ويقولون لم يحرم من فزده أي من فسد له (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أي
رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى (والمنخنقة) أي التي ماتت بالخنق (والموقوذة)
أي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته إذا ضربته (والمتردية) أي التي تردت من علو أو إلى
بئر فماتت (والنطيطه) أي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرى. والمنطوحة (وما أكل
السبع) أي وما أكل منه السبع فمات وقرى. بسكون الباء وقرى. وأكيل السبع وفيه دليل على أن جوارح
الصيد إذا أكلت مما صادته لم يحل (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب
المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقة ومو المرى. بمحدد (وما
ذبح على النصب) قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرى. بسكون الصاد وأياما كان فهو واحدا لا نصاب
وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قرينة وقيل هي الأصنام (وأن تستقسموا
بالأزلام) جمع زلم وهو القدح أي وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا
ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فإن
خرج الأمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي اجتنبوا عنه وإن خرج الغافل أجالوها مرة أخرى فعنى
الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالأزلام وقيل هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعهودة
(ذلكم) إشارة إلى الاستقسام بالأزلام ومعنى البعد فيه للإشارة إلى بعد منزلته في الشر (فسق) تمرد
وخروج عن الحدود دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أنه طريق إليه واقتراء على الله سبحانه إن كان
هو المراد بقولهم ربي وشركوهم إنه إن كان هو الصنم وقيل ذلكم إشارة إلى تناول المحرمات المعهودة
لأن معنى تحريمها تحريم تناولها (اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة
الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف
بعرقات على العصابة فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وأياما كان فهو منصوب على أنه ظرف لقوله تعالى
(يئس الذين كفروا من دينكم) أي من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث أو غيرها أو من أن
يغلبوكم عليه لما شاهدوا من أن الله عز وجل وفي بوعده حيث أظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿٥﴾

٥ المائدة

- تعالى (فلا تخشوم) أى أن يظهروا عليكم (واخشون) أى وأخلصوا إلى الخشية (اليوم أكملت لكم دينكم) بالنص والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتماع وتقديم الجار والمجرور للإيدان من أول الأمر بأن الإكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كافي قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وعلينا في قوله تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) متعلق بأنتمت لا بنعمتي لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرات أى أتممتها بفتح مكود دخولها آمين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكتها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان أو بإكمال الدين والشرائع أو بالهداية والتوفيق قيل معنى أتممت عليكم نعمتي أتجزت لكم وعدى بقولى ولا تتم نعمتي عليكم (ورضيت لكم الإسلام ديناً) أى اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير .
- عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقررونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضى الله تعالى عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى أنزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار رضى الله تعالى عنه إلى أن ذلك اليوم عيد لنا . وروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كثرة في زيادة من ديننا فإذا أكمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص فقال عليه الصلاة والسلام صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله ﷺ
- فالأثر بعد ذلك إلا أحداً وثمانين يوماً (فن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب أن يجنب عنه وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة النامة والإسلام المرضى أى فن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أى جماعة يخاف معها الموت أو مباديه (غير متجانف لإثم) قبل غير مائل ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذاً أو مجاوزاً حد الرخصة أو ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذ به بذلك (يسألونك ماذا أحل لهم) شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الإجمال إثريان المحرمات كأنهم سألوا عنها عند بيان أضدادها ولتضمن السؤال معنى القول أو وقع على الجملة فإذا مبدأ وأحل لهم خبره هو ضمير الغيبة لما أن يسألون بلفظ الغيبة فإنه كما يعتبر حال المحسكى عنه فيقال أقسم زيد لا أفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال أقسم زيد ليفعلن والمستول ما أحل لهم من المطاعم (قل أحل لكم الطيبات) أى ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات بتقدير المضاف على أن ما موصولة والعائد محذوف أى وصيد ما علمتموه أو مبتدأ على أن

الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآلِ يَمِينٍ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٥﴾

• المائة

- ماشرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة أيضاً والخبر كلوا وإنما دخلته الفاء تشبيهاً للدخول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول أو ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطيور وقيل سميت بها لأنها تجرح الصيد غالباً (مكبين) أى معللين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب كثير ما يقع فيه أو لأن كل سبع يسمى كلباً لقوله عليه الصلاة والسلام في حق عتبة بن أبي لهب حين أراد سفر الشام فقال النبي ﷺ اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما أن الاسم المكلب لا يقع إلا على التحرير في علمه وقرىء مكبين بالتخفيف والمعنى واحد (تعلمونهم) حال ثانية منه أو حال من ضمير مكبين أو استئناف (بما علمكم الله) من الحيل وطرق التعليم والتأديب فإن العلم به إلهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو بما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد يارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وعدم أكله منه (فكلوا بما أمسكن عليكم) قد مر فيما سبق أن هذه الجملة على تقدير كون ماشرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها وأما على تقدير كونها عطفاً على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلبة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الإحلال حقيقة ومشيرة إلى نتيجة التعليم وأثره داخل تحت الأمر فالفاء فيها كما في قوله [أمرت أن أكل ما أمسكت به] ومن تبعيضية لما أن البعض مما لا يتعلق به الأكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة أو موصوفة حذف عاندها وعلى متعلقة بأمسكن أى فكلوا بعض ما أمسكنه عليكم وهو الذي لم يأكل منه وأما ما أكل منه فهو مما أمسكنه على أنفسهم لقوله ﷺ لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الأكل في سباع الطيور لما أن تأديبها إلى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقاً وقد روى عن سليمان وسعد ابن أبي وقاص وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهم أنه إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم أى سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكنه أى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته (وانقوا الله) في شأن محرماته (إن الله سريع الحساب) أى سريع إتيان حسابه أو سريع تمامه إذا شرع فيه يتم في أقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين أنه يؤخذكم سريعاً في كل ما جل ودق وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم (اليوم أحل

- لكم الطيبات) قيل المراد بالأيام الثلاثة وقت واحد وإنما كرر للتأكيد ولاختلاف الأحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى
- واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعى رضى الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) أى حلال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة رضى الله عنه وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال أصحابه هما صنفان صنف يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة عليهم السلام وصنف لا يقرءون كتاباً ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكح نسائهم ولا آكل ذبائحهم (وطعامكم حل لكم) فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجر ذلك (والمحصنات من المؤمنات) رفع على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه أى حل لكم أيضاً والمراد بهن الحرائر العفاف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الأولى لالتنى ما عداهن فإن نكاح الإمام المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفاف منهن وأما الإماء الكنائيات فهن كالمسلمات عند أبى حنيفة رضى الله عنه خلافاً للشافعى رضى الله عنه (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى من أيضاً حل لكم وإن كن حريات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تحل الحريات (إذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وتقييد الحل بإيتائهن التأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائهن التزامها وإذا ظرفية فاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها أى إذا آتيتموهن أجورهن حلن لكم (محصنين) حال من فاعل آتيتموهن أى حال كونكم أعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى (غير مسالحين) وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين أى غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذى أخدان) أى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى وهو إما مجرور عطفاً على مسالحين وزيدت لا لتأكيد التنى المستفاد من غير أو منصوب عطفاً على غير مسالحين باعتبار أوجه الثلاثة (ومن يكفر بالإيمان) أى ومن ينكر شرائع الإسلام التى من جملتها ما بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمه ويمتنع عن قبولها (فقد حبط عمله) الصالح الذى عمله قبل ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور أى خاسرة فى الآخرة وقيل بالخاسرين على أن الألف واللام للتعريف لا موصولة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيره كفى قوله [ريته حتى إذا تممدا] * كان جزائى بالعصا أن أجلدا] .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

ه المائدة

(بأيها الذين آمنوا) شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم (إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازاً للإيجاز والتنبيه على أن من أراد الصلاة حقه أن يبادر إليها بحيث لا ينفك عن إرادتها أو إذا قصدتم الصلاة إطلاقاً لاسم أحد لازمها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إليها وإن لم يكن محدثاً لما أن الأمر للوجوب قطعاً والإجماع على خلافه وقد روى أن النبي ﷺ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عليه الصلاة والسلام عمداً فعلته يا عمر يعني بياناً للجواز وحمل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه أن الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي ﷺ والخلفاء من أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب أصلاً كيف لا وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في أن ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ يردده قوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حللها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أي أسروا عليها الماء ولا حاجة إلى الدلك خلافاً لما لك (وأيديكم إلى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل هي إنما تفيد معنى الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى فنظرة إلى ميسرة فإن الدخول في الأول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطاً وقيل إلى من حيث إفادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب إدخالها احتياطاً (وامسحوا برؤوسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعض فإنه الفارق بين قولك مسحتم المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه أنها تدل على تضمين الفعل معنى الاصاق فكانه قيل وأمسحوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما قيل وامسحوا برؤوسكم فإنه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما ينطلق عليه الاسم أخذاً باليقين وأبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ حيث مسح على ناصيته وقدرها

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

٥ المائدة

- ربع الرأس ومالك مسح الكل أخذاً بالاحتياط (وأرجلكم إلى الكعبين) بالنصب عطفًا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يعهد محدوداً وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم أليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وقائده التنبية على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها بغسلاً قريباً من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء إلى أفضلية الترتيب وقرئ بالرفع أى وأرجلكم مغسولة (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا أى فطهروا أبدانكم وفي تعليق الأمر بالطهارة الكبرى بالحدث الأكبر إشارة إلى اشتراط الأمر بالطهارة الصغرى بالحدث الأصغر (وإن كنتم مرضى) مرضاً يخاف به الهلاك أو ازباده باستعمال الماء (أو على سفر) أى مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) من لا ابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيداً وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعاً في سورة النساء فليرجع إليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في أنواع الطهارة (ما يريد الله) أى ما يريد بالأمر بالطهارة للصلاة أو بالأمر بالتيمم (ليجعل عليكم من حرج) من ضيق في الامتثال به (ولكن يريد) ما يريد بذلك (ليطهركم) أى لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء مكفر لها أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء ففعل يريد في الموضعين محذوف واللام للعلّة وقيل مزبدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخّص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم) بشره ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم (نعمة عليكم) في الدين أو ليتم برخصة إنعامه عليكم بموائمه (لعلكم تشكرون) نعمته ومن لطائف الآية الكريمة أنها مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وباعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهماء مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيع للعدول إلى البدل مرض وسفر وأن الموعد عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به) أى عهده المؤكد الذي أخذه عليكم وقوله تعالى (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) ظرف لواثقكم به أو لمحذوف وقع حالاً من الضمير المجرور في به أو من ميثاقه أى كانتا وقت قولكم سمعنا وأطعنا وقائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكر قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان وإضافته إليه تعالى مع صدوره عنه عليه الصلاة والسلام لكون المرجع إليه كما نطق به قوله تعالى إن

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

• المائة

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

• المائة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

• المائة

الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده حين آخرجه

● من صلب آدم عليه السلام (واتقوا الله) أى فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه أو فى كل ما تأتون وما تذكرون

● فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً (إن الله عليم بذات الصدور) أى بخفياتها الملازمة لها ملازمة تامة مصححة

● لإطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فاطنكم بجليات الأعمال والجملة اعتراض تذييل وتعليل للأمر

● بالإتقاء وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لثبوت المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة (بأيها

● الذين آمنوا) شروع فى بيان الشرائع المتعلقة بما يجرى بينهم وبين غيرهم إثريان ما يتعلق بأنفسهم (كونوا

● قوامين لله) مقيمين لأوامره ممثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شهداء بالقسط) أى بالعدل (ولا

● يجرمنكم) أى لا يحملنكم (شأن قوم) أى شدة بغضكم لهم (على أن لا تعدلوا) فلا تشهدوا فى حقوقهم

● بالعدل أو فتعدوا عليهم بار تكاب مالا يحمل كثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً وغير

● ذلك (اعدلوا هو) أى العدل (أقرب للتقوى) الذى أمرتم به صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه

● بمكان من التقوى بعد ما نهام عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان وجوب العدل فى حق الكفار

● بهذه المثابة فاطنكم بوجوبه فى حق المسلمين (واتقوا الله) أمر بالتقوى إثر ما بين أن العدل أقرب له

● اعتناء بشأنه وتنبيهاً على أنه ملاك الأمر (إن الله خبير بما تعملون) من الأعمال فيجازيكم بذلك وتكرير

● هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأول نزل فى المشركين وهذا فى اليهود أو لمزيد الاهتمام

● بالعدل والمبالغة فى إطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها وإظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان

● مضمونها منبئاً عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقبل

● (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التى من جملتها العدل والتقوى (لهم مغفرة وأجر عظيم) حذف

● ثانى مفعولى وعد استغناء عنه بهذه الجملة فإنه استئناف مبين له وقيل الجملة فى موقع المفعول فإن الوعد

● ضرب من القول فكأنه قيل وعدم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها ما تليت

● من النصوص الناطقة بالأمر بالعدل والتقوى (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب

● الآيات (أصحاب الجحيم) ملابسوها ملازمة مؤبدة . من السنة السنينة القرآنية شفع الوعد بالوعد والجمع

بين الترغيب والترهيب إيفاء لحق الدعوة بالنبشير والإنذار .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥ المائدة

- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) تذكير لنعمة الإنجاء من الشر إثر تذكير نعمة إبطال الخير ١١ الذي هو نعمة الإسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله أو بمحذوف وقع حالاً منها وقوله تعالى (إذ هم قوم) على الأول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل إلى كونه ظرفاً ● لاذكروا للتأني زمانياً أي اذكروا إنعامه تعالى عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت مهم (أن يسطوا إليكم أيديهم) أي بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حملاً لهم من أول الأمر على الاعتداد بنعمة دفعه كما أن تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الأرض للبيان إلى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلاً للبصرة (فكف أيديهم ● عنكم) عطف على (هم) وهو النعمة التي أريد تذكيرها وذكر أكرم للإبذان بوقوعها عند مزيد الحاجة إليها والفاء للتعقيب المفيد لتام النعمة وكما لها وإظهار أيديهم في موقع الإضمار لزيادة التقرير أي منع أيديهم أن تمد إليكم عقيب مهمم بذلك لأنه كفها عنكم بعد مامدوها إليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث أنها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أنمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه الصلاة والسلام قاموا إلى الظهر معاً فلما صلوا ندم المشركون ألا كانوا قد أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف وقبل هو ما روى أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ بحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى راحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج عليه الصلاة والسلام وقبل هو ما روى أنه ﷺ نزل منزلاً وتفرق أصحابه في العشاء يستظلون بها فعلق رسول الله ﷺ سيفه بشجرة فجاء أعرابي فأخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال ﷺ الله تعالى فأسقطه جبريل عليه السلام من يده فأخذه الرسول ﷺ فقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (واتقوا الله) عطف على اذكروا أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ● ولا تخلوا بشكرها أو في كل ماتاتون وما تذكرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً (وعلى الله) أي عليه ● تعالى خاصة دون غيره استقلالاً واشتراكاً (فليتوكل المؤمنون) فإنه يكفيهم في إبطال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين لإيجاب التوكل على

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ مَوْتِي وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

• المائدة

المخاطبين بالطريق البرهاني وللإيذان بأن ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الإيمان داع إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى وازع عن الإخلال بهما وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتعليل الحكم ١٢ وتقوية استقلال الجملة التذييلية (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما أدى إليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي وانقهم به وتحذيرهم من نقضه أول تقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان أن الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من أسلافهم وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقويم الميثاق وتهويل الخطاب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تعالى (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) للجرى على سنن الكبرياء أو لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التنقيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتنقيشه عن أحوال القوم وأسرارهم. قال الزجاج وأصله من النقب وهو الثقب الواسع. روى أن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون أمرهم الله عز وجل بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إني كتبته لكم داراً وقراراً فخرجوا إليها واجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثق عليهم فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل إليهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهام موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط إفرائيم بن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام قبل لما توجه النقباء إلى أرضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فأخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته وقال انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال ألا أطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عندهم إلا خمسة رجال أو أربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه

- إلا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فكشوا عهدهم وجعل كل منهم ينيى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا كآب ويوشع وكان معسكر موسى فرمخاً في فرسخ فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم رجع إلى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة أذرع فما أصاب العصا إلا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه (وقال الله) أى لبني إسرائيل فقط إذ هم المحتاجون إلى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبغي عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيده ما يتضمنه الكلام من الوعد (إني معكم) أى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فإن تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته بما يحملهم على الجد في الامتثال بما أمروا به والانتفاء عما نهوا عنه كأنه قيل إني معكم أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائمكم فأجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالإيمان والتوحيد بالنباء ملوك بني إسرائيل الذين ينقبون أحوالهم ويلون أمورهم بالأمر والنهي وإقامة العدل وهو الأنسب بقوله تعالى (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي) أى بجميعهم واللام موطنه للقسم المحذوف وتأخير الإيمان عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما أنهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام والمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى (وعزرتهم) أى نصرتمهم وقويتهم وأصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرىء وعزرتهم بالتخفيف (وأقرضتم الله) بالإنفاق في سبيل الخير أو بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى (قرضاً حسناً) إما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً أو مفعول ثان لأقرضتم على أنه اسم للمال المقرض وقوله تعالى (لا تكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول أيضاً ضرورة تقدم التخلية على التحلية (فن كفر) أى برسلي أو بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب (بعد ذلك) الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للإيمان قطعاً (منكم) متعلق بمضمر وقع حالاً من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وإن كفرتم عطفاً على الشرطية السابقة لإخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال وإسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد إحداث الكفر بعد الإيمان بل ما يعم الاستمرار عليه أيضاً كأنه قيل فن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا أنه قصد بإيراد ما يدل على الحدوث بيان ترقبهم في مراتب الكفر فإن الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث (فقد ضل سواء السبيل) أى وسط الطريق الواضح ضلالاً بيناً وأخطأه خطأ فاحشاً لا عذر معه أصلاً بخلاف من كفر قبل ذلك إذ ربما يمكن أن

فَمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ه المائدة

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَآغَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ه المائدة

- ١٣ يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فما نقضهم ميثاقهم) الباء سببية وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس أى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالاً أو انضماماً (للعنهم) طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير أو أذلناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع أن حقه أن يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بأن يقال مثلاً فنقضوا ميثاقهم فلنعناهم ضرورة تقدم هيئة الشيء البسيطة على هيئته المركبة للإبذان بأن تحققهما أمر جلي غنى عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية (وجعلنا قلوبهم قاسية) بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وقيل أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست أو خذلناهم ومنعناهم اللطاف حتى صارت كذلك وقرىء قسية وهى إما مبالغة قاسية وإما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى أى ردىء إذا كان مغشوشاً له يبدس وخشونة وقرىء بكسر القاف اتباعاً لها بالسین (يحرّفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما يصحح الاجترار على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم (ونسوا حظاً) أى تركوا انصياباً وأفرا (بما ذكروا به) من التوراة أو من اتباع محمد ﷺ وقيل حرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أى خيانة على أنها مصدر كلاغية وكاذبة أو فعلة خائنة أى ذات خيانة أو طائفة خائنة أو شخص خائنة على أن التاء للبالغه أو نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا أن من على الوجهين الأولين ابتدائية أى على خيانة أو على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى أن الغدر والحياة عادة مستمرة لهم ولا سلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم (إلا قليلاً منهم) استثناء من الضمير المجرور فى منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الأخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثانى فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر أى إلا فعلاً قليلاً كائناً منهم (فاعف عنهم واصفح) أى إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (إن الله يحب المحسنين) تعليل للأمر وحث على الامتثال به وتنبيه على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان (ومن الذين قالوا إنا

يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

٥ المائدة

نصارى (أخذنا ميثاقهم) بيان لقبائح النصارى وجناباتهم إثر بيان قبائح اليهود وخياناتهم ومن متعلقة بأخذنا إذ التقدير وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولأن ذكر حال إحدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع أن حال الأخرى ماذا فكأنه قيل ومن الطائفة الأخرى أيضاً أخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدأ محذوف قامت صفته أو صلته مقامه أى ومنهم قوم أخذنا ميثاقهم أو من أخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع إلى الموصوف المقدر وأما في الوجه الأول فراجع إلى الموصول وقيل راجع إلى بنى إسرائيل أى أخذنا من هؤلاء ميثاق أولئك أى مثل ميثاقهم من الإيمان بالله والرسول وبما يتفرع على ذلك من أفعال الخير وإنما نسب تسميتهم نصارى إلى أنفسهم دون أن يقال ومن النصارى إيداناً بأنهم في قولهم نحن أنصار الله بمعزل من الصدق وإنما هو تقول محض منهم وليسوا من نصره الله تعالى في شيء أو إظهار الكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم فإن ادعاهم لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه (فنسوا) عقيب أخذ الميثاق من غير تلعم (حظاً) وافرأ (ما ذكروا به) في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفاً وقيل هو ما كتب عليهم في الإنجيل من أن يؤمنوا بمحمد ﷺ فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصار الشيطان (فأغرينا) أى ألزمتنا وألصقنا من غرى بالشئ إذا ألزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى (بينهم) إما ظرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أى أغرينا (العداوة والبغضاء) كاتنة بينهم ولا سبيل إلى جعله ظرفاً لها لأن المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى (إلى يوم القيامة) إما غاية للإغراء أو للعداوة والبغضاء أى بتعادون ويتباغضون إلى يوم القيامة حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائفة المؤدية إلى التفرق إلى الفرق الثلاث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم لليهود أى أغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى (وسوف يذنبهم الله بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد به سأخبرك بما فعلت أى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر بما ذكروا به وسوف لنأكيد الوعيد والانتفات إلى ذكر الاسم الجليل لثرية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للإيدان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبيه للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها (يأهل الكتاب) التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل ١٥ للتوراة والإنجيل إثر بيان أحوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

ه المائدة

- وللبالغة في التشنيع فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام
- وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون (قد جاءكم رسولنا) الإضافة للتحريف والإيدان
- بوجوب اتباعه وقوله تعالى (يبين لكم) حال من رسولنا وإيثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على
- تجدد البيان أى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبيناً لكم على التدرج حسبما تقتضيه المصلحة (كثيراً عما
- كتم تخفون من الكتاب) أى التوراة والإنجيل كبعثة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى
- بأحمد عليهما السلام في الإنجيل وتأخير كثير عن الجار والمجرور لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدم
- لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر لأن ماحقه التقديم إذا أخر لاسيما مع الإشعار بكونه من
- منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها إذا ورد فضل تمكن ولأن في المؤخر
- ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب أطراف النظم الكريم فإن مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيراً
- ومما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد إليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد
- المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والإخفاء أى يبين لكم
- كثير من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذى أتم أهله والمتمسكون به (ويعفو عن
- كثير) أى ولا يظهر كثير مما تخفونه إذا لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح
- عنه التعبير عن عدم الإظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الإخفاء ترغيباً وترهيباً والجملة معطوفة على الجملة
- الحالية داخلية في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذوه وقوله تعالى (قد جاءكم من الله نور) جملة
- مستأنفة مسوقة لبيان أن فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له
- منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لا ابتداء للغاية مجازاً أو بمحذوف وقع حالا من نور وأياً ما كان
- فهو تصريح بما يشعر به إضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
- للمسارعة إلى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق إلى الجأى ولأن فيه نوع تطويل يخل تقديمه
- بتجاوب أطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
- وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى (وكتاب مبين) القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك
- والشك وإبانة ما خفي على الناس من الحق والإعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة
- بالذات وقيل المراد بالأول هو الرسول ﷺ وبالثانى القرآن (يهدى به الله) توحيد الضمير المجرور
- لا اتحاد المرجع بالذات أو لكونهما في حكم الواحد أو أريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
- للاهتمام وإظهار الجلالة لإظهار كمال الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة الرفع على أنها صفة ثانية لكتاب
- أو النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة (من اتبع رضوانه) أى رضاه بالإيمان به ومن موصولة أو

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

٥ المائدة

- موصوفة (سبل السلام) أى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب أو سبل الله تعالى وهى شريعته التى شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان ليهدى والحق أن انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وإنما يعدى إلى الثانى يلى أو باللام كما فى قوله تعالى إن هذا القرآن يهذى إلى هى أقوم (ويخرجهم) الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى اتباع باعتبار اللفظ (من الظلمات) أى ظلمات فنون الكفر والضلال (إلى النور) إلى الإيمان (بإذنه) بتيسيره أو بإرادته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطفت عليها تنزيلا للتفاير الوصفى منزلة التفاير الذاتى كما فى قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) أى لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل فى بدن إنسان معين أو فى روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى موجود فلزمهم القول بأنه المسيح لا غير وقيل لما زعموا أن فيه لاهوتاً قالوا لا إله إلا واحد لزعمهم أن يكون هو المسيح فذهب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفصيلاً لمعتقدم (قل) أى تبكيتاً لهم وإظهاراً لبطلان قولهم الفاسد وإقاماً لهم الحجر والفاء فى قوله تعالى (فمن يملك من الله شيئاً) فصيحة ومن استفهامية للإنكار والنوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف أى إن كان الأمر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وإرادته شيئاً وحقيقته فمن يستطيع أن يمسك شيئاً منهما (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً) ومن حق من يكون إلهاً أن لا يتعلق به ولا بشأن من شئونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلاً عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل عما تقولوا فى حقه والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقاً لا بطريق السخط والغضب وإظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا إليه الألوهية فى مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام الإنكارى عن كل أحد مع تحقق الإلزام والتبكيك بنفيها عن المسيح فقط بأن يقال فهل يملك شيئاً من الله إن أراد الخ لتحقيق الحق بنفى الألوهية عن كل ما عداه سبحانه وإثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فإن انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة إلى الكل ظهر بالنسبة إلى المسيح على أبلغ وجه وآكده فيظهر استحالة ألوهيته قطعاً وتعميم إرادة الإهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقهرها عليه بأن يقال فمن يملك من الله شيئاً إن

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

ه المائدة

أراد أن يهلك المسيح لنهويل الخطب وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر أحد على دفع ما يريد به فضلاً عن دفع ما يريد بغيره والإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه أسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية وتخصيص أمه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الأرض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لنا كيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجاً لحال بقية من فرض إهلاكها كأنه قيل قل فمن يهلك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض وقد أهلك أمه فهل مانعه أحد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أى ما بين قطرى العالم الجسماني لا بين وجه الأرض ومقر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة عليهم السلام وما في أعماق الأرض والبحار من المخلوقات تنصب على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته إثر الإشارة إلى كون البعض أى من في الأرض كذلك أى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والنصرف المطلق فيها لإيجاد أو إعداماً وإحياء وإماتة لا لأحد سواه استقلالاً ولا اشتراكاً فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر بيان انتفاءها عن كل ما سواه وقوله تعالى (يخلق ما يشاء) جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراه من الشبهة في أمر المسيح لولادته من غير أب وخلق الطير وإحياء الموتى وإبراء الآكهم والأبرص أى يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد على أن مانكرة وصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والأرض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسها إما من ذكر وحده كخلق حواء أو أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وإحياء الموتى وإبراء الآكهم والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب كله إليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء قدير) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) ١٨ حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن أحدهما وبيان بطلانها أى قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزيز وقالت النصارى نحن أشياع ابنه المسيح كما قيل لأشباع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن

يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

٥ المائدة

- عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف نخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وقيل إن النصارى يتلون فى الإنجيل أن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأيسكم وقيل أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا فى الحنو والعطف ونحن كالأبناء له فى القرب والمنزلة وبالجملة أنهم كانوا يدعون أن لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله ﷺ (قل) إلزاماً لهم وتبكيئاً (فلم يعذبكم بذنوبكم) أى إن صح ما زعمتم فلاى شيء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والأسر والمسوخ وقد عرفتم بأنه تعالى سيعذبكم فى الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ماصدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى (بل أنتم بشر) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى لستم كذلك بل أنتم بشر (من خلق) أى من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم (والله ملك السموات والأرض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى إليه سبحانه شيء منها إلا بالملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء إجماداً أو إعداءاً وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً فأتى لهم ادعاء ما زعموا (ولإليه المصير) فى الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يشينه ولا عاطف يلويه (يا أهل الكتاب) تكرير للخطاب ١٩ بطريق الالتفات ولطف فى الدعوة (قد جاءكم رسولنا يبين لكم) حال من رسولنا وإثاره على ميثناً لما مرفياً سبق أى يبين لكم الشرائع والأحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين فى الآيات السابقة من بطلان أقوالكم الشنعاء وما سياتى من أخبار الأمم السالفة وإنما حذف تعويلاً على ظهور أن مجىء الرسول إنما هو لبيانها أو يفعل لكم البيان ويذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه إلى البيان من أمور الدين وأما تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى كثيراً مما كنتم تحفون من الكتاب كما قيل فع كونه تكريراً من غير فائدة يرده قوله عز وجل (على فترة من الرسل) فإن فتور الإرسال وانقطاع الوحي إنما يحوج إلى بيان الشرائع والأحكام لا إلى بيان ما كنتموه وعلى فترة متعلق بجاهكم على الظرفية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أى جاءكم على حين فتور الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيداً احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين أو من ضمير لكم أى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أى كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى (أن تقولوا) تعليل لمجىء الرسول بالبيان على حذف المضاف أى كراهة أن تقولوا معتردين عن تفریطكم فى مراعاة أحكام الدين (ما جاءنا من بشير ولا

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَتَتْكُمْ مَالًا يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

ه المائدة

- نذير) وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها وزيادة من في الفاعل للبالغة في نفي
الحجى وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضى أن المقدر أو المنوى فيما سبق هو الشرائع
والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير)
متعلق بمحذوف ينبي عنه الفاء الفصيحة وتبين أنه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم أى لا تعتذروا
بذلك فقد جاءكم بشير أى بشير ونذير أى نذير (والله على كل شىء قدير) فيقدر على الإرسال تترى كإفعله
بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما ألف وسبعمئة سنة وألف نبي وعلى الإرسال بعد الفترة
كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام حيث كان بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون
سنة أو خمسمائة وست وأربعون سنة وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من نبي إسرائيل وواحد من
العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى عليه السلام إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما
في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث إليهم عند كمال حاجتهم إليه
بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب إلى
الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبيههم من غفلتهم (وإذ قال موسى لقومه)
جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه
بما قبله من حيث إن ما ذكر فيه من الأمور التي وصف النبي ﷺ ببيانها ومن حيث اشتاله على انتفاء فترة
الرسال فيها بينهم وإذ نصب على أنه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي ﷺ بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن
أهل الكتاب ليعدد عليهم ماصدر عن بعضهم من الجنايات أى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحاً
لهم ومستميلاً لهم بإضافتهم إليه (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر
الوقت لإيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلاً فإذا استحضرت
كان ما وقع فيه حاضراً بتفاصيله كأنه مشاهد عياناً وعليكم متعلق بنفس النعمة إذا جعلت مصدراً
وبمحذوف وقع حالا منها إذا جعلت اسماً أى اذكروا الإنعامه عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا
إذنى قوله تعالى (إذ جعل فيكم أنبياء) أى اذكروا لإنعامه تعالى عليكم في وقت جعله أو اذكروا نعمته
تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من أقر بائكم أنبياء ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير حيث
لم يبعث من أمة من الأمم ما بعث من نبي إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكاً) عطف على جعل فيكم
داخل في حكمه أى جعل فيكم أو منكم ملوكاً كثيرة فإنه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثراً لا يمحى وإنما حذف
الظرف تعويلاً على ظهور الأمر أو جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكاً لما أن أقارب الملوك يقولون

يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾

• المائدة

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا فَاتِنَا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾

• المائدة

- عند المفارقة نحن الملوك وإنما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما أن منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق أن ينسب إليه ولو مجازاً من ليس بمن اصطفاه الله تعالى له وقيل كانوا ملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى فسمى إنقاذهم ملكاً وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق (وآناكم مالم يوث أحد من العالمين) من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الأمور العظام والمراد بالعالمين الأمم الخالية إلى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) كرر النداء بالإضافة التشريفية اهتماماً بشأن الأمر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والأرض هي أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي الشام (التي كتب الله لكم) أي كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكناً لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فإنها محبة عليهم وقوله تعالى (ولا تترددوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) فإن ترتب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان والطاعة قطعاً أي لا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تترددوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا أحوالهم من النقباء بكوا وقالوا ياليتنا متنا بمصر تملأنا نجعل لنا رأساً ينصرف بنا إلى مصر أولاً ولا تترددوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله فتنقلبوا إما مجزوم عطفاً على تترددوا أو منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم (قالوا) ٢٢ استئناف مبنى نشأ من مساق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا بمقابلة أمره عليه السلام ونهيه فقبل قالوا غير ممثلين بذلك (ياموسى إن فيها قوماً جبارين) متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاقى الذى يجبر الناس ويقسرم كائناً من كان على ما يريد كائناً ما كان فعال من جبره على الأمر أى أجبره عليه (وإننا لنَدْخُلُهَا حتى يخرجوا منها) من غير صنع من قبلنا فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها (فإن يخرجوا منها) بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها (فإننا داخلون) حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوماً مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحاً بالمقصود وتنصيهاً على أن امتناعهم من دخولها ليس إلا لمكانهم فيها وأتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ
وَعَلَى اللَّهِ فِتْنُوكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

• المائة

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾

• المائة

- ٢٣ الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة وإظهار الكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالأمر (قال رجلان) استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم البعض فقيل قال رجلان (من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود وفيه تعريض بأن من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو أي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة أسلميا وسارا إلى موسى عليه السلام قالوا حينئذ لبني إسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة وإليهم يعود العائد المحذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول أي المخوفين وعلى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير أو يخوفهم الوعيد (أنعم الله عليهما) أي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شئونه تعالى والثقة بوعده أو بالإيمان وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون أو من رجلان لتخصصه بالصفة أي قالا مخاطبين لهم ومشجعين (ادخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي باغتوهم وضاعطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجردوا للحرب بجالا (فإذا دخلتموه) أي باب بلدهم وهم فيه (فإنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فإننا قد رأيناهم وشاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوم واهجموا عليهم في المضايق فإنهم لا يقدرين فيها على الكر والفرو وقيل إنما حكى بالغلبة لما علمها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم أو لما علمنا من سنته تعالى في نصرته رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه والأول أنسب بتعليق الغلبة بالدخول (وعلى الله) تعالى خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله العزيز القدير (إن كنتم مؤمنين) أي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا) استئناف كما سبق أي قالوا غير مبالين بهما وبمقاتلتهما مخاطبين لموسى عليه السلام
- ٢٤ إظهار الإصرارهم على القول الأول وقصريهما بمخالفتهم له عليه السلام (ياموسى إنا لن ندخلها) أي أرض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم (أبدا) أي دهر أطويلا (ماداموا فيها) أي في أرضهم وهو بدل من أبدأبدل البعض أو عطف بيان (فاذهب) الفاء فصيحة أي فإذا كان الأمر كذلك فاذهب

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ هـ المائدة

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ هـ المائدة

- (أنت وربك فقاتلا) أى فقاتلناهم إنما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبغي عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل أراد والإرادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيئني كأنهم قالوا فأريدا قتلهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب أنت وربك يعنيك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كأنهم لم يحزموا بذهابهم أو لم يعباوا بقتلهم وقوله تعالى (إننا همنا قاعدون) يؤيد الوجه الأول وأرادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر
- (قال) عليه السلام لما رأى منهم مارأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى مع ٢٥ رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزى النصرة (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) عطف على نفسى وقيل على الضمير فى إنى على معنى إنى لا أملك إلا نفسى وإن أخى لا يملك إلا نفسه وقيل على الضمير فى لا أملك للفصل (فافرق بيننا) يريد نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق أو الدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك المصيرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتباعد بيننا وبينهم وتخليصنا من محبتهم (قال فإنها) أى الأرض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها ٢٦ على ما قبلها من الدعاء (محرمه عليهم) تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة بالإيمان والجهاد وحيث نكصوا على أديبارهم حرّموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى (أربعين سنة) إن جعل ظرفا لمحرمه يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم أنه لا يدخلها أحد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم من بقى حسبما روى أن موسى عليه السلام سار بمن بقى من بنى إسرائيل إلى أريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد من قال إن دخلها أبدا وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشى من ذرياتهم فالوقت بالأربعين فى الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وإنما جعل تحريمها عليهم لما بينهم من العلاقة التامة المتأخفة للاتحاد وقوله تعالى (يتيهون فى الأرض) أى يتحيرون فى البرية استئشاف لبيان كيفية حرمانهم أو حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق يتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة ألف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ أو تسعة فراسخ فى ثلاثين فرسخا وقيل فى ستة فراسخ فى اثني عشر فرسخا روى أنهم كانوا كل يوم يسرون جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا وكان القيام يظلمهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضىء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الإنعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

هـ المائة

- كان ذلك لها روحا وسلامة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروى أن هرون مات في
التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده ظاهر النظم
الكريم فإنه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجى بعض المدعو عليهم
أو ذرارهم ويقدر وفاتهم في محل العقوبة ظاهراً وإن كان ذلك لها منزل روح وراحة وقد قيل إنهما
لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بأنهما كانا معهم فيه فقد فسر
الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق (فلا تأس) فلا تحزن (على القوم الفاسقين) روى
أنه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقبل لا تندم ولا تحزن فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم (وأتل عليهم)
عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى وإذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث إنه تمهيد لما سيأتى من جنائيات
بنى إسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات (نبأ ابنى آدم) هما
قاييل وهاييل . ونقل عن الحسن والضحاك أنهما رجلان من بنى إسرائيل بقريضة آخر القصة وليس
كذلك أوحى الله عز وجل إلى آدم أن يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قاييل أجهل واسمها
أفلييا لحسد عليها أخاه وسخط وزعم أن ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال
لها عليهما السلام قربا قربانا فن أيكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هاييل فأكلته ولم تعرض
لقربان قاييل فازداد قاييل حسداً وسخطاً وفعل ما فعل (بالحق) متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر
محذوف أى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو حالا من فاعل اتل أو من مفعوله أى ملتبسا أنت أو نبأهما
بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الأولين (إذ قربا قربانا) منصوب بالنبا ظرف له أى اتل قصتهما
ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف أى اتل عليهما نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه
بأن إذ لا يضاف إليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من نسك أو
صدقة كالحلوان اسم لما يحلى أى يعطى وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر وقيل تقديره إذ قرب كل
منهما قربانا (فتقبل من أحدهما) هو هاييل قبل كان هو صاحب زرع وقرب جملاً سميئاً فنزلت نار
فأكلته (ولم يتقبل من الآخر) هو قاييل قبل كان هو صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده من القمح فلم
تعرض له النار أصلاً (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا قال من لم
يتقبل قربانه فقبل قال لأخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل (لأقتلنك)
أى والله لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة (قال) استئناف كما قبله أى قال الذى تقبل قربانه لما
رأى أن حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه (إنما يتقبل الله) أى القربان (من المتقين)
لا من غيرهم وإنما تقبل قربانى ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أى إنما أثبت من قبل نفسك لا من

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ المائدة
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ المائدة

قبل فلم تقتلني خلا أنه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذراً من تهيج غضبه وحمل له على التقوى والإفلاع عما نواه ولذلك أسند الفعل إلى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ٢٨ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) حيث صدر الشرطية باللام المؤنثة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإبداناً من أول الأمر برجوع ضرر البسط وغائلته إليه ولم يجعل جواب القسم السامد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للبالغة في إظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وفوله وما هم بخارجين منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده أي والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات ثم علل ذلك بقوله (إني أخاف الله رب العالمين) وفيه من إرشاد قاييل إلى خشية الله تعالى على أبلغ وجه وآكده مالا يخفى كأنه قال إني أخافه تعالى إن بسطت يدي إليك لأقتلك أن يعاقبني وإن كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فإظنك بحالك وأنت البادي العادي وفي وصفه تعالى ربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هاويل أقوى منه ولكن تخرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لأن القتل للدفع لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تحريماً لما هو الأفضل حسبما قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى إلا أن يدعى أن ترك الأولى عنده بمنزلة المعصية في استنباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) تعليل آخر لا متناعه عن المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما ٢٩ أن الأول باعث متقدم عليه وإنما لم يعطف عليه تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى إني أريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمى أي بمثل إثمى لو بسطت يدي إليك وإثمك ببسط يدك إلى كما في قوله عليه السلام المستبان ما قالاً فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم أي على البادي عين إثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سبباً له وقيل معنى بإثمى إثم قتلي ومعنى بإثمك الذي لا أجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية أي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته بالإثم لا ملابسة أخيه له وقيل المراد بالإثم عقوبته ولا ريب في جواز إرادة عقوبة العاصي ممن علم أنه لا يرعوى عن المعصية أصلاً ويأباه قوله تعالى (فتكون من أصحاب النار) فإن كونه ٢٨ منهم إنما يترتب على رجوعه بالإثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها

• المائدة

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَتْلُو بِلَتَى أُعْجِزْتُ أَنْ

• المائدة

أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أُخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

- العقوبة النارية يرده قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) فإنه صريح في أن كونه من أصحاب النار تمام العقوبة وكألفها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب أخرى فما أورثه ذلك إلا الإصرار على الغي والانهماك في الفساد
- ٣٠ (فطوَّعت له نفسه قتل أخيه) أى وسعته وسهله من طاع له المرتع إذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هاييل مع تحقيقه قبلها أيضاً كما يفصح عنه قوله لا قتلنك لما أن بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعى القوية وإن كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ أولاً لأن هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على ترده في قدرته على القتل لما أنه كان أقوى منه وإنما حصلت بعد وقوفه على استسلام هاييل وعدم معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرىء فطاوَّعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعى نفسه إلى الإقدام عليه فطاوَّعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله) قيل لم يدر قايل كيف يقتل هاييل فتمثل إبليس وأخذ طائراً ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هاييل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهايل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبه حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به تخاف عليه السباع فعمله في جراب على ظهره أربعين يوماً وقيل سنة حتى أرواح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتأكله (فأصبح من الخاسرين) ديناً ودنياً (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يورى سواء أخيه) روى أنه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فخر له بمنقاره ورجليه حفرة فالتقاء فيهما والمستكن في يريه الله تعالى أو للغراب واللام على الأول متعلقة ببعث حتماً وعلى الثاني بيبعث ويجوز تعلقها بيبعث أيضاً وكيف حال من ضمير يورى والجملة ثانياً مفعولى يرى والمراد بسواء أخيه جسده الميت (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال (يا ويلتى) هى كلمة جزع وتحسر والآلف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا أوانك والويل والويله الهلكة (أعجزت أن أكون) أى عن أن أكون (مثل هذا الغراب فأورى سواء أخى) تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب وقوله تعالى فأورى بالنصب عطف على أن أكون وقرىء بالرفع أى فأننا أورى (فأصبح من النادمين) أى على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته مدة طويلة . روى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

٥ المائدة

ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قاييل هاييل هرب إلى عدن من أرض اليمن فأناه إبليس فقال له إنما أكلت النار قربان هاييل لأنه كان يخدمها ويعبدها فإن عبدتها أيضاً حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو أول من عبد النار (من أجل ٣٢ ذلك) شروع فيما هو المقصود من تلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنایات بنی اسرائیل ومعاصيهم وذلك إشارة إلى عظم شأن القتل وإفراط قبحة المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هاييل له وكال اجتنابه عن مباشرته وإن كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لأن يقتل خوفاً من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لإثم المقتول ومن كون قاييل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والأجل في الأصل مصدر أجل شراً إذا جنأه استعمال في تعليل الجنایات كما في قولهم من جراك فعلته أي من أن جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من أجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من أجل بحذف الهمزة وإلقاء فتحها على النون ومن لا ابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنی اسرائیل) وتقديما عليه ● للقصر أي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر أي قضينا عليهم وبيننا (أنه من قتل نفساً) ● واحدة من النفوس (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الأرض) أي ● فساد يوجب إهدار دمه وهو عطف على ما أضيف إليه غير على معنى نفى كلا الأمرين معاً كما في قولك من صلى بغير وضوء أو تيمم بطلت صلاته لا نفى أحدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلفة أو من الترديد بين الأمرين المنهي عن التخيير والإباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما أضيف إليه غير من الأمرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقيق أحدهما واشتراطه بتحقيقهما معاً ففي الأول يرد النفي على الترديد الواقع بين الأمرين قبل وروده فيفيد نفيهما معاً وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي أحدهما حتماً إذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه أن كل حكم شرط بتحقيق أحد شيئين مثلاً فنقيضه مشروط بانتفاءهما معاً وكل حكم شرط بتحقيقهما معاً فنقيضه مشروط بانتفاء أحدهما ضرورة أن نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في أن نقيض الإيجاب الجزئي كما في الحكم الأول هو السلب الكلي ونقيض الإيجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الأول بانتفاءهما معاً واشتراط نقيض الثاني بانتفاء أحدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء أو تيمم صحت صلاته مشروطاً بتحقيق أحدهما مبهماً كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء أو

تيمم بطلت صلاته مشروطاً بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤه معاً فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة أو فانتفى تحققهما معاً ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا إنه إذا قيل جالس العلماء أو الزهاد ثم أدخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً إذ المعنى لا تفعل أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما وأما قولك من صلى بوضوء أو ثوب صححت صلاته فحيث كان الحكم فيه مشروطاً بتحقيق كلا الأمرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته مشروطاً بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء أحدهما فتعين ورود الترديد على النفي فأفاد نفي أحدهما ولا يخفى أن إباحة القتل مشروطة بأحدهما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمة بانتفائهما معاً فتعين ورود النفي على الترديد لاحالة كأنه قيل من قتل نفساً بغير أحدهما (فكأنما قتل الناس جميعاً) فن قال في تفسيره أو بغير فساد فقد أبعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كأنما كافة مهينة لوقوع الفعل بعدها وجميعاً حال من الناس أو تأكيداً ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هنك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استنباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم (ومن أحيائها) أى تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الأرض إما بنهى قاتلها عن قتلها أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه (فكأنما أحياء الناس جميعاً) وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل أمر القتل وتفخيم شأن الإحياء بتصوير كل منهما بصورة لا تفتق به في إيجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره إلى الأذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خريف في الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند ورود فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا أكدت بالتوكيد القسمة وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وإنما لم يقل ولقد أرسلنا إليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة إليهم فإنه أدل على تناهيهم في العتو والمكابرة أى وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيداً لوجوب مراعاته وتأيداً لتحتم المحافظة عليه (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من الكتب وتأكيدهم بالأمريارسل الرسل ترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بكال تميزه وانظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيماء إلى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد (في الأرض) متعلق بقوله تعالى (لمسرفون) وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لأنها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وإنما دخولها على الخبر لمكان إن فهي في حيزها الأصلي حكماً والإسراف في كل أمر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به أى مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان إسرافهم في أمر القتل مستلزماً لتفريطهم في شأن الإحياء وجوداً وذكرراً وكان هو أقبح الأمرين وأفظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع .

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْوَى فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

٥ المائدة

- (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف سيق ليبين حكم نوع من أنواع القتل وما يتعلق ٣٣ به من الفساد بأخذ المال ونظائره وتعيين موجهه العاجل والآجل لإثريان عظم شأن القتل بغير حق وأدرج فيه بيان ما أشير إليه إجمالاً من الفساد المبيح للقتل قيل أى يحاربون رسول الله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة أهل شريعته وسالكى طريقته من المسلمين محاربة له ﷺ فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد أعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لأن ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكافئين عند النزول في تعميمه لغيرهم إلى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيماً لهم والمعنى يحاربون أولياءهما وأصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مصر (ويسعون في الأرض) عطف ● على يحاربون والجار والمجرور متعلق به وقوله تعالى (فساداً) إمام مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون ● أى مفسدين أو مفعول له أى للفساد أو مصدر مؤكد ليسعون لأنه في معنى مفسدون على أنه مصدر من أفسد بحذف الزوائد أو اسم مصدر . قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الأسلمي وكان وادعه رسول الله ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر به هلال إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج فرقوم من بنى كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فقطعوا عليهم وقتلهم وأخذوا أموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ففقدوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون أخذ المال ومن القتل مع أخذه وأخذه بدون القتل ومن الإخافة بدون قتل وأخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل (أن يقتلوا) أى حداً من غير صلب إن أفردوا القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت إلى ذلك ● لأنه حق الشرع ولا فرق بين أن يكون القتل بآلة جارية أولاً (أو يصلبوا) أى مع القتل إن جمعوا بين القتل والاختصاص بأن يصلبوا أحياء وتبمع بطونهم برح إلى أن يموتوا وفي ظاهر الرواية أن الإمام مخير إن شاء اكتفى بذلك وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن اقتصر على أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلا منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمته أما قطع أيديهم فلاخذ المال وأما قطع أرجلهم فلاخافة الطريق بتفويت أمنه (أو ينفوا من الأرض) إن لم يفعلوا غير الإخافة والسعى للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس ●

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ هـ المائة

يَتَابُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ هـ المائة

- فإنه نفي عن وجه الأرض لدفع شرهم عن أهلها ويعزرون أيضاً لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة الأمن وعند الشافعي رضى الله عنه النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصح وهو بلد من بلاد الحبشة (ذلك) أى مافصل من الأحكام والأجزية قيل هو مبتدأ وقوله تعالى (لهم خزي) جملة من خبر مقدم على المبتدأ
- وقوله تعالى (في الدنيا) متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلق به على مامر والخزي الذل والفضيحة (ولهم في الآخرة) غير هذا (عذاب عظيم) لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أى كأننا في الآخرة (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) استثناء
 - ٣٤ مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبى عنه قوله تعالى (فاعلموا أن الله غفور رحيم) أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه فاللهم ذلك إن شاءوا عفوا وإن أحبوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لأجوازه وعن علي رضى الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائباً بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعى في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارة إلى التوبة والاستغفار
 - (وابتغوا) أى اطلبوا لأنفسكم (إليه) أى إلى ثوابه والزلفى منه (الوسيلة) هي فعيلة بمعنى مايتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أى تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وإليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا أولياً وقيل الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة
 - (لعلكم تفلحون) بنيل مرضاته والفوز بكراماته .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩﴾

٥ المائدة

- (إن الذين كفروا) كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين ٣٦ في المسارعة إلى نحصيل الوسيلة إليه عز وجل قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل إلى النجاة من العذاب فضلاً عن نيل الثواب (لو أن لهم) أى لكل واحد منهم كافي قوله ● تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت الخ لا يجيعهم إذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الأمر وتفضيع الحال (ما في الأرض) أى من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم أن ولهم خبرها وعلمها ● الرفع بلا خلاف خلا أنه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه إلى الخبر الاشتغال صلته على المسند والمسند إليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل بقدر مقدما أى لو ثابت كون ما في الأرض لهم وقيل بقدر مؤخر أى لو كون ما في الأرض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو أى لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى (جميعاً) تأكيد للوصول أو حال منه (ومثله) بالنصب عطف عليه وقوله تعالى (معه) ظرف وقع ● حالا من المعطوف والضمير راجع إلى الوصول وقائده التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقاً لكامل فظاعة الأمر مع ما فيه من نوع إشعار بكونهما شيئاً واحداً وتمهيداً ● لإفراد الضمير الراجع إليهم واللام في قوله تعالى (ليفتدوا به) متعلقة بما تعلق به خبر أن أعنى الاستقرار ● المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدماً أو مؤخراً وبالفعل المقدر بعد لو على رأى المبرد ومن نحائحه ولا ريب في أن مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وإن كان مستلزماً له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع إلى الوصول ومثله معاً وتوحيده إما لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله [كأنه في الجلد توابع البق] أى كان ذلك وقيل هو راجع إلى الوصول والعائد إلى المعطوف أعنى مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله [فإني وقيار بها لغريب] أى وقيار أيضاً غريب وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه مفعول معه ناعبه الفعل المقدر بعد لو تقريراً على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وأنت خير بأن يؤدي إلى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الأرض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحقيقها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما أن سيبويه قد نص على اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله هذا لك وأباك قبيح وإن جوز به بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى (من عذاب يوم القيامة) ● متعلق بالافتداء أيضاً أى لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لا أنفسهم من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لا أجل افتدائهم به من غير ●

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ه المائدة

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ه المائدة

- ذكر الافتداء بأن يقال واقتدوا به مع أن الرد والقبول إنما يترتب عليه لا هلى مباديه للإيدان بأنه أمر محقق الوقوع غنى عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض قدرتهم على ما ذكر أو للمبالغة في تحقق الرد وتخفيف أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلبارأه مستقراً عنده حيث لم يقل فأتى به فرأه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورأيتن له والجملة الامتناعية بحالها خبر إن الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي عليه الصلاة والسلام يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) تصريح بما أشير إليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفاً على خبر إن وقيل عطف على إن الذين فلا محل له كالمعطوف عليه (يريدون أن يخرجوا من النار) استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء مكابدة العذاب مبنى على سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه أن عذابهم عذاب النار قيل إنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلحقهم لهب النار ويرفعهم إلى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها إياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل (وما هم بخارجين منها) إما حال من فاعل يريدون أو اعتراض وأياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرية بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية أيضاً بمعونة دوام النفي لانفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما أنا بياسط الخ وقرئ أن يخرجوا على بناء المفعول من الإخراج (ولهم عذاب مقيم) تصريح بما أشير إليه آنفاً من عدم تنامي مدته بعد بيان شدته (والسارق والسارقة) شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان أحكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لإيراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة أيضاً مع أن المعهود في الكتاب والسنة إدراج النساء في الأحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم أو وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بتأويل وإضمار والسرقة أخذ مال الغير خفية وإنما توجب القطع إذا كان الأخذ من حرز

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

٥ المائدة

والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بأيديهما أيانها كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا أيانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاءً بثنية المضاف إليه واليد اسم لتمام الجراحة ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المنسكب والجمهور على أنه الرسغ لأنه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه (جزاء) نصب على أنه مفعول له أي فاقطعوا للجزاء أو مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا أي فجازوهما جزاء وقوله تعالى (بما كسبا) على الأول متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية أي بسبب كسبهما أو موصولة أي ما كسباه من السرقة التي تباشر بالأيدي وقوله تعالى (نكالا) مفعول له أيضاً على البدلية من جزاء لانها من نوع واحد وقيل القلع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما إذا قلت ضربته تأديباً له إحساناً إليه فإن الضرب معلل بالتأديب والتأديب معلل بالإحسان وقد أجازوا في قوله عز وجل أن يكفر بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أن يكون بغياً مفعولاً له ناصبه أن يكفروا ثم قالوا إن قوله تعالى أن ينزل الله مفعول له ناصبه بغياً على أن التنزيل علة للبغى والبغى علة للكفر وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا أي نكالا كائننا منه تعالى (والله عزيز) غالب على أمره يمتصيه كيف يشاء من غيرند ينازعه ولا ضد يمانعه (حكيم) في شرائعه لا يحكم إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنظوبة على فنون الحكم والمصالح (فمن تاب) أي من السراق إلى الله تعالى (من بعد ظلمه) الذي هو ٣٩ سرقة والتصريح به مع أن التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (وأصلح) أي أمره بالتقصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة إليها (فإن الله يتوب عليه) أي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لأن فيه حق المسروق منه وتسقطه عند الشافعي في أحد قوليه (إن الله غفور رحيم) مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلّة الحكم وتأييد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله ﷺ بطريق التلوين وقيل لكل أحد صالح للخطاب والاستفهام الإنكارى لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى

يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ
اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ه المائدة

- على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أى ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما لإيجاد وإعدام وإحياء وإماتة إلى غير
ذلك حسبما تقتضيه مشيئته (يعذب من يشاء) أن يعذبه (ويغفر لمن يشاء) أن يغفر له من غير ند يساهمه
ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة إما تقرير لكون
ملكوت السموات والأرض له سبحانه أو خبر آخر لأن (والله على كل شيء قدير) فيقدر على ما ذكر من
التعذيب والمغفرة والإظهار في موقع الإختار لما مر مراراً والجملة تدبيل مقرر لما قبلها (يأتيها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) خوطب عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للتشريف والإشعار
بما يوجب عدم الحزن والمسارة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وإثارة كلفة في على كلفة إلى الواقعة
في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ لإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يرحون
ولأنما ينتقلون بالمسارة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها كإظهار موالاة المشركين وإبراز
آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإنهم مستمرون على
الخير مسارعون في أنواعه وأفراده والتعبير عنهم بالموصول للإشارة بما في حيز صلته إلى مدار الحزن
وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عليه الصلاة والسلام بمسارعتهم في الكفر
لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم على أبلغ وجه وأكد
فإن النهى عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقديوجه
النهي إلى المسبب ويراد به النهى عن السبب كما في قوله لا أرينك هنا يريد نهى مخاطبه عن الحضور بين
يديه وقرىء لا يحزنك من أحزنه منقولاً من حزن بكسر الزاى وقرىء يسرعون يقال أسرع فيه الشيب
أى وقع فيه سريعاً أى لا تحزن ولا تبال بهاقهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا
بأفواههم) بيان المسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يسارعون وقيل من
الموصول أى كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى (ولم تؤمن قلوبهم) جملة حالية
من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا الخ
وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم إلى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى (سماعون للكذب)
خبر لمبتدأ محذوف راجع إلى الفريقين أو إلى المسارعين وأما رجوعه إلى الذين هادوا فنحل بعموم

- الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبراً على أن قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف أى ومنهم قوم سماعون الخ لادائه إلى اختصاص ماعدد من القبانخ وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخرية بهم فالوجه ما ذكر أولاً أى هم سماعون واللام إلام التقوية للعمل وإما لتضمنين السماع معنى القبول وإما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب أو فى قبول ما يفتريه أخبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحرير كتابه أو سماعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير أو أخبار الناس وأقوالهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما يضر بهم وأيا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهى فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وإبقاء أمورهم على ما لا أصل له من الأباطيل والأراجيف مما يقتضى عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب كما سيأتى وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى (سماعون لقوم آخرين) ● خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الأولين واللام مثل ما فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع إلى معنى من أى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين وأما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه الصلاة والسلام لأجل قوم آخرين وجههم عيوننا ليلغوهم ما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام أو كونها متعلقة بالكذب على أن سماعون الثانى مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم أصلاً وقوله تعالى (لم يأتوك) صفة ● أخرى لقوم أى لم يحضروا مجلسك وتجاؤا عنك تكبراً وإفراطاً فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) صفة أخرى لقوم وصفوا أولاً بغايرتهم ● للسماعين تنبيهاً على استقلالهم وأصالتهم فى رأى والتدبير . ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام إيداناً بكال طغيانهم فى الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بياناً لإفراطهم فى العتو والمكابرة والاجترار على الاقتراء على الله تعالى وتعييناً للكذب الذى سمعه السماعون أى يملونه ويذبلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إلهاماً أو تغيير وضعه وإمامة معنى بحمله على غير المراد وإجرائه فى غير موره وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف ● راجع إلى القوم وقوله تعالى (يقولون) كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز أن يكون حالاً من ضمير يحرفون وأما تجويز كونها صفة لسماعون أو حالاً من الضمير فيه فما لا سبيل إليه أصلاً كيف لا وأن مقول القول ناطق بأن قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول ﷺ والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن أن يقوله السماعون المترددون إليه ﷺ لمن لا يحوم حوله قطعاً وأدعاء قول السماعين لأعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مغل بجزالة النظم الكريم والحق الذى لا يحيد عنه أن المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون أى يقولون لا تباعهم السماعين لهم عند إلقاءهم إليهم أقوالهم الباطلة مشيرين إلى كلامهم الباطل (إن أوتيتهم) من جهة الرسول ﷺ (هذا نخذوه) واعملوا بموجبه فإنه الحق (وإن لم توتوه) بل أوتيتهم ●

- غيره (فاحذروا) أي فاحذروا قبوله وإياكم وإياه وفي ترتيب الأمر بالحذر على مجرد عدم إتياء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى . روى أن شريفاً من خير زنى بشريفة وهما محصنان وحدثهما الرجم في التوراة فسكرهما وارجهما لشرهما فبعثوا رهماً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صور يا ووصفه له فقال ﷺ هل تعرفون شاباً أبيض أعور يسكن فذلك يقال له ابن صور يا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي ﷺ أنت ابن صور يا قال نعم قال ﷺ وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلال عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحسن قال نعم والذي ذكرته لو لا خشيت أن يحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال ﷺ إذ شاهد أربعة رهاط عدول أنه أدخل فيها كما يدخل الميل في المسحلة وجب عليه الرجم قال ابن صور يا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبت أنه ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله ﷺ بالزانين فرجا عند باب المسجد (ومن يرد الله شئناً) أي ضلالتة أو فضيحتة كانتا من كان فيندرج فيه المذكورون اندارجاً أولاً وعدم التصريح بكونهم كذلك للإشعار بكال ظهوره واستغنائه عن ذكره (فلن تملك له) فلن تستطيع له (من الله شيئاً) في دفعها والجملة مستأنفة
- مقرر لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبانح المذكورة أبداً (أولئك) إشارة إلى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعدهم عن الزمان وهو مبتدأ خبره قوله
- تعالى (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهما كهم فيهما وإصرارهم عليهما وإعراضهم عن صرف اختيارهم إلى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبغي عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر أولاً وشرح فنون ضلالتهم آخرها والجملة استئناف مبين لكون إرادته تعالى لفنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء (لهم في الدنيا خزي) أما المنافقون
- فخزيهم فضيحتهم وهتك سترتهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين وأما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتابان نص التوراة وتنكير خزي للتنخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما
- تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى (ولهم في الآخرة) أي مع الخزي الدنيوي
- (عذاب عظيم) هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعاً لا اليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل أفعالهم وأحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقبل لهم في الدنيا الآية .

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ هـ المائدة

- ٤٢ (سماعون للكذب) خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده من قوله تعالى (أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ) وهو أيضاً خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم أو بناء على أن المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الأكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الأصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقاً من سحته إذا استأصله سمي به لأنه مسحوت البركة والمراد به هنا إما الرشا التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر أحكامهم الزائفة وهو المشهور أو ما كان يأخذه فقراؤهم من أغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل وإما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاماً أولاً وقرىء للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي ﷺ كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به (فإن جاءوك) لما بين تفاصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلفة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبأفادتهم حسبما أمر به ﷺ خو ط ب ﷺ ببعض ما يبتنى عليه من الأحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة أى وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاءوك متحاكين إليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) غير مبال بهم ولا خائف من جمعتهم أصلاً وهذا كما ترى تخيير له ﷺ بين الأمرين فليل هو في أمر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فقال بنو قريظة إخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد وإذا قتلوا منا قتيلاً لم يرضوا بالقود وأعطونا سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فافض بيننا فجعل ﷺ الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل إنه ثابت وهو المروى عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وأبي بكر الأصم وأبي مسلم وقائل إنه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله تعالى فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعليه مشايخنا (وإن تعرض عنهم) بيان لحال الأمرين إثر تخييره ﷺ بينهم وتقدير حال الإعراض للسارعة إلى بيان أن لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما أنهم كانوا لا يتحاكمون إليه ﷺ إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فقتل عدوتهم ومضاراتهم له ﷺ فأمنه الله عز وجل بقوله (فلن يضررك شيئاً) من الضرر فإن الله عاصمك من الناس (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذي أمرت به كما حكمت بالرجم (إن الله يحب المقسطين) ومن ضرورته أن يحفظهم عن كل مكروه ومحدور.

وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ هـ المائدة
 إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ
 وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرُوا
 بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ هـ المائدة

- ٤٣ (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال
 أن الحكم منصوب عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
 الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى
 وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة إن جعلت مرتفعة
 بالظرف وإن جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان أن عندهم
 ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كمومة ودودة (ثم يتلون) عطف على
 يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى (من بعد ذلك) أي من بعد ما حكموك
 تصریح بما علم قطعاً لتأكيد الاستبعاد والتعجيب أي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد
 ما رضوا بحكمك وقوله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الإشارة
 موضع ضميرهم للقصد إلى إحضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبايح إيماء إلى علة الحكم وإلى أنهم قد
 تميزوا بذلك عن غيرهم أكمل تمييز حتى انتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيدان
 ببعدهم درجتهم في العتو والمكابرة أي وما أولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين أي بكتابهم لإعراضهم
 عنه أولاً وعن حكمك الموافق له ثانياً أو بهما وقيل وما أولئك بالكاملين في الإيمان تهكيبهم (إنا أنزلنا
 التوراة) كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة ووجوب مراعاة أحكامها وأنها لم تزل مرعية فيما
 بين الأنبياء ومن يقتدى بهم كبراً عن كبر مقبولة لكل أحد من الأحكام والمتحاكين محفوظة عن المخالفة
 والتبديل تحقيقاً لما وصف به المحرفون من عدم إيمانهم بها وتقريراً لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى (فيها
 هدى ونور) حال من التوراة فإن ما فيها من الشرائع والأحكام من حيث إرشادها للناس إلى الحق الذي
 لا يحيد عنه هدى ومن حيث إظهارها وكشفها ما استبهى من الأحكام وما يتعلق بها من الأمور المستورة
 بظلمات الجهل نور وقوله تعالى (يحكم بها النبيون) أي أنبياء بني إسرائيل وقيل موسى ومن بعده من
 الأنبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبته واسمها طبقته وقد جوز كونه حالاً من التوراة فيكون حالاً
 مقدرة أي يحكمون بأحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب إلى أن شريعة من قبلنا شريعة
 لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى
 المؤخر ولأن في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقوله

- تعالى (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد إلى مدحهم بذلك حقيقة فإن النبوة أعظم من الإسلام قطعاً فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلاً من الأعلى إلى الأدنى بل لتنويه شأن الصفة فإن إبراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الأنبياء بالصالح ووصف الملائكة بالإيمان عليهم السلام ولذلك قيل أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود وأنهم بمعزل من الإسلام والافتداء بدين الأنبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى (للذين هادوا) وهو متعلق بيحكم أي يحكمون فيما بينهم واللام إما لبيان اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو عليهم كأنه قيل لأجل الذين هادوا وإما للإيدان بنفعه للمحكوم عليه أيضاً بإسقاط التبعية عنه وإما للإشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كأنه أمر نافع لكلا الفريقين فقيه تعريض بالمخرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بأنزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما أي هدى ونور كائنان للذين هادوا (والربانيون والأخبار) أي الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقتهم النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغارهم قبل كبارهم والأخبار هم الفقهاء واحده جبر بالفتح والكسر والثاني أفصح وهو رأى الفراء مأخوذة من التحجير والتحسين فإنهم يحبرون العلم ويزينونه ويدينونه وهو عطف على النبيين أي هم أيضاً يحكمون بأحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للإيدان بأن الأصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وإنما الربانيون والأخبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبي عنه قوله تعالى (بما استحفظوا) أي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها وفي إتمامها أولاً ثم بيانها ثانياً بقوله تعالى (من كتاب الله) من تفخيمها وإجلالها ذاتاً وإضافة وتأكيدها إيجاب حفظها والعمل بما فيها مالا يخفى وإيرادها بعنوان الكتاب للإيماء إلى إيجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على أنها صلة له كالتى في قوله تعالى بها ليلزم تعلق حرفي جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على أنها سببية أي ويحكم الربانيون والأخبار أيضاً بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به أنبياءهم وسألوهم أن يحفظوه وليس المراد بسببية الحكمهم ذلك سببته من حيث الذات بل من حيث كونه محظوظاً فإن تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة أي ويحكم الربانيون والأخبار بحكم كتاب الله الذى سألهم أنبياءهم أن يحفظوه من التغيير (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يحمونه من أن يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الأسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللسانَ
بِاللسانِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ه المائدة

- قوله تعالى بها إعادة العامل وهو بعيد وكذا تجوز كون الضمير في استحقاق الأتباع والربانيين والأخبار
جميعاً على أن الاستحفاظ من جناب الله عز وجل أى كلفهم الله تعالى أن يحفظوه ويكونوا عليه شهداء
● وقوله تعالى وتقدس (فلا تخشوا الناس) خطاب لرؤساء اليهود وعلماهم بطريق الالتفات وأما حكام
المسلمين فيتناولهم النهى بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التوراة
وكونها معنئياً بشأنها فيما بين الأنبياء عليهم السلام ومن يقتدى بهم من الربانيين والأخبار المتقدمين
عملاً وحفظاً فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها بأى وجه
كان فضلاً عن التعريف والتغيير ولما كان مدار جرائمهم على ذلك خشية ذى سلطان أو رغبة فى الحفظ
الدينية نهوا عن كل منهما صريحاً أى إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كما كنا من كان واقتدوا فى
● مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياهم (واخشون) فى الإخلال بحقوق مراعاتها
● فكيف بالتعرض لها بسوء (ولا تشتروا بآياتي) الاشتراء اسقيدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه
لا بدل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لا أخذ شئ بدلا مما كان له عيناً كان أو معنى أخذاً منوطاً بالرغبة
فيما أخذ والإعراض عما أعطى وبذلكما فصل فى تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فالمنى لا تستبدلوا بآياتي التى فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلا منها
● (ثمنا قليلا) من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مستزلة فى نفسها لا سيما
بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر عن المشتري الذى هو العمد فى عقود المعاوضة
والمقصد الأصلي بالثمن الذى شأنه أن يكون وسيلة إلى تحصيله وأبرزت الآيات التى حقها أن يتنافس
فيها المتنافسون فى معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالبلاء التى تصحب الوسائل إيذنا بمبالغتهم
● فى التعكيس بأن جعلوا المقصد الأقصى وسيلة والوسيلة الأدنى مقصداً (ومن لم يحكم بما أنزل الله)
كأننا من كان دون مخاطبين خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً أى من لم يحكم بذلك مستهيناً
● به منكراً له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بيناً (فأولئك) إشارة إلى من
● والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها (هم الكافرون) لاستهانتهم به وهم إما
ضمير الفصل أو مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر لأولئك وقد مر تفصيله فى مطلع سورة البقرة والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر
بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله تعالى فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه
من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا (وكتبنا) عطف على أنزلنا ٤٥

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ه المائدة
وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ه المائدة

- التوراة (عليهم) أى على الذين هادوا وقرىء. وأنزل الله على بنى إسرائيل (فيها) أى فى التوراة (أن
- النفس بالنفس) أى تقاد بها إذا قتلها بغير حق (والعين) تفقأ (بالعين) إذا فقت بغير حق (والأنف)
- يجمع (بالأنف) المقطوع بغير حق (والأذن) تصلم (بالأذن) المقطوعة ظلماً (والسن) تقلع (بالسن)
- المقلوعة بغير حق (والجروح قصاص) أى ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس
- رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فزلت وقرىء. وإن الجروح قصاص وقرىء. والعين إلى آخره بالرفع عطفاً على محل أن النفس لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس إما
- لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما
- يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها (فن تصدق) أى من المستحقين
- (به) أى بالقصاص أى فن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للبالغة فى الترغيب فيه (فهو) أى التصدق
- (كفارة له) أى للتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط
- عنه ما لزمه وقرىء. فهو كفارته له أى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء
- وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله (ومن لم يحكم) كائناً من كان فيتناول من لا يرى قتل
- الرجل بالمرأة من اليهود ثنائولاً بينا (بما أنزل الله) من الأحكام والشرائع كائناً ما كان فيدخل فيها
- الأحكام المحكية دخولاً أولاً (فأولئك هم الظالمون) المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى
- الواضعون للشيء فى غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالأحكام المذكورة (وقفينا على ٤٦
- آثارهم) شروع فى بيان أحكام الإنجيل إثرياً بيان أحكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أى آثار
- البينين المذكورين يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه لحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه أى قفينا
- (بعيسى ابن مريم) أى أرسلناه عقبهم (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) حال من عيسى عليه السلام
- (وآتيناه الإنجيل) عطف على قفينا وقرىء. بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) كما فى التوراة وهو فى محل
- النصب على أنه حال من الإنجيل أى كائناً فيه ذلك كأنه قيل مشتتلاً على هدى ونور وتوئين هدى ونور
- للأنفخيم ويندرج فى ذلك شواهد نبوته عليه السلام (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) عطف عليه داخل
- فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير (وهدى وموعظة للمتقين) عطف على
- مصدقاً منتظماً معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتتلاً عليه حيث قيل هدى وتخصيص
- كونه هدى وموعظة للمتقين لأنهم الممتدون بهداه والمنفعون بمجدواه (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل ٤٧
- الله فيه) أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور التى من جملتها دلائل رسالته عليه الصلاة

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى
اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

ه المائدة

والسلام وشواهد نبوته وما قررت الشريعة الشريفة من أحكامه وأما أحكامه المنسوخة فليس الحكم بها
حكماً بما أنزل الله فيه بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادته
بصحته ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبأن أحكامه ما قررت تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما
سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل الآية وقيل هو حكاية
للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيه أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل الخ وقرىء وأن ليحكم
على أن أن موصولة بالأمركا في قولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل
الإنجيل الخ وقرىء على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم أهل الإنجيل
بما أنزل الله فيه آتيناه إياه وقد عطف على هدى وموعظة على أنهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة
آتيناه إياه وللحكم بما أنزل الله فيه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) منكر آله مستهيناً به (فأولئك هم الفاسقون)
المتوردون الخارجون عن الإيمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال
بالأمر وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلاً بالشرع
أموراً بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما
أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر (وأنزلنا إليك الكتاب) أي الفرد الكامل
الحقيقي بأن يسمى كتاباً على الإطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكائنة لجنس الكتاب السماوي وتفوقه
على بقية أفراد وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى
(بالحق) متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب أي ملتبساً بالحق والصدق وقيل من فاعل
أنزلنا وقيل من الكاف في إليك وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه) حال من الكتاب أي حال كونه
مصدقاً لما تقدمه إما من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث أنه موافق له في القصص والمواعيد
والدعوة إلى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يترأى من مخالفته له في
بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها
من حيث إن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور أمر الشريعة
وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخروا إنما يدل على مشروعيتها
مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحته ما ينسخها نطق
بنسخها وزوالها وقوله تعالى (من الكتاب) بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي وهو

- بهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعاً مخصوصاً من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للمعنى لأن ذلك لا ينتهي إلى خصوصية الفردية بل إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضاً حيث خص بهامد القرآن (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر الكتب
- المحفوظة من التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها الاستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيتها وخرج عنها من أحكام كونه مهمنا عليه وقرىء ومهمنا عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحفوظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جمته تعالى كما في قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والامصار والفاء في قوله تعالى (فاحكم بينهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كون شأن القرآن العظيم حقاً مصداقاً لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهمناً عليه من موجبات الحكم المأمور به أي إذا كان القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتابين عند تحاكمهم إليك (بما أنزل الله) أي بما أنزله إليك فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على عليه ما في حين الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم (ولا تتبع أهواءهم)
 - الزائفة (عما جاءك من الحق) الذي لا يحيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمنين معنى العدول ونحوه
 - كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لا تتبع أهواءهم عادلاً عما جاءك وفيه أن ما وقع حالا لا بد أن يكون فعلاً عاماً ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول الإيماء بما في حين الصلة من مجيء الحق إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) كلام مستأنف جرى به لحن أهل الكتابين من معاصريه
 - ﷺ على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلويح والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضاً بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضمير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أغري الله أنخذولياً فاطر السموات والخر المعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهما التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي ﷺ شرعتهما الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون فشرعتم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشرعية هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لكونه سيلاً موصولاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضع

وَأَن اَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

ه المائدة

- وقرىءة بفتح الشين قيل فيه دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق أنا متعبدون
- بأحكامها الباقية من حيث إنها أحكام شرعنا لا من حيث أنها شرعة للأولين (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأمم في شيء من الأحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشبته محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه أى ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لا جبركم عليه (ولكن ليبلوكم) متعلق بمحذوف يستدعيه النظام أى ولكن لم يشأ ذلك أى أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء ما عليه السنة الإلهية الجارية فيما بين الأمم ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مدعين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى المشبته الإلهية المبنية على أساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم أو تزيفون عن الحق وتقبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح أن مدار عدم المشبته المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العدة في ذلك ما أشير إليه من انطواء الاختلاف على ما فيه صلاحهم معاشاً ومعاداً كما ينبيء عنه قوله عز وجل (فاستبقوا الخيرات) أى إذا كان الأمر كما ذكر
 - فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحققة والأعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازاً للفرصة وإحرازاً لسابقة الفضل والتقدم فقيه من تأكيد الترغيب في الإذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيف مالا يخفى وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم) استئناف مسوق مساق التعليل
 - لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى (جميعاً) حال من ضمير الخطاب والعامل فيه إما المصدر المنحل إلى حرف مصدرى وفعل مبنى للفاعل أو مبنى للمفعول وإما الاستقرار المقدر في الجار
 - (فيبتلكم بما كنتم فيه تختلفون) أى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل مالا يبق لكم منه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع إزالة الاختلاف
 - ٤٩ التى هى وظيفة الإخبار (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) عطف على الكتاب أى أنزلنا إليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان إنزاله تعالى إياه لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبأن احكم وحكاية لإنزال الأمر بهذا الحكم بعد مامر من الأمر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك) أى يصرفوك عن بعضه ولو كان أقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق وإظهار الاسم الجليل لتأكيد الأمر بتحويل الخطاب وأن بصلته بدل اشتغال من ضميرهم أى احذر فتنهم أو مفعول له أى

أَحْكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا يَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ
فَمَا لَهُ مِنهُمْ إِنَّا لَنَبْهِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ هـ المائدة

- احذرهم مخافة أن يفتنوك وإعادة ما أنزل الله لنا كيد التحذير بهويل الخطب . روى أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد فلعننا نفثته عن دينه فذهبوا إليه ﷺ وقالوا يا أبا القاسم قد عرفت أننا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فتتجاسر عليك فتقتضى لنا عليهم ونحن تؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله ﷺ فنزلت (فإن تولوا) أى أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنها يريد الله أن يصيهم ببعض ذنوبهم) أى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وإنما عبر عنه بذلك إيداناً بأن لهم ذنوباً كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفى هذا الإيهام تعظيم للتولى كما فى قول لبيد [أو يرتبط بعض النفوس حمامها] يريد به نفسه أى نفساً كبيرة ونفساً أى نفس (وإن كثيراً من الناس لفاسقون) أى متعمدون فى الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود الممهودة وهو اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (أحكم الجاهلية ييغون) • إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى يتولون عن حكمك فييغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لنا كيد الإنكار والتعجيب لأن التولى عن حكمه ﷺ وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب والمراد بالجاهلية إما الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى الموجبة لليل والمداهنة فى الأحكام فيكون تعبيراً لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم ييغون حكم الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحى وإما أهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى أن بنى النضير لما تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فى خصومة قتل وقعت بينهم وبين بنى قريظة طلبوا إليه ﷺ أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال ﷺ القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرىء برفع الحكم على أنه مبتدأ وييغون خبره والراجع محذوف حذفه فى قوله تعالى وهذا الذى بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك فى غير الشعر وقرىء بقاء الخطاب إما بالاتفات لتشديد التوبيخ وإما بتقدير القول أى قل لهم أحكم الخ وقرىء بفتح الحاء والكاف أى أحكمها كحكم الجاهلية ييغون (ومن أحسن من الله حكماً) إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساولة وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وإنكارها وقد مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله (لقوم يوقنون) أى عندهم واللام كما فى هيت لك أى هذا الاستفهام لهم فإنهم الذين يتدبرون الأمور بأنظارهم فيعلمون يقيناً أن حكم الله عز وجل أحسن الأحكام وأعدلها (يأيتها الذين ٥١ آمنوا) خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وإن كان سبب ورود بعضاً منهم كما سيأتى

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ ه المائدة

- ووصفهم بعنوان الإيمان لحلمهم من أول الأمر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فإن تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من أقوى الزواجر عن موالاتهما أى لا يتخذ أحد منكم أحداً منهم ولياً بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشرهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة فإنه أمر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهى (بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق لامن الفريق الآخر وإنما أُوثر الإجمال في البيان تعويلاً على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاتة بين فريقى اليهود والنصارى رأساً والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهى وتأكيده لإيجاب الاجتناب عن المنهى عنه أى بعضهم أولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته إجماع الكل على مضادتك ومضارتك بحيث يسوونكم السوء ويغنونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاتة وقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) حكم مستنتج منه فإن انحصار الموالاتة فيما بينهم يستدعى كون من يواليهم منهم ضرورة أن الاتحاد في الدين الذى عليه يدور أمر الموالاتة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين أن يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاتة لهم وإن لم تكن موالاتة في الحقيقة وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) تعليل لكون من يتولاهم منهم أى لا يهديهم إلى الإيمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وإنما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيهاً على أن توليهم ظلم لما أنه تعريض لأنفسهم للعذاب الخالد ووضع الشيء في غير موضعه وقوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) بيان لكيفية توليهم وإشعار بسببه وبما يقول إليه أمرهم والفاء للإيدان بترتبه على عدم الهداية والخطاب إما للرسول ﷺ بطريق التلوين وإما لكل أحد ممن له أهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع أى لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وإنما وضع موضع الضمير الموصول لإشعار بما في حيز صلته إلى أن ما ارتكبه من التولى بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين
- وقوله تعالى (يسارعون فيهم) حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول هو الأنسب بظهور نفاقهم أى تراهم مسارعين في موالاتهم وإنما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهاكهم عليها وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على أنهم مستقرون في الموالاتة وإنما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات لأنهم غارجون عنها متوجهون إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة وقرى فيرى بيا الغيبة على أن الضمير لله سبحانه وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية قلبية أى ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم فلما حذفت أن

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ هـ المائدة

- انقلب الفعل مرفوعاً كما في قول من قال [ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى] والمراد بهم عبد الله بن أبي وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أى تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى أن يصيبنا مكروه من مكروه الدهر كالجذب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض . روى أن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال لرسول الله ﷺ إن لى موالى من اليهود كثيراً عددهم وإنى أرى إلى الله ورسوله من ولايتهم وأولى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى بنى رجل أخاف الدوائر لأبرأ من ولاية موالى وهم يهودى قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الأخير ويضمير فى نفسه المعنى الأول وقوله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح) رد من جهة الله تعالى لهم الباطلة وقطع لأطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فإن عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أن الكريم إذا أطمع أطمع لاحالة فما ظنك بأكرم الأكرمين وأن يأتي فى محل النصب على أنه خبر عسى وهو رأى الا خفش أو على أنه مفعول به وهو رأى سببويه لثلا يلزم الإخبار عن الجنة بالحدث كما فى قولك عسى زيد أن يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبى والسدى وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره ﷺ على من خالفه وإعزاز الدين (أو أمر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء (فيصبحوا) أى أولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتى داخل معه فى حين خبر عسى وإن لم يكن فيه ضمير يعود إلى اسمها فإن فاء السببية مغنية عن ذلك لما أنها تجعل الجملتين بكلمة واحدة (على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) وهو ما كانوا يكتُمونه فى أنفسهم من الكفر والشك فى أمره ﷺ وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاته الكفرة لما أنه الذى كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فذل ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها (ويقول الذين آمنوا) كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرى بغير واو على ٥٣ أنه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرى ويقول بالنصب عطفاً على يصبحوا وقيل على يأتى باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المقارفة عنهم فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخبية رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجبياً للمخاطبين من حالهم وتعرضاً بهم (أهؤلاء الذين
- ٧٥ - أبو السعود ج ٣ ،

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

ه المائدة

أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم (أى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم
 واسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى إنكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك أو يقول بعض
 المؤمنين لبعض مشيرين إلى المنافقين أيضاً أهؤلاء الذين أقسموا للكفرة إنهم لمعكم فالخطاب في معكم
 لليهود على التقديرين إلا أنه على الأول من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين وهذه الجملة لاجل
 لها من الإعراب لأنها تفسير وحكاية لمعنى أقسموا الكن لا بالفاظهم وإلا لقليل إنا معكم وجهد الأيمان
 أغلظا وهو فى الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف
 الفعل وأقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظاً لأنه مؤول بنكرة أى مجتهدين فى أيمانهم أو على
 المصدر أى أقسموا لإقسام اجتماعهم فى اليمين وقوله تعالى (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) إما جملة
 مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية فى المنشط
 والمكروه إثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام الإنكارى وإما خبر ثان للبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما
 فى قوله تعالى فإذا هى حية تسمى أو هو الخبر والموصول مع ما فى حين صلته صفة لاسم الإشارة فالاستفهام
 حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم والمعنى بطلت أعمالهم التى عملوها
 فى شأن موالاتكم وسعوا فى ذلك سعياً بليغاً حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بها صنعوا من المساعى
 وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستمراء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض
 المؤمنين مخاطباً لبعض تعجباً من سوء حال المنافقين واغتراباً بها من الله تعالى على أنفسهم من التوفيق
 للإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم يا غلاظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار بطلت
 أعمالهم التى كانوا يتكفونها فى رأى أعين الناس وأنت خير بأن ذلك الكلام من المؤمنين إنما يليق بما لو أظهر
 المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار
 فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رموس الأَشهاد وبطلت أعمالهم التى كانوا يتكفونها فى رأى أعين
 المؤمنين ولا ريب فى أنهم يومئذ أشد ادعاء وأكثر إقساماً منهم قبل ذلك فضلاً عن أن يظهر واخلاف
 ذلك وإنما الذى يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم
 فى ادعائهم فإنهم يدعون أن ليست ندامتهم إلا على ما أظهروه من موالات الكفرة خشية إصابة الدائرة
 (يأياها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) وقرئ يرتد بالفتح على لغة الحجاز والإدغام لغة تميم
 لما نهى فيها سلف عن موالات اليهود والنصارى وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل
 مصير أمر من يواليهم من المنافقين شرع فى بيان حال المرتدين على الإطلاق وهذا من الكائنات التى أخبر

عنها القرآن قبل وقوعها . روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام بنو مدلج ورئيسهم ذو الخنار وهو الأسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول الله ﷺ فكتب عليه الصلاة والسلام إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يدى فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله ﷺ بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وتبعض عليه الصلاة والسلام من الغد وأتى خبره فى آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فخاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وكان يقول قتل فى جاهليتى خير الناس وفى إسلامى شر الناس وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال إلى الشام فأسلم وحسن إسلامه وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزاره قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قره بن سلبه القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل وبنو ربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المندر المتنبئة التى زوجت نفسها من مسيلة الكذاب وفيما يقول أبو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى [أمت سجاح ووالاها مسيلة * كذابة فى بنى الدنيا وكذاب] وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الأسيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله تعالى (فسوف يأتى الله) جواب الشرط والعائد إلى اسم الشرط محذوف أى فسوف يأتى الله مكانهم بعد إهلاكهم (يقوم يحبهم) أى يريد بهم خيرى الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على أنها صفة لقوم وقوله تعالى (ويحبونه) أى يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل فى حكمها قيل هم أهل اليمن لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبى موسى الأشعرى وقال قوم هذا وقيل هم الأنصار رضى الله عنهم وقيل هم الفرس لما روى أنه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان رضى الله عنه وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية (أدلة على المؤمنين) جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل أى أرقاه رحماً متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم أو لرعاية المقابلة بينه وبين ما فى قوله تعالى (أعزة على الكافرين) أى أشداء منغلبين عليهم من عزه إذا غلبه كما فى قوله عز وجل (لا يأتى الكافرين من الله شيء) أى أشداء على الكفار رحماً بينهم وهما صفتان أخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالانحصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما فى قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

• المائة

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

• المائة

- ماياتهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوز من أن قوله تعالى يحجمهم ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم له خصصه بالصفة (بجاهدون في سبيل الله) صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها للكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو ما كالتثبت في عدم جواز مباشرة أو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتها في الفضل (فضل الله) أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون في الاتصاف بها (يؤتبه من يشاء) إيتاءه إياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (والله واسع) كثير الفواضل والألطف (عليم) مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيده استقلال الجملة الاعتراضية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلمه بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولا يهتم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تنخدعهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاخصوم بالموالاة ولا تنخطوهم إلى غيرهم وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيدان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهم راكعون) حال مع فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه وروى أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجافاً خائفاً غير محتاج في إخراجهم إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥ المائدة

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾
قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنَّا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ
أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾

٥ المائدة

- الله ورسوله والذين آمنوا) أوثر الإظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان أصالته تعالى في الولاية كما ينبي عنه قوله تعالى (فإن حزب الله هم الغالبون) حيث أضيف الحزب إليه تعالى خاصة وهو أيضاً من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى من أى فإنهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيماً لهم وإثباتاً لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فإنهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) روى أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الإسلام ثم ناققا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فتموا عن موالاتهما ورتب النهى على وصف يعمهما وغيرهما تعميماً للحكم وتنبيهاً على العلة وإيضاحاً بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالات (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إتياء الكتاب لبيان كمال شنائعهم وغاية ضلالتهم لما أن إتياء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم (والكفار) أى المشركين خصوصاً به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول ففيه إشعار بأنهم ليسوا بمستهزئين كما ينبي عنه تخصيص الخطاب بأهل الكتاب في قوله تعالى يأهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرىء بالجر عطفاً على الموصول الأخير ويعضده قراءة أبى ومن الكفار وقرءة عبدالله ومن الذين أشركوا فهم أيضاً من جملة المستهزئين (أولياء) وجانبوهم كل المجانبية (واتقوا الله) في ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهى على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولاً أولياً (إن كنتم مؤمنين) أى حقاً فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة (وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها) أى الصلاة أو المناداة ٥٨ ففيه دلالة على شرعية الأذان (هزواً ولعباً) بيان لاستهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق لإظهار الكمال لشقاوتهم. روى أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله يقول أحرقت الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فطارت منه شرارة في البيت فأحرقته وأهله جميعاً (ذلك) أى الاستهزاء المذكور (بأهم) بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) فإن السفه يؤدى إلى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجتروا على تلك العظيمة (قل) أمر لرسول الله ﷺ بطريق تلوين الخطاب بعد نهى المؤمنين عن ٥٩ تولى المستهزئين بأن يحاطبهم ويبين أن الدين منزّه عما يصح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر

قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ه المائدة

- لهم سبب ما ارتكبهه ويلقهم الحجر أى قل لأولئك الفجرة (يا أهل الكتاب) وصفوا بأهلية الكتاب
- تمهيداً لما سيأتى من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابتهم (هل تنقمون منا) من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرى بفتح القاف من حد علم وهى أيضاً لغة أى ماتعيون وما تنكرون
- منا (إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا) من القرآن المجيد (وما أنزل من قبل) أى من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية (وأن أكثركم فاسقون) أى متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا على أنه مفعول له لتنقمون والمفعول الذى هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فإن اتخاذ الدين هزواً ولعباً عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذى نقموه خلا أنه أبرز فى معرض علة نقمهم له تسجيلاً عليهم بكال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجباً لنقمه مع كونه فى نفسه موجباً لقبوله وارتضائه فلا استثناء من أعم العلل أى ما تنقمون منا ديننا لعله من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابتكم الناطق بصحة كتابنا لا منتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التردد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول لتنقمون منا لكن لا على أن المستثنى بمجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أى واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أى ما تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أى لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أى ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور أى ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم معلوم أى ثابت والجملة حالية أو معترضة وقرىء بأن للكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين
- ٦٠ متمردين (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) لما أمر عليه الصلاة والسلام بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضائه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر عليه الصلاة والسلام عقبيه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة مأم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم فى ضمن البيان جنائياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبىء عن عظم شأن المدين ويستدعى إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه أمراً خطيراً لما أن النبأ هو الخبر الذى له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة أو اعتقاداً وكان مجرد النقم غير مفيد

- لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقاً لشريعة ماسيدكر وزيادة تقرير لها وقيل إنما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله ﷺ عن دينه فقال عليه الصلاة والسلام أو من بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم وإنما اعتبر الشريعة بالنسبة إلى الدين وهو منزّه عن شائبة الشريعة بالكلية بحجّة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت أن دينهم شر من كل شر أى هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً (مثوبة عند الله) أى جزاء ثابتاً في حكمه
- وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] ونصّبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل (من لعنه الله وغضب عليه) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أى دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أى بشر من أهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إماماً على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم وإما باعتبار التقدير فيها فكأنه قيل ما الذى هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ أو قيل فى السؤال من ذا الذى هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وماتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهما كهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات وسنوح البينات (وجعل منهم القردة والخنازير) أى مسح بعضهم قرده وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى أصحاب السبت مسخت شبانهم قرده وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع إلى الموصول فى منهم باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه وإيثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لأن يشكك للقصد إلى إثبات الشريعة بما عدد فى حين صلاته من الأمور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهيج لجأهم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وإفراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبوداً فالراجع إلى الموصول محذوف على القراءتين أى عبد فيهم أو بينهم وتقديم أوصافهم المذكورة بصدد إثبات شريعة دينهم على وصفهم هذا مع أنه الأصل المستتبّع لها فى الوجود وإن دلّ على شريته بالذات لأن عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلائلها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شريعة ما يوجبها من الاعتقاد والعمل إما للقصد إلى تبكيثهم من أول الأمر بوصفهم بما لا سبيل لهم إلى الجحود لا بشريته وفضاعته ولا باتصافهم به وإما للإيدان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشريعة ولوروعى ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ بما فهم أن علة الشريعة هو المجموع وقد قرئ عبد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالإضافة على أنه نعت كفظن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالإضافة على أنه جمع عابد كخدم أو على أن أصله عبدة حذفت تاؤه للإضافة بالنصب فى الكل عطفاً على

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾

ه المائدة

القردة والخنازير وقرى عبد الطاغوت بالجر عطفاً على من بناء على أنه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل إن من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وأنت خير بأن ذلك مع اقتضائه إخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرّة مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورة أن المقصود الأصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هو كما مر مقدمة سيقت أمام المقصود لهرؤ المخاطبين وتوجيه أذهانهم نحو تلقى ما يلقي إليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عنها وهو المقصود إفادته وعليه يدور ذلك الإلزام والتبكيك حسبما شرح فإذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تنمة الجملة الاستفهامية فإين الذي يلقي إليهم عقيبها جواباً عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الإلزام والتبكيك وأما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ عن الجملة الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الناشئ عنها يستدعى وقوع الشر من تنمة المخبر عنه لا خبراً كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيداً تضاح ياذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى أيضاً ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة إذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيك أن ما هو شر مما نقموه دينهم أو أن من هو شر من أهل ما نقموه أنفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشريعة على كلا الوجهين من تنمة الموضوع غير مقصودة الإثبات لدينهم أو لا أنفسهم عقب ذلك بإثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبانح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال أو داخله تحت الأمر تأكيداً للإلزام وتشديداً للتبكيك فقيل (أولئك شر مكاناً) فاسم الإشارة عبارة عن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أى أولئك الموصوفون بتلك القبانح والفضائح شر مكانهم جعل مكاناً شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكاناً أى منصرفاً (وأضل عن سواء السبيل) عطف على شر مقرر له أى أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شراً محضاً بعيداً عن الحق لأن ما يسلكونه من الطريق دينهم فإذا كانوا أضل كان دينهم ضلالاً بيناً لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضوعين للزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى من يشاركونهم في أصل الشرارة والضلال (وإذا جاءوكم قالوا آمنا) نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً فالحطاب لرسول الله ﷺ والجمع للتعظيم أوله مع من عنده من المسلمين أى إذا جاءوكم أظهروا الإسلام (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والملتبان حالان من فاعل قالوا بالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

• المائدة

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ • المائدة

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالتَّقِينَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

• المائدة

وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضاً بما فيها من معنى التوقع أن أمارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول ﷺ يظنه ويتوقع أن يظهره الله تعالى ولذلك قيل (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم (وترى) خطاب لرسول الله ﷺ ٦٢ أولكل أحدين يصلح للخطاب والرؤية بصرية (كثير منهم) من اليهود والمنافقين وقوله تعالى (يسارعون في الإثم) حال من كثير أ وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول أنسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسايرة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وإيثار كلمة في على كلمة إلى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم والمراد بالإثم الكذب على الإطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام (والعدوان) أى الظلم المتعدى إلى الغير أو مجاوزة الحد في المعاصي (وأكلهم السحت) أى الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الإثم للبالغة في التقيي (لبئس ما كانوا يعملون) أى لبئس شيئاً كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار) قال الحسن الربانيون علماء ٦٣ الإنجيل والأحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم أفناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغيبته على نهى أسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه (عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لما أن العمل لا يبلغ درجة الصنع مالم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقيح من موقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ ذم وفيه بما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس

ما لا وأخصهم ناحية فلما عصوا الله سبحانه بأن كفروا برسول الله ﷺ وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم
 فعند ذلك قال فنحاص بن حازوراء (يد الله مغلوله) وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك
 العظيمة إلى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل واحد منهم وأرادوا بذلك لعنهم الله أنه تعالى
 عمسك يقتر بالرزق فإن كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك
 إلى إثبات يد وغل أو بسط ألا يرى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله [جاد الخمي
 بسط اليدين بوابل * شكرت نداء تلاعه ووهاده] وقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال
 [وغداة ريح قد شهدت وقرة * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها] فإنه إنما أراد بذلك إثبات القدرة
 التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير أن يخطر بباله أن يثبت لها يداً
 ولا للقرة زماماً وأصله كناية فيمن يجوز عليه لإرادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر إليهم
 يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل أرادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
 إن الله فقير ونحن أغنياء (غلت أيديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر والنكد أو بغل
 الأيدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون
 المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره (ولعنوا) عطف على
 الدعاء الأول أي أبعدها من رحمة الله تعالى (بما قالوا) أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما
 خبر (بل يدها مبسوطتان) عطف على مقدر يقتضيه المقام أي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون
 من الجود وإليه أشير بثنية اليد فإن أقصى ما ينتهى إليه هم الأسخياء أن يعطوا ما يعطونه بكتنا أيديهم
 وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على إعطائه إكراماً وعلى إعطائه استدراجاً
 (ينفق كيف يشاء) جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق
 الذي اتخذه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة إلى الاجترار على تلك الكفرة العظيمة والمعنى أن ذلك
 ليس لقصور في فيضه بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور أمر المعاش والمعاد
 وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم كما يشير إليه ما سيأتي من قوله
 عز وجل ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل نصب على الحالية
 من ضمير ينفق أي ينفق كأنما على أي حال يشاء أي كأنما على مشيئته أي يريد أو ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم
 (وايزيدن كثيراً منهم) وهم علماءهم ورؤساؤهم (ما أنزل إليك) من القرآن المشتمل على هذه الآيات
 وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليس كذلك (من ربك) متعلق
 بأنزل كما أن إليك كذلك وتأخير عنه مع أن حق المبدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام
 ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليه عليه السلام كما في قوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء
 والنعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام (طغياناً وكفراً)
 مفعول ثان للزيادة أي ليزيدنهم طغياناً على طغيانهم وكفراً على كفرهم القديمين إما من حيث الشدة
 والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما نزلت آية كفروا بها فزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ المائدة
 وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
 مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ المائدة

- كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المريض مرضاً (والقينا بينهم) أى بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم
- قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة (العدواة والبغضاء) فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق
- أفواههم والجملة مبتدأ مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر
- يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين قيل العدواة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس كلى (إلى
- يوم القيامة) متعلق بأقينا وقيل بالبغضاء (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) تصریح بما أشير إليه
- من عدم وصول غائلة ما هم فيه إلى المسلمين أى كلما أرادوا محاربة الرسول ﷺ ورتبوا مبادئها وركبوا
- في ذلك متن كل صعب وذلول رددهم الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم
- النوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الروم ثم أفسدوا فسلط
- الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا أو متعلق بمحذوف
- وقع صفة لنار أى كائنة للحرب (ويسعون في الأرض فساداً) أى يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله
- وإنارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفساداً إما مفعول له أو في موقع
- المصدر أى يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد (والله لا يحب المفسدين) ولذلك أطفا نائرة إفسادهم
- واللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولاً وإما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان
- كونهم راسخين في الإفساد (ولو أن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس ٦٥
- المنتظم للتوراة والإنجيل وإنما ذكروا بذلك العنوان تأكيداً للتشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم
- به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع ففعل
- قوله تعالى (آمنوا) محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تقفون منا إلا أن آمنا بالله وما
- أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الخ أى
- ولو أنهم مع صدور ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولاً وفعلآ آمنوا بما نفي عنهم الإيمان به فيندرج
- فيه فرض إيمانهم برسول الله ﷺ وأما إرادة إيمانهم به ﷺ خاصة فإياها المقام لأن ما ذكر فيما سبق
- وما لحق من كفرهم به ﷺ إنما ذكر مشفوعاً بكفرهم بكتابهم أيضاً قصداً إلى الإلزام والتبكيت ببيان أن
- الكفر به ﷺ مستلزم كفر بكتابهم فحمل الإيمان ههنا على الإيمان به ﷺ خاصة مغل بتجاوب
- أطراف النظم الكريم (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم
- سيئاتهم) التي اقترفوها وإن كانت في غابة العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم) مع ذلك
- (جنات النعيم) وتكرير اللام لنا كيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام
- يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) بمراعاة ٦٦

يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ هـ المائة

- ما فيهما من الأحكام التي من جهاتها شواهد نبوة النبي ﷺ وبشرات بعثته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك
لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لا تنسخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في
● شيء (وما أنزل إليهم من ربهم) من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وإيراده بهذا العنوان للإبذان بوجوب
إقامته عليهم لنزوله إليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله إلى بني إسرائيل وتقديم إليهم
لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم
كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حزقيا وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالمشارة ببعثته ﷺ
● (لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض
أو بأن يكثر ثمرات الأشجار وغلل الزروع أو بأن يرزقهم الجنان الياقة الثمار فيجتنبوا ما تهلل منها من رءوس
الأشجار وبلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد بالمبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهاتين
كأنه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله فلان
يعطى ويمنع ومن في الموضعين لا ابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حشمهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى
والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الإخلال به بما ذكر ببيان إفضائه إلى الحرمان عنها وتبليهم
● على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جنائياتهم لا لقصور في فيض الفيض ما لا يخفى (منهم
أمة مقتصدة) جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالين
على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مهرون
على عدم الإيمان الخ فقليل منهم أمة مقتصدة إما على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي بعضهم أمة وإما
بتقدير الموصوف أي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي طائفة
معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصاري وقيل طائفة حاظم
● أم في عداوة رسول الله ﷺ (وكثير منهم) مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (سأما يعملون) أي مقول
في حقهم هذا القول أي بثما يعملون وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف
الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة وهم الأجلاف المتعصبون ككعب بن الأشرف وأشباهه
٦٧ والروم (يا أيها الرسول) نودي ﷺ بعنوان الرسالة تشریفاً له وإبذاناً بأنها من موجبات الإتيان بما
● أمر به من تبليغ ما أوحى إليه (بلغ ما أنزل إليك) أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها
● كائناً ما كان وفي قوله تعالى (من ربك) أي مالك أمورك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه
● ﷺ وكلامه أي بلغه غير مراقب في ذلك أحداً ولا خائف أن ينالك مكره أبداً (وإن لم تفعل) ما أمرت
● به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبغي عنه قوله تعالى (فما بلغت رسالته) فإن ما لا تتعلق به الأحكام

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَٰكِيذَنۢ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ٥ المائدة

- أصلاً من الأسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أى فما بلغت شيئاً من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرّة لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلمها لإدلاء كل منها بما يدلّه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في أن الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن به ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدى منها أكثره بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئاً منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعاً من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن كنت آية لم تبلغ رسالاتي وروى عن رسول الله ﷺ بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله إلى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فإنه كما ترى عدة كريمة ● بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له ﷺ على الجذ في تحقيق ما أمر به من التبليغ غير مكثوث بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ كان يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) ● تعليل لعصمته تعالى له ﷺ أى لا يمكنهم مما يريدون بك من الأضرار وإيراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول ﷺ مشافهتهم بها وخصوصاً ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالتهم ولذلك أعيد الأمر فقيلاً (قل ٦٨ يا أهل الكتاب) مخاطباً للفريقين (لستم على شيء) أى دين يعتد به ويلقب بأن يسمى شيئاً لظهور بطلانه ● ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير مالا غاية وراهه (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ● أى تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جهلتهادلائل رسالة الرسول ﷺ وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست من إقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخرجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشر فبهما بيعته وذكر في تضاعيفهما نعمته فاذا إن إقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الأحكام كما يفصح عنه قوله تعالى (وما أنزل إليكم من ربكم) أى القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك ● وتقديم إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزاهم عن رتبة الشقاق وإيراده بعنوان الإنزال إليهم لما مر من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي إضافة الرب إلى ضميرهم ما أشير إليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

• المائة

أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل كما مر وقيل الكتب الإلهية فإنها بأسرها آمرة بالإيمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له. روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ألسنت تقرأ أن التوراة حق من عند الله تعالى فقال ﷺ بلى فقالوا فإننا مؤمنون بها ولا تؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوم في المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ نفعاً وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماءهم وزوساؤهم ونسبة الإنزال إلى رسول الله ﷺ مع نسبته فيما مر إليهم للإنباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة (فلا تأس على القوم الكافرين) أى لا تتأسف ولا تحزن عليهم لإفراطهم في الطغيان والكفر بما تبليغه إليهم فإن غائلته آيلة إليهم وتبعته حاققة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمهر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر (إن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الإيمان والعمل الصالح أى الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل أعم من أن يواطئوا قلوبهم أولاً (والذين هادوا) أى دخلوا في اليهودية (والصابئون والنصارى) جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخر عما في حين إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله [فإن] وقيارها لغريب] وقوله [وإلا فاعلموا أنا وأنتم] بغاة مابقينا في شقاق] خلا أنه وسط بين اسم إن وخبرها دلالة على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيفهم عن الأديان كلها حيث قبلت توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فغيرهم أولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر إن. مقدار كما في قوله [نحن بما عندنا وأنت بما] عندك راض والرأى مختلف] وقيل النصارى مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطفاً عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بأن ولا مساع لعطفه وحده على محل إن واسمها لا اشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر وإلا لا ترفع الخبر بأن والابتداء معاً واعتذر عنه بأن ذلك إذا كان المذكور خبراً لها وأما إذا كان خبر المعطوف محذوفاً فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولا سفلزامة كون الصابئين هوداً وقرى. والصابئون بياء صريحة وتخفيف الهمزة وقرى. والصابئون وهو من صبا يصبوا لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرى. والصابئين وقرى. يأبها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) إمامي محل الرفع على أنه مبتدأ خبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الأخيرة باعتبار معنى الموصول كما أن أفراد مافى صلته باعتبار لفظه والجملة

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

٥ المائدة

خبر إن والعائد إلى اسمها محذوف أى من آمن منهم وإما فى محل النصب على أنه بدل من اسم إن وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما فى قوله عز وعل إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الأظهر من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه أهل الكتاب فإن ذلك بمعزل من أن يكون إيماناً بهما وعمل عملاً صالحاً حسبما يقتضيه الإيمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضییع العمر وتقويت الثواب والمراد بيان دوام انتقامهم لا بيان انتفاء دوامهما كما يورمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً لأن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وأما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الإسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الإطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة فى ترغيب الباقين فى الإيمان ببيان أن تأخيرهم فى الاتصاف به غير محمل بكونهم أسوة لأولئك الأقدمين الأعلام وأما ما قيل المعنى من كان منهم فى دينه قبل أن ينسخ مصداقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه فيما لا سبيل إليه أصلاً كما مر تفصيله فى سورة البقرة (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جنایاتهم المنادية باستبعاد الإيمان ٧٠ منهم أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والأحكام المكتوبة عليهم فى التوراة (وإرسالنا إليهم رسلاً) ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير ليقروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلوهم على ما أتون ويذرون فى دينهم ويتعمدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) جملة شرطية مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الأخبار بأخذ الميثاق وإرسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فإذا فعلوا بالرسل فقبل كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبهم أنفسهم المنهمكة فى الغنى والفساد من الأحكام الحققة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما أظهموه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الإجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقبل فريقاً منهم كذبوهم من غير أن يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقاً آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم أيضاً وإنما أوتر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبيه على أن ذلك ديدنهم المستمر والدحافة على رموس الآلى الكريمة وتقديم فريقاً فى الموضوعين للاهتمام به وتشويق السامع إلى ما فعلوا به لا للقصر هذا وأما

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

ه المائدة

جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب إليه الجمهور فلا يساعده المقام أصلاً ضرورة أن الجملة الخبرية إذا
جعلت صفة أو صلة ينسخ ما فيها من الحكم وتجعل عنواناً للموصوف تنمة له في إثبات أمر آخر له ولذلك
يجب أن يكون الوصف معلوم الانسحاب إلى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفاً له ومن هنا قالوا
إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها أوصاف ولا ريب في أن ماسيق له النظم إنما هو
بيان أنهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل أو التكذيب حسبما يفيد جعلها استئنافاً
على أبلغ وجه وأكده لا يبان أنه تعالى أرسل إليهم رسلاً موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى
جعلها صفة (وحسبوا أن لا تكون فئته) أي حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم من الله تعالى بما أتوا
من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرى لا تكون بالرفع على أن هي الخففة من أن
واسمها ضمير الشأن المحذوف وأصله أنه لا تكون فئته وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله
منزلة العلم لكمال قوته وأن بما في حيزها ساد مسد مفعوليه (فعموا) عطف على حسبوا والقاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي أمنوا بأس الله تعالى قتيادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين
بعد ما هداهم الرسل إلى معالمه الظاهرة وبنوا لهم مناهج الواضحة (وصموا) عن استماع الحق الذي أقوه
عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا إشارة إلى المرة الأولى من مرتي لإفساد بني إسرائيل حين خالفوا
أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعياً وقيل حسبوا أرمياء عليهما السلام لا إلى عبادتهم العجل
كما قيل فإنها وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام
ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاءهم بعده عليه السلام بأعصار (ثم تاب الله
عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا يبابل دهر أطويلا تحت قهر بخت نصر
أسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكاً عظيماً من ملوك فارس إلى بيت المقدس
ليعمره ونجى بقايا بني إسرائيل من أسر بخت نصر بعد مهلكة وردم إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في
الآكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهم ابن إسفنديار
الملك من جده كستاسف ألقى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه
السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر فقامت فيهم الأنبياء فرجعوا إلى أحسن ما كانوا
عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأما ما قيل من أن المراد قبول توبتهم عن عبادة
العجل فقد عرفت أن ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة إليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى
والصمم تجافياً عن التصريح بنسبة الخير إليهم وإنما أشير إليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيداً لبيان
نقضهم إياها بقوله تعالى (ثم عموا وصموا) وهو إشارة إلى المرة الآخرة من مرتي لإفسادهم وهو اجتراؤهم
على قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام لا إلى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فإن فنون

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

٥ المائدة

- الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تقناهي خلا أن انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسول عليهم السلام يقضى بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وفريء عموا وصموا بالضم على تقدير عمائم الله وصمهم أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نركته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبته وقوله تعالى (كثير منهم) بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
- أى أو تلك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) أى بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
 - استحضاراً لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسابناهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة لإجمالية الكفى بها تعويلاً على ما فصل نوع تفصيل في سورة بنى إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لأشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من أهل نينوى والأول هو الأظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل إلى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا إلى المرة الآخرة من الإفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خيبرود وقيل خيبروس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلي فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا إنه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهداً بأذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح

٧٢ ابن مريم) شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال أقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم ولدت لها قيل هم المملوكانية والماريعقوية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وقال المسيح) حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقييح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما أصروا عليه بما أوعدهم به أى قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطباً لهم (يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فإنى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (لأنه) أى الشأن (من يشرك بالله) أى شيئاً في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها أبداً كما لا يصل المحرم عليه إلى

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

• المائة

- المحرم فإنها دار الموحدين وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمحار لتحويل الأمر وتربية المهابة (وماواه
- النار) فإنها هي المعدة للبشر كين وهذا بيان لا بتلاثمهم بالعقاب إثر بيان حرمانهم الثواب (وما للظالمين من أنصار) أى ما لهم من أحد ينصرهم بإتقادهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام إما للعمد والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً ووضعها على الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام وإما وارد من جهته تعالى تأكيداً لمقالته عليه السلام وتقريراً لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قوهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وأنت خبير بأن التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلته لقوهم الباطل بصريح الرد والإنكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوى بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وإن كانوا معظمين له إلخ إلا أن يحمل الكلام على التهمك بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فإن زجره عليه السلام إياهم عن قوهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره إياهم بما مر من الرد الأكيد والوعيد الشديد بم عزل من الإفادة والتأثير ولا سبيل ههنا إلا الاعتذار بالتهكم (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم ومعنى قوهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وإنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل إنهم يقولون إن الإلهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء إله ويؤكد قوله تعالى لليسع أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى (وما من إله إلا إله واحد) ● أى والحال أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشراكة ومن مزيدة للاستغراق وقيل إنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وأبن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بالآول الذات وقيل

٥ المائدة

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ

٥ المائدة

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

- الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فعنى قوله تعالى وما من إله إلا إله واحد إلا إله واحد بالذات منزّه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه (وإن لم ينتهوا عما يقولون) من الكفر الشنيع ولم يوحّدوا وقوله تعالى (ليمس الذين كفروا) جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط أى وبالله إن لم ينتهوا ليمسهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى (منهم) بيانية أو ليمس الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعضية وإنما جرى بالفعل المنهى عن الحدوث تنبيهاً على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينهى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من أصل الكفر (عذاب أليم) أى نوع شديد الألم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) لأنكار الواقع واستبعاده لا لأنكار الوقوع ٧٤ وفيه تعجب من إصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والآقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله تعالى ويستغفرونه بالتوحيد والتزبه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول فدار الإنكار والتعجب عدم الانتهاء وعدم التوبة معاً أو أسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوراع الهائلة وقوله عز وجل (والله غفور رحيم) جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للإنكار والتعجب من إصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أى والحال أنه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول) استئناف مسوق لتحقيق ٧٥ الحق الذى لا يحيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال أمه بالإشارة أولاً إلى أشرف ماله من نعوت الكمال التى بها صاروا من زمرة أكمل أفراد الجنس وآخر إلى الوصف المشترك بينهما وبين جميع أفراد البشر بل أفراد الحيوان استنزالهم بطريق التدرج عن رتبة الإصرار على ما تقولوا عليهما وإرشاداً لهم إلى التوبة والاستغفار أى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الألوهية فإن خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضى لاستحالة ألوهيته أى ما هو إلا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا فى يد موسى عليه السلام وجعلت حية تسمى وهو أعجب منه وإن خلق من غير أب فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وإنما موسى وعيسى مظاهر لشئونه وأفعاله (وأمه صديقة) أى وما أمه أيضاً إلا كسائر النساء اللاتي يلازم من الصدق أو التصديق وبيالغن فى الاتصاف به فارتبتهما

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ • المائدة
قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ • المائدة

- إلا رتبة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين لكم أن تصفوهما بما لا يوصف به سائر الأنبياء وخواصهم
● (كانا يا كلان الطعام) استئناف مبين لما أشير إليه من كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يحتاج
● إليه كل فرد من أفرادهم بل من أفراد الحيوان وقوله تعالى (انظر كيف نبين لهم الآيات) تعجيب من حال
الذين يدعون لهم الربوبية ولا يراعون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بياناً لا يحوم حوله شائبة
ريب وكيف معمول لنبيين والجملة في حيز النصب معلقة لا نظراً أي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة
● المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال (ثم انظر أنى يوفكون) أي كيف يصرفون
عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيها قبله وتكرير الأمر بالنظر للبالغ في التعجيب وشم لإظهار
ما بين العجيبين من التفاوت أي إن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ لأقصى الغايات القاصية من التحقيق
٧٦ والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرّة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبدع (قل) أمر
● له عليه الصلاة والسلام بالزامهم وتبكيتهم إثر تعجيبه من أحوالهم (أتعبدون من دون الله) أي متجاوزين
● إياه وتقديمه على قوله تعالى (ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والنشويق
إلى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وإشارته على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه
بمعزل من الألوهية راسماً ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً
وهو عليه السلام وإن كان يملك ذلك بتسليمه تعالى إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به
الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضرر على النفع لأن التحرز عنه أهم من
● تحرى النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى (والله هو السميع العليم)
حال من فاعل أتعبدون مؤكداً للإنكار والتوبيخ ومقرر للإلزام والتبكيك والرابط هو الواو أي أتشركون
بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضرركم ونفعكم والحال أن الله تعالى هو المختص بالإحاطة النامة بجميع
المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة والعقائد الزائفة والأعمال
٧٧ السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة (قل)
يا أهل الكتاب) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى فريق أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النبي
ﷺ بعد إبطال مسلك كل منهما للبالغ في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الأمم
● المنشأة (لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة إلى
ما تقولوا في حقه من العظيمة واليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما تقولوا عليه من
الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان أهلية الكتاب لتذكير أن

لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

- الإنجيل أيضاً ينههم عن الغلو وقوله تعالى (غير الحق) نصب على أنه نعمت لمصدر محذوف أى لا تغلوا
- فى دينكم غلوا غير الحق أى غلوا باطلا أو حال من ضمير الفاعل أى لا تغلوا مجاوزين الحق أو من دينكم
- أى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء
- قوم قد ضلوا من قبل) هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى على القولين
- قبل مبعث النبي ﷺ فى شريعتهم (وأضلوا كثيراً) أى قوماً كثيراً ممن شايعهم فى الزيف والضلال أو
- إضلالاً كثيراً والمفعول محذوف (وضلوا) عند بعثة النبي ﷺ وتوضيح حجة الحق وتبيين مناهج
- الإسلام (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى
- العقل والثانى إلى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا) أى لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول ٧٨
- للجرى على سنن الكبرياء (من بنى إسرائيل) متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا
- وقوله تعالى (على لسان داود وعيسى ابن مريم) متعلق بلعن أى لعنهم الله تعالى فى الزبور والإنجيل
- على لسانهما وقيل إن أهل آيلة لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم
- آية فسخهم الله قرده وأصحاب المائدة لما كفر وأقال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة
- عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
- رجل ما فهم امرأة ولا صبي (ذلك) إشارة إلى اللعن المذكور وإيثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره
- وامتيازهم عن نظائره وانتظامه بسببه فى سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد الإيدان بكال فظاعته
- وبعد درجته فى الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما عصوا وكانوا يعتدون) والجملة مستأنفة واقعة
- موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بآى سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم
- واعتدائهم المستمر كما يفيد الجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى (كانوا لا يتناهون ٧٩
- عن منكر فعلوه) فإنه استئناف مفيد بعبارة لا استمرار عدم التناهى عن المنكر ولا يمكن استمراره
- إلا باستمرار تعاطى المنكرات وليس المراد بالتناهى أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر
- كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهى عن أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون
- كل واحد منهم ناهياً ومنهياً عما كافى تراوا الهلال وقيل التناهى بمعنى الانتهاء يقال تنهى عن الأمر وانتهى
- عنه إذا امتنع عنه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحاً
- وعلى الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر بأن لا يوجد فيما بينهم من يتولاه فى وقت من الأوقات
- ومن ضروره استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيد تنكير المنكر من الوحدة

تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خِلْدُونَ ﴿٨٠﴾

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾

- نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما أن متعلق الفعل إنما هو فرد من أفراد ما يتعلق به النهي والانتفاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من أفراد على أن المضى المعبر في الصفة إنما هو بالنسبة إلى زمان الزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة إلى تقدير المعادة أو المثل أو جعل الفعل عبارة عن الإرادة على أن المعادة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير إلى أحد ما ذكر من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو إلى جعل الفعل عبارة عن إرادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى (لبئس ما كانوا يفعلون) تقييد لسوء أفعالهم وتعجب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد أدام إلى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الإشارة إلى سببته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فإن إجراء الحكم على الموصول مشعر بعملية ما في حيز الصلة لما أن ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم أيضاً (ترى كثيرًا منهم) ٨٠
- أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي ﷺ والرؤية بصرية وقوله تعالى (يتولون الذين كفروا) حال من كثيراً لكونه موصوفاً أي يوالون المشركين بغضاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين وقيل من منافق أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لبئس شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم أي موجب سخطه تعالى ومحل الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرباط عند من يشترطه هو العموم أو لا حاجة إليه لأن الجملة عين المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف بنبى عنه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو أو أي شيء هو فقيل هو أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم أنفسهم جملة في محل الرفع على أنها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمته لهم أنفسهم فقوله تعالى أن سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيويه (وفي العذاب) أي عذاب جهنم (هم خالدون) أبداً لا بدين (ولو كانوا) ٨١
- أي الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب (يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم (وما أنزل إليه) من الكتاب أو لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا إيماناً صحيحاً (ما اتخذوهم) أي المشركين أو اليهود (أولياء) فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعاً (ولكن كثيرًا منهم فاسقون) خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم أو منحدرون في النفاق مفرطون فيه .

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ قَسْبِيسٍ وَرَهْبَانًا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ هـ المائدة

- (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقبتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للبشركين أكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد صالح له إيذاناً بأن حالهم مما لا يخفى على أحد من الناس والوجدان متعدل إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنهما في الأصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وهما دليل واضح عليه وهو أن المقصود بيان كون الطائفتين أشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون أشد عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وأنت خير بأنه معزل من الدلالة على ذلك كيف لا والإفادة في الصورة الثانية أتم وأكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير إذ المعنى أنك إن قصدت أن تعرف من أشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبع أحوال الطوائف طرأ أو أخطت بما لديهم خبر أو بالغت في تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الأمور البارزة والكامنة لتجدن الأشد تينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالناء مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة أي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وقضا عاف كفرهم وانهم اكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجترأ على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا إيذاناً بتقدمهم عليهم في الحرص (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) أعيد الموصول مع صلته روماً لزيادة التوضيح والبيان (الذين قالوا إنا نصارى) عبر عنهم بذلك لإشعاراً بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وإن لم يظهر واعتقاد حقيقة الإسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئاً واحداً قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف أو بالقرب والبعد بأن يقال آخراً ولتجدن أضعفهم عداوة الخ أو بأن يقال أولاً لتجدن أبعد الناس مودة الخ للإيذان بكال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان أن أحدهما في أقصى مراتب النقيضين والآخر في أقرب مراتب النقيض الآخر (ذلك) أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب أن منهم (فسييسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سوا به لمباغتتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيساً لتبعه العلم وقيل قص الأثر وقسه بمعنى وقيل

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

ه المائدة

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ ه المائدة

- لأنه أعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيغت النصارى الإنجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فن راعى هديه ودينه قيل له قسيس (ورهبانا) وهو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشده في قول من قال [لوعاينت رهبان دير في قلل] لا قبل الرهبان يعدونزل [والترهب التبعيد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلوفي تحمل التبعيد من فرط الخوف والتسكير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين أيضا إذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة لجنس بمصلحة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا فمن اليهود أيضا قوم مهتدون ألا يرى إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود (وأنهم لا يستكبرون) عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموا ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس فسببها لأقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كان ذلك من كافر (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) عطف على لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقعة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبطائهم إياه (ترى أعينهم تفيض من الدمع) أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعية لأن ما عرفوه بعض الحق وحيث أبكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ أعينهم على صيغة المبني للمفعول (يقولون) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون (ربنا آتنا) بهذا أو بمن أنزل هذا عليه أو بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا أو من الضمير المجزور في أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا (فاكتبنا مع الشاهدين) أي الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو مع أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة وإنما قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك (وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق) كلام مستأنف قالوه تحقيقا لإيمانهم وتقريراً له بإنكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على أن قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار أي شيء حصل لنا

فَأَشْبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ • المائدة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ • المائدة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ • المائدة

- غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبب جميعاً كما في قوله تعالى ومالي لا أعبد الذي فطرني ونظائره لا إلى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وأمثاله فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما في أتضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما في أضرب أبي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فإن كلام من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد يكون الإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في الآية الأولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضاً قطعاً فإن عدم العبادة أمر مفروض حتماً وقوله تعالى (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال أخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الأولى مقيداً بها أى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين أو من الضمير في لا تؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على تؤمن على معنى وما لنا نجتمع بين ترك الإيمان وبين الطمع المذكور (فأناهم الله بما قالوا) ٨٥ أى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أى معتقده وقرئ فاتأثم الله (جنات تجري من تحتها الأنهار • خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور . والآيات الأربع روى أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله ﷺ بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر القسيسين والرهبان فأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بهاجماً بين الترغيب والترهيب (بأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ماسلف من مدح النصارى على الترهيب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالهني عن الإفراط في الباب أى لا تمنعوها أنفسكم كنع التحريم أو لا تقولوا حرمانها على أنفسنا مبالغاً منكم في العزم على تركها زهداً منكم وتقشفاً وروى أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت
- ١٠٠ - أبو السعود ج ٣

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

• المائة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

• المائة

تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

- عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقرّبوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الأرض ويحبوا هذا كيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لا نفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأناصوم وأفطر وآكل اللحم والدم وآتي النساء فمن رغب
- هن سنتي فليس مني فزت (ولا تعتدوا) أي ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً فهي عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخلاً أولاً لوروده عقبيه أو أريدوا لا تعتدوا بذلك (إن الله لا يحب المعتدين) تعليل
 - لما قبله (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) أي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله لحلالاً مفعول كلوا وما رزقكم إما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة أو متعلق بكلوا ومن ابتدائية أو هو المفعول وحلالاً حال من الموصول أو من طائفة المحذوف أو صفة لمصدر محذوف أي أكلاً حلالاً وعلى الوجوه كلها لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) تأكيد
 - ٨٩ للوصية بما أمر به فإن الإيمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتها عما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا أن يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بأيماننا فزت وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما يبدو من المرة من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه
 - (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموه إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم لحذف العلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عافدتم بمعنى عقدتم (فكفارتهم) أي فكفارة نكثته وهي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهرها على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله ﷺ من حلف على يمين ورأى غيرها
 - خيراً فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه (إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) أي من أفصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لأنه صفة مفعول

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٩٠﴾

• المائدة •

- محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً كائناً من أوسط ما تطعمون أو الرفع على أنه بدل من
إطعام وأهلون جمع أهل كارضون جمع أرض وقرىء أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات
الثلاث كالآلأب وهذا أيضاً جمع أهل كالأراضى في جمع أرض والليالى في جمع ليل وقبل جمع أهلة (أو
كسوتهم) عطف على إطعام أو على محل من أوسط على تقدير كونه بدلاً من إطعام وهو ثوب يغطي
العورة وقيل ثوب جامع قبض أو رداء أو إزار وقرىء بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة وأسوة في
أسوة وقرىء أو كآسوتهم على أن الكاف في محل الرفع تقديره أو إطعامهم كآسوتهم بمعنى أو كمثل
ما تطعمون أهليكم إسرافاً وتقدير أو آسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط (أو تحرير رقبة) أى
أو إعتاق إنسان كيفما كان وشرط الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى
أو إيجاب إحدى الخصال مطلقاً وخيار التعيين للمكلف (فمن لم يجد) أى شيئاً من الأمور المذكورة
(فصيام) أى فكفارة صيام (ثلاثة أيام) والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعى
رضى الله عنه لا يرى الشواذ حجة (ذلك) أى الذى ذكر (كفارة إيمانكم إذا حلفتم) أى وحنثتم (واحفظوا
إيمانكم) بأن تضنوا بها ولا تبدلوها كما يشعر به قوله تعالى إذا حلفتم وقيل بأن تبرأ فيها ما استطعتم ولم
يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاوناً بها
(كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الآتى لا إلى تبين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما أقاده
اسم الإشارة من الفخامة ومحله فى الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير يبين الله
تبييناً كائناً مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للسكتة المذكورة
فصار نفس المصدر لانعتاله وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أى ذلك البيان
البديع (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه لا بياناً أدنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مراراً
(لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج (بأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب) ٩٠
أى الأصنام المنصوبة للعبادة (والأزلام) سلف تفسيرها فى أوائل السورة الكريمة (رجس) قدر
تعاف عنه العقول وإفراده لأنه خبر الخبر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالذكور أو المضاف محذوف
أى شأن الخمر والميسر الخ (من عمل الشيطان) فى محل الرفع على أنه صفة رجس أى كائن من عمله لأنه
مسبب من تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) أى الرجس أو ما ذكر (لعلكم تفلحون) أى راجين فلاحكم
وقيل لكى تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد أكد تحريم
الخمر والميسر فى هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صدرت الجملة بإنما وقرنا بالأصنام والأزلام
وسمى رجساً من عمل الشيطان تنبيهاً على أن تعاطيها شربحت وأمر بالاجتناب عن عينيها وجعل ذلك

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾

• المائدة

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

• المائدة

سبباً يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية

والدينية المقتضية للتحريم ف قيل (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر)

• وهو إشارة إلى مفاسدهما الدنيوية (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) إشارة إلى مفاسدهما الدينية

وتخصيصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على أن المقصود بيان حالهما وذكر الأصنام

والأزلام للدلالة على أنها مثلها في الحرمة والشرارة لقوله ﷺ شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص

الصلاة بالإفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها

عماده ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أصناف الصوارف ف قيل

• (فهل أنتم منتهون) إيذاناً بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد باغ

الغاية وأن الاعتذار قد انقطعت بالكلية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) عطف على اجتنبوه أي

• أطيعوهما في جميع ما أمرا به ونهيا عنه (واحذروا) أي مخالفتهما في ذلك فدخل فيه مخالفة أمرهما

• ونهيهما في الخمر والميسر دخولاً أولياً (فإن توليتم) أي أعرضتم عن الامتثال بما أمرتم به من الاجتناب

• عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والاحتراز عن مخالفتهما (فأعلموا أنما على

رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج وقامت عليكم

الحجة وانتهت الاعتذار وانقطعت العلل وما بق بعد ذلك إلا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد

• ما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى فأعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين

بالآيات وقد فعل وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام إذ لا يتوهم منهم

• ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه ﷺ - في يرد عليهم بأنهم لا يضرونه وإنما يضرون أنفسهم (ليس على

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أي إثم وخرج (فيما طعموا) أي تناولوا أكلًا أو شرباً فإن

استعماله في الشرب أيضاً مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فإنه مني قيل لما أنزل الله تعالى تحريم

الخمر بعد غزوة الأحزاب قال رجال من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أصيب فلان يوم بدر وفلان

يوم أحد وهم يشربونها ونحن نشهد أنهم في الجنة وفي رواية أخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة

رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف يا خواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر وفي

٩١

٩٢

٩٣

- رواية أخرى قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القهار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة وإلا لزم تقييد إباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى (إذا ما اتقوا) واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت أو موصوفة وإنما تخصصت بذلك القيد الطارىء عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائناً ما كان إذا اتقوا أن يكون في ذلك شيء من المحرمات وإلا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه إذ اللازم منه تقييد إباحة الكل بأن لا يكون فيه محرم لا تقييد إباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الأول (وآمنوا وعملوا الصالحات) أى واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة وقوله تعالى (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط أى اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحاً فيما سبق (وآمنوا) أى بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه إما للاعتناء به أو لأنه الذى يدل على التحريم الحادث الذى هو المؤمن به أو استمروا على الإيمان (ثم اتقوا) أى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحاً من قبل على أن المشروط بالاتقاء في كل مرة إباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا إباحة كل ما طعموه قبله لا تنسخ إباحة بعضه حينئذ (وأحسنوا) أى عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقلبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرار بالغاً ما بلغ والمعنى أنهم إذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة أوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب إذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وأنت خير بأن ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وإنما ذكرت في حيز إذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحهم بذلك ومحمداً لا حوالهم وقد أشير إلى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعاً للاتقاء في كل مرة تميزاً بينها وبين ما له دخل في الحكم فإن مساق النظم الكريم بطريق العبارة وإن كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النوات فيما سياتى بقضية كلمة إذا ما لكنه قد أخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لإثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلى على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتغالهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه إذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما أمروا بشيء تلقوه بالامثال وإنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريرها إذ ذاك ولو حرما في عصرهم لا تقوما بالمرّة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جرى بالإحسان في الكرة الثالثة بدل الإيمان إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب والشبهات توقياً من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعملون ثم كلا سوف تعملون ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر والثاني

يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنُكُمُ اللَّهُ شَيْءً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ ءَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾

• المائة

- ٩٤ (والله يحب المحسنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير (بأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله) جواب قسم محذوف أي والله ليعاملنكم بمعاملة من يختبركم ليتعرف أحوالكم (بشيء من الصيد) أي من صيد البر ما كولا أو غير ما كولا ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاه الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها أخذاً بأيديهم
- وطعناً برماحهم وذلك قوله تعالى (تناله أيديكم ورماحكم) فهموا بأخذها فزلات وروى أنه عن لهم حمار وحش لحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعنه برمح و قتله فقيل له قتله وأنت محرم فأق رسول الله ﷺ وسأله عن ذلك فأنزل الله تعالى الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم إنما هو لتحقيق أن ما وقع من عدم توحيش الصيد عنهم ليس إلا لا بتلاشهم لا لتحقيق وقوع المبلى به كالأقدام الراسخين كالأقدام قبل الابتلاء وتنكير شيء لتحقيق المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام الراسخين كالأقدام بقتل النفس وإتلاف الأموال وإنما هو من قبيل ما ابتلى به أهل أيلة من صيد البحر وقائدته التنبيه على أن من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعاً أي شيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة إلى كل الصيد لا بالنسبة إلى عظامم البلياء
- فيعبري الكلام عن التنبيه المذكور (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليميز الخائف من عقابه الأخرى وهو غالب مترقب لقوة إيمانه فلا يتعرض للصيد من لا يخافه كذلك لضعف إيمانه فيقدم عليه وإنما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى إلزاماً له إيداناً بمدار الجزاء ثواباً وعقاباً فإنه أدخل في حلمهم على الخوف وقيل المعنى ليعلم الله تعالى من يخافه بالفعل فإن علمه تعالى بأنه سيخافه وإن كان متعلقاً به قبل خوفه لكن تعلقه بأنه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه أمر الجزاء إنما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرىء ليعلم من الإعلام على حذف المفعول الأول أي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد إلى واحد وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لترية المهابة وإدخال الروعة (فمن اعتدى بعد ذلك) أي بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه أو النهي عنه كما قاله بعضهم إذ النهي والتحريم ليس أمراً حادثاً يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره آخرون لأن نفس الابتلاء لا يصلح مداراً للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذراً مسوغاً لتخفيفه وإنما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية أي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحيشه منهم ابتلاء مؤد إلى تمييز المطيع من العاصي (فله عذاب

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ
النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِمَّنْ هَذَا يَأْتِيهِ الْكُفَّةُ أَوْ كَفَّرَ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ
صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

• المائدة

اليم) لما ذكر من أنه مكابرة محضه ولأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعى حكم الله تعالى في أمثال هذه
البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظام المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدأ وينزع ثيابه (بأيها الذين آمنوا) شروع في بيان ما يتدارك ٩٥
به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى (لا تقتلوا الصيد
وأنتم حرم) مع كونه معلوما لاسيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب
ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعمد حسبا سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه
من في الحرم وإن كان حلالا كروح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا تقتلوه وأنتم محرمون
(ومن قتله) أي الصيد المهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للإيذان بكونه في حكم الميتة (منكم)
متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله أي كائنا منكم (متعمدا) حال منه أيضا أي ذا كرا لإحرامه
عالمًا بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ لما أن الآية
نزلت في المتعمد كما مر من قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن
الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطأ
شيئا أخذًا باشرائط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن أن المراد بالتعمد هو تعمد القتل
مع نسيان الإحرام أما إذا قتله عمداً وهو ذا كرا لإحرامه فلا حكم عليه وأمره إلى الله عز وجل لأنه
أعظم من أن يكون له كفارة (فجزاء مثل ما قتل) برفعهما أي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرىء برفع الأول
ونصب الثاني على إعمال المصدر وقرىء بجر الثاني على إضافته إلى مفعوله وقرىء فجزاؤه مثل ما قتل على
الابتداء والخبرية وقرىء بنصبهما على تقدير فليجز جزاء أو فعليه أن يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد
به عند أبي حنيفة وأبي يوسف رضي الله عنهما المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد أو في أقرب
الأمكن إليه فإن بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجاني بين أن يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه إلى
الحرم وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم
عن طعام كل مسكين يوماً فإن فضل مالا يبلغ طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوماً كاملاً إذ لم يعهد
في الشرع صوم مادونه فيكون قوله تعالى (من النعم) بيانا للهدى المشتري بالقيمة على أحد وجوه التخيير
فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ومن
يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لأن الله تعالى أو حجب مثل المقتول مقبداً بالنعم فمن اعتبر

المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضى الله عنهم أنهم أوجبوا في النعامة بدنة وفي الطي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقا وعن النبي ﷺ أنه قال الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول يراد به إما المثل صورة ومعنى وإما المثل معنى وأما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع أصلا وإذا لم يمكن إرادة الأول إجماعا تعينت إرادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد ألا يرى أن المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الإلتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الأوصاف بل مضمونا بقيمته مع أن المنصوص عليه في أمثاله إنما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلذلك تعتبر ما بين أفراد أنواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتيسر المحافظة عليها أولى وأحرى ولأن القيمة قد أريدت فيما لا نظير له إجماعا فلم يبق غيره مرادا إذ لا عموم للبشر في مرافع الإثبات والمراد بالمروى إيجاب النظر باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الأصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن يعمد الجاني إليها فيصرفها إلى المصارف ابتداء بل باعتبار أن يجعلها معيارا فيقدر بها إحدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال وأما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثانی الحال بناء على وصفه الأول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فخهما أن يعطفا على الوصف المفارق لأعلى الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي بإذن الله تعالى وما يرشدك إلى أن المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل (يحكم به) أى بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) أى حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لأن التقويم هو الذي يحتاج إلى النظر والاجتهاد من العدول دون الأشياء المشاهدة التي يستوى في معرفتها كل أحد من الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أرا دوا بما به المماثلة بل لأن ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدى إليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد أهل الهداية والإرشاد إلا المؤيدون بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي رضى الله عنه أوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما أثبت بينهما من المماثلة من حيث أن كلا منهما يحب ويهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفرض معرفة أمثال هذه الدقائق العويصة إلى رأى عدلين من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من أنواع الصيد نوع من أنواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة إلى حكم أصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى (هديا) حال مقدرة من الضمير في به أو من جزاء ما ذكر من تخصصه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أى يهديه هديا والجملة صفة أخرى لجزاء (بالغ الكعبة) صفة لهديا لأن الإضافة غير حقيقية (أو كفارة) عطف على محل من النعم على أنه خبر

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَالَكُمُ وَاللَّيَّارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكُم صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

• المائدة

- مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما أشير إليه وقوله تعالى (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة
- عند من لا يخصه بالمعارف أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام مساكين وقوله تعالى (أو عدل ذلك صياماً) عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعدد مخيئت تكون المائلة وصفاً لازماً للجزاء يقدر به الهدى والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثانية فيختار الجاني كلامها بدلاً من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء إلى القياس على الهدى تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرىء أو كفارة طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرىء طعام مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرىء أو عدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله وللحكيمين عند محمد رحمه الله (ليذوق وبال أمره) متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أى فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال أمره أى سوء عاقبة هتك حرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذاً وببلا ومنه الطعام الويل وهو الذي لا تستمره المعدة (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرماً قبل أن يسألوا رسول الله ﷺ وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم (فينتقم الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أى فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه أى فأنا أمتعه والمراد بالانتقام العقاب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء إبراهيم وسعيد بن جبيرة والحسن أنها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضى الله عنهما وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر (والله عزيز) غالب لا يغالب (ذو انتقام) شديد فينتقم من أصر على المعصية والاعتداء (أحل لكم) الخطاب للحرمين (صيد البحر) أى ما يصاد في المياه كلها بجزء كان أو نهراً أو غدير أو هو مالا (أحل لكم) إلا في الماء ما كولا أو غير ما كولا (وطعامه) أى وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وقرىء

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ هـ المائة

- وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نصب عنه (متاعا لكم) نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة حال مختصة يعقوب عليه السلام
- أي أحل لكم طعامه متميماً للقيم منكم يأكلونه طرياً (وللسيارة) منكم يتزودونه قديداً وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر أي متعمكم به متاعا وقيل مؤكداً بمعنى أحل لكم فإنه في قوة متعمكم به متميماً
- كقوله تعالى كتاب الله عليكم (وحرّم عليكم صيد البر) وقرىء على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء (مادتم حرماً) أي محرمين وقرىء بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وإن لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمرو ابن عباس رضي الله عنهم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرّم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
- مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيدله (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه أوفى جميع المعاصي التي من جملتها ذلك (الذي إليه تحشرون) لا إلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إليه
- ٩٧ (جعل الله الكعبة) قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الأرض وتوثقها وقوله تعالى (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء
- الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى (قياماً للناس) نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الأول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الإنشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياماً لهم أنه مدار لقيام أمر دينهم ودينام إذ هو سبب لاتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم يلوذه بالخائف ويأمن فيه الضعيف ويرجح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار وقرىء قيا
- على أنه مصدر على وزن شبع أعل عينه بما أعل في فعله (والشهر الحرام) أي الذي يؤدي فيه الحج وهو ذوالحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو ما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر
- أي وجعل الشهر الحرام (والهدى والقلاند) أيضاً قياماً لهم والمراد بالقلاند ذوات القلاند وهي البدن خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبها الحج بها أظهر (ذلك) إشارة إلى الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره ومحل النصيب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل
- في اللام بعده أي شرع ذلك (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) فإن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدينية قبل وقوعها وجلب المنافع الأولية والاخرية من أوضح الدلائل على حكمة الفاعل وعدم خروج شيء عن علمه المحيط وقوله تعالى (وأن الله بكل شيء عليم)

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾

• المائدة

مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

• المائدة

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِوِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ

• المائدة

تَقْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

تعميم اثر تخصيص للناس كيد ويجوز أن يراد بما في السموات والأرض الأعيان الموجودة فيهما وبكل شيء.
 الأمور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والأحوال التي هي من قبيل المعاني (اعلموا أن الله
 شديد العقاب) وعيد لمن انتهك محارمه أو أصر على ذلك وقوله تعالى (وأن الله غفور رحيم) وعد لمن
 حافظ على مراعاة حرمانه تعالى أو أقبل عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر (ماعلى
 الرسول إلا البلاغ) تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أى الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما
 لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفریط (والله يعلم ما تبدون
 وما تكتمون) فيؤاخذكم بذلك نقيض أو قاطعاً (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام في نفي المساواة ١٠٠
 عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأشغال والأموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد
 كل منها والتحذير عن رديئها وإن كان سبب النزول شريح بن ضبعة البكرى الذى مرت قصته في تفسير
 قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سأل رسول الله ﷺ إن الخمر كانت
 تجارتي وإني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي ﷺ
 إن أنفقت في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب وقال عطاء والحسن
 رضى الله عنهما الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للإشعار من أول الأمر بأن
 القصور الذى ينبى عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتين
 زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله
 تعالى هل يستوى الأعمى والبصير إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
 فلعل تقديم الفاضل فيه لما أن صلته ملكة لصفة المفضول (ولو أعجبك كثرة الخبيث) أى وإن سرك
 كثرت الخطاب لكل واحد من الذين أمر النبي ﷺ بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر
 وقيل للحال وقدر أى لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو أعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوى
 أى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أى أحسن إليه إن
 لم يسيء إليك وإن أساء إليك أى كائناً على كل حال مفروض وقد حذف الأولى حذفاً مطرداً لدلالة الثانية
 عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه أولى وعلى هذا السر يدور مافى
 لو وأن الوصلتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتى تمام

يُنَاسِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥١﴾

ه المائدة

- تحقيقه في مواقع عديدة بإذن الله عز وجل (فاتقوا الله يا أولى الألباب) أى في تحرى الحديث وإن كثروا آثروا عليه الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل
- خير من المذموم الكثير بل كلما كثرت الحديث كان أجبت (لعلكم تفلحون) راجين أن تنالوا الفلاح
- ١٠١ (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) هو اسم جمع على رأى الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء أصله شيء بهمز تين بينهما ألف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لألف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على أنه مخفف من شيء كمين مخفف من مين والأصل أشياء كأنه بزنة أفعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث إذا الألف كالهزمة فخففت الكلمة بأن قلبت الهزمة الأولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت أشياء فاجتمعت ياءان أولاهما عين الكلمة مخذفت تخفيفاً فصارت أشياء وزنها أفلاء ومنعت الصرف لألف التانيث وقيل إنما حذفت من أشياء الياء المنقلبة من الهزمة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها أفعاء وقوله تعالى (إن تبدل لكم تسؤكم) صفة لأشياء داعية إلى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساواة في هذه الشرطية معلقة بإبدائها لا بالسؤال عنها عقببت بشرطية أخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لإبدائها الموجب للمحذور قطعاً
- فقيل (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم) أى تلك الأشياء الموجبة للمساواة بالوحي كما ينبغي عنه تقييد السؤال بحين النزول والمراد بها ما يشق عليهم ويغصمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والأسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد لإساءتهم الأدب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكتبته أى لا تكثروا مساواة رسول الله ﷺ عما لا يعينكم من نحو تكاليف شاقة وعليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها حسبما أوحى إليه ولم تطبقوا بها نحو بعض أمور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني أسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سرافة بن مالك فقال أفى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى أعاد مسأله ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكم فارتكنوا ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روى عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه سأل الناس رسول الله ﷺ عن أشياء حتى أحفوه في المسألة فقام رسول الله ﷺ مغضباً خطيباً

لحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال سلوني فوالله ما تسألوني عن شيء ما دمت في مقامى هذا إلا بينته لكم فأشفق أصحاب النبي ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر قال أنس رضى الله عنه لجمعت ألفت يميناً وشمالاً فلا أجد رجلاً إلا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قریش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان إذا لاحى الرجال يدعى إلى غير أبيه وقال يا بنى الله من أبى فقال ﷺ أبوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال أين أبى قال ﷺ فى النار ثم قام عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً نبياً نعوذ بالله تعالى من الفتن إنا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه ﷺ (عفا الله عنها) استئناف مسوق لبيان أن نهيم عنها لم يكن لمجرد صياتهم عن المساءة بل لأنها فى نفسها معصية مستتعبة للبوأخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجدى فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للسؤال المدلول عليها بلا تسألوا أى عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخرية بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعله صفة أخرى لأشياء على أن الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فملا سبيل إليه أصلاً لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أولاً فى كل عام ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوماً للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف أن يكون معلوم الثبوت للوصوف عند المخاطب قبل جعله وصفاً له وكلاهما ضرورى الانتفاء قطعاً على أنه يستدعى اختصاص النهى بمسألة الحج ونحوها إن سلم وقوعها مع أن النظم الكريم صريح فى أنه مسوق للنهى عن السؤال عن الأشياء التى يسوؤهم إبداءها سواء كانت من قبيل الأحكام والتكاليف الموجبة لمسألتهم بإنشائها وإيجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديداً كمسألة الحج لولا عفو الله تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالإخبار بها كمسألة من قال أين أبى . إن قلت تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هى محتملة لإيجاب المسرة أيضاً لأن إيجابها للأولى إن كان من حيث وجودها ففى من حيث عدمها موجبة الأخرى قطعاً وليست إحدى الحثيتين محقة عند السائل وإنما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية إيجابها للمسرة فلم يعبر عنها بحيثية إيجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهى عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهى وتشديده لأن تلك الحثية هى الموجبة للانتهاج والانزجار لاحتثية إيجابها للمسرة ولا حثية ترددها بين الإيجابين . إن قيل الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة للمساءة مستلزم لإبدائها البتة كما مر فلم تخلف الإبداء عن السؤال فى مسألة الحج حيث لم يفرض فى كل عام قلنا لو وقع السؤال قبل ورود النهى وما ذكر فى الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد وروده إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه . إن قيل ما ذكرته إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة وأما إذا كان عن الأمور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لأن ما يتعلق به الإبداء هو الذى وقع فى نفس الأمر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهى أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما فى مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذى يتعلق به الإبداء لا غيره فيتمتع بالتخلف حتماً قلنا لا احتمال للتخلف فضلاً عن التعمين فإن المنهى عنه فى الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
 مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

• المائة

• المائة

- للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام أن مدلول النظم الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبدؤها المساءة البتة إما بأن تكون تلك الأشياء بمرضية الوقوع فتبدي عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديداً كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر قبل السؤال فتبدي عنده بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معاً ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهى عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود أو بمرضية الوجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وقائدة هذا الإيهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على الإطلاق حذار إبداء المكروه (واقه غفور حلیم) اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى أي
- ١٠٢ مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم (قد سألها قوم) أي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتعبة للوبال وعدم التصريح بالمثل للبالغة في التحذير (من قبلكم) متعلق بسألها (ثم أصبحوا بها) أي بسببها أو بمرجوعها
- ١٠٣ (كافرين) فإن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فلم يتركوا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بجرأ أذنأ أي شقوها وحرموها ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقى سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا اعتق عبداً قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لأهلهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأهلهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عصى إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فإن الجعل التكويني كما يحى تارة متعدياً إلى مفعولين وأخرى إلى واحد كذلك الجعل التشريعي يحى مرة متعدياً إلى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبرائهم (وأكثرهم) وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَإِنْ نِتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾
هـ المائدة

- معاصري رسول الله ﷺ كما يشهد به سياق النظم الكريم (لا يعقلون) أنه افتراء باطل حتى يخالفهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبشرون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم وقوله عز وجل (وإذا قيل لهم) أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والإرشاد (تعالوا إلى ١٠٤ ما أنزل الله) من الكتاب المبين للحلال والحرام (وإلى الرسول) الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصانهم على الهدى إلى الحق وانقيادهم للداعي إلى الضلال (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) قيل الواو للعالم دخلت عليها الهمة للإنكار والتعجب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جملة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها وهو الأظهر والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه وإن أساء إليك وإن أساء أي أحسن إليه كائناً على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة إذا الإحسان حيث أسره عند المانع فلأن يؤثر به عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور مافي إن ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه أي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون حسبهم ذلك أو يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد إنما هو بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الأمر وفائدته المبالغة في الإنكار والتعجب ببيان أن ما قالوه موجب للإنكار والتعجب إذا كان كون آباءهم جملة ضالين في حين الاحتمال البعيد فكيف إذا كان ذلك واقعاً لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لأن الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وأنت خير بأن الحال على الوجه الأخير مجموع الجملتين لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون فتدبر (يا أيها الذين آمنوا ١٠٥ عليكم أنفسكم) أي أزموا أمر أنفسكم وإصلاحها وقرى بالرفع على الابتداء أي واجبة عليكم أنفسكم وقوله عز وجل (لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم) إما مجزوم على أنه جواب للأمر أو نهي مؤكد له وإنما ضمت الراء اتباعاً للضمة المضادة المنقولة إليها من الراء المدغمة إذ الأصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضرركم بكسر الضاد وضمها من ضاره بضميره ويضوره وإما مرفوع على أنه كلام

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُبُونَهُمَا
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَدَةَ
اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٥٦﴾

هـ المائة

مستأنف في موقع التعليل لما قبله وبعضه قراءة من قرأ لا يضيركم أى لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم
مهتمين ولا يتوهم أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتها كيف لا
ومن جملة الاهتمام أن ينكر على المنكر حسبما تنبى به الطاقة قال عليه السلام من رأى منكراً فاستطاع أن
يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روى أن الصديق رضى الله تعالى عنه
قال يوماً على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ولا تغفروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا الخ فيقول أحدكم على نفسه والله
لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون
خباياكم فلا يستجاب لهم وعنه عليه السلام ما من قوم عمل فيهم منكر أو سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه
إلا وحق على الله تعالى أن يعصمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرفعون عنه بالأمر
والنهي وقبل كان الرجل إذا أسلم لامره وقالوا له سقت آباءك وضلائهم أى نسبهم إلى السفاهة والضلال
فنزلات تلمية له بأن ضلال آباءه لا يضره ولا يشينه (إلى الله) لا إلى أحد سواه (مرجعكم) رجوعكم
● يوم القيامة (جميعاً) بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتدين وغيرهم (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا
● من أعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعد للفريقين وتنبيه على أن أحداً لا يؤخذ بعمل غيره (يا أيها
الذين آمنوا) استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دينهم إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور
● دينهم وتصديره بمر في النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل (شهادة بينكم) بالرفع
والإضافة إلى الظرف توسعاً إما باعتبار جريانها بينهم أو باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات
● مبتدأ وقوله تعالى (إذا حضر أحدكم الموت) أى شارفه وظهرت علامته ظرف لها وتقديم المفعول
لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فإنه أدخل في تهوين أمر الموت وقوله تعالى
● (حين الوصية) بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فإن في الإبدال تنبيهاً على أن الوصية
● من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى (اثنان) خبر للابتداء بتقدير
المضاف أى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبرها محذوف أى فيما نزل
عليكم أن يشهد بينكم اثنان وقرىء شهادة بالرفع والتنوين والإعراب كما سبق وقرىء شهادة بالنصب

- والتتوين على أن حاملها مضمّر هو العامل في اثنان أيضاً أى ليقم شهادة بينكم اثنان (ذوا عدل منكم) أى من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحرّى ما هو أصلح له وقيل من المسلمين ومما صفتان لا اثنان (أو آخران) عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرة والفاعلية أى أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى (من غيركم) صفة لآخران أى كائنان من غيركم أى من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم (إن أنتم) مرفوع بمضمّر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأى جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد أن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا ف قوله تعالى (ضربتم في الأرض) أى سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسراً ومرفوع على الخبرة عند الباقيين وقوله تعالى (فأصابتكم مصيبة الموت) عطف على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن سافرتم ففارقكم الانجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فانشاهدان آخران كذا قيل والآنسب أن يقدر عين ما سبق أى فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى (تحبسونهما) استئناف وقع جواباً عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقبل تحبسونهما أى تقفوניהما وتصبرونيهما للتحليف (من بعد الصلوة) وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه وأنت خير بأه يقضى اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للأوليين أيضاً قطعاً على أن اعتبار اتصافهما بذلك ياباه مقام الأمر بإشهادهما إذ ماله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد الارتياح بهما كما يفيد الاعتراض الآتى والمراد بالصلوة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينا عندم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان يعظمونه ويحبتون فيه الحلف الكاذب وقد روى أن النبي ﷺ وقتئذ حلف من حلف كما سيأتى وقيل بعد أى صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق ونهاية عن الكذب والزور
- إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهما وقوله تعالى (إن ارتبتم) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام عليه سيقى من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياح أى إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانته وأخذ شيء من الزكاة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى (لا تشتري به ثمناً) جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتمى بذلك جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالباً فإن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونيهما كما

فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاعْتَرَا يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَيْنِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَعِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ هـ المائدة

في قولك والله إن أتيتني لأكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لأن القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت
أن الشرط من جهة تعالى والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما
قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع
ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عينا كان أو معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والإعراض عن الزائل
كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله أى من حرمة عرضاً من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها
بالحلف الكاذب أى لا نخلف بالله كاذبين لأجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة
أى لا نستبدل بصحة القسم بالله أى لا نأخذ لأنفسنا بدلا منها عرضاً من الدنيا بأن نزيل عنه وصف
الصدق ونصفه بالكذب أى لا نخلف كاذبين كما ذكر وإلا فلا سداد للمعنى سواء أريد به القسم الصادق
أو الكاذب أما إن أريد به الكاذب فلأنه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئاً
مرغوباً فيه عند الخالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في أن القسم
الكاذب ليس كذلك وأما إن أريد به الصادق فلأنه وإن أمكن أن يتوسل باستعماله إلى عرض الدنيا
كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه وأما التوسل إليه بترك استعماله فلا إمكان له ههنا حتى يصح التبرؤ
منه وإنما يتوسل إليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة
جواز تركهما معاً حتى يتصور جعل ما أخذ باستعماله مأخوذاً بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير

المضاف فإن إزالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزما لثبوت وصف الكذب له البتة
فتأمل وقوله تعالى (ولو كان) أى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام (ذاقربي) أى قريباً منا تأكيد
لتبرئهم من الحلف كاذباً ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالوا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى
مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم من
رعاية الأقرباء لكنها ليست ضمنية للبال بل هي راجعة إليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
أى لا نشترى به ثمناً والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو أعجبك الخ وقوله
عز وجل (ولا نكنتم شهادة الله) أى الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها معطوف على لا نشترى به داخل

● معه في حكم القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتوحيض
● حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لا يفعل (إنا إذا لمن الآمين) أى إن كنتمناها وقرىء الملائمين

١٠٧ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدخال النون فيها (فإن عثر) أى اطلع بعد التحليف (على أنهما
استحقا إثماً) حسبما اعترفاه بقولهما إنا إذا لمن الآمين أى فعلا ما يوجب إثماً من تحريف وكم بأن ظهر

- بأيديهما شيء من التركة وأدعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي
- (فأخران) أي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما) ولا محذور في الفصل بالخبر بين
- المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهم وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما (من اللذين استحق) على
 - البناء للفاعل على قراءة على وابن عباس وأبي رضى الله عنهم أي من أهل الميت اللذين استحق (عليهم الأوليان) من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجر دوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمرة وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من اللذين استحق عليهم الإثم أي جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتقاؤه باستحقاق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة وقرىء الأولين على أنه صفة للذين الحججور أو منصوب على المدح ومعنى الأولوية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرىء الأوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرىء الأولان (فقسمان بالله) عطف على يقومان (لشهادتنا) المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها (أحق) بالقبول (من شهادتهما) أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزلة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقيقة في يمينهما رأساً إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما (إنا إذا لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لخط الله تعالى وعذابه بسبب حكمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فأخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسما على أنهما ما كتبا من الشهادة ولا من التركة شيئاً بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وأدعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فإنه روى أن تميم بن أوس الداري وعدى بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن أبي مریم مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتاباً فيه جميع ماله وطرحه في مناعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن يدفعا مناعه إلى أهلهم ومات ففتشاه فوجداه فيه إناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه ودفعنا المتاع إلى أهلهم فأصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الإناء فقالا ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم

ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

• المائدة

ففعّلنا وما لنا بالإِناء من علم فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل يأبى الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى لا إله إلا هو أنهما لم يختاننا شيئاً مما دفع ولا كتبنا لحلفا على ذلك نغلي سبيلهما ثم إن الإِناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا ألم نقل لكاهل باع صاحبنا من متاعه شيئاً فقلتما لا قالاً ما كان لنا بينة ففكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل قوله عز وجل فإن عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان لحلفا بالله بعد العصر أنهما كذبا وخاما فدفع الإِناء إليهما وفى رواية إلى أولياء الميت وأعلم أنهما إن كانا وارثين لبديل فلا نسخ إلا فى وصف اليمين فإن الوارث لا يحلف على البنات وإلا فهو منسوخ (ذلك) كلام مستأنف سيق لبيان أن ما ذكر

● مستتبع للنافع وأرد على مقتضى الحكمة والمصلحة أى الحكم الذى تقدم تفصيله (أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أى أقرب إلى أن يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخرى وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور

● وقوله تعالى (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) بيان للحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبى عنه المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الافتضاح على رموس الأشهاد بإبطال أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فيزجروا عن الخيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصد الذى هو الإتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى أن ذلك أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو إلى أن يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم إن لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم وأما ما قيل من أن المعنى إن ذلك أقرب إلى أحد الأمرين اللذين أيهما وقع كان فيه الصلاح أداء الشهادة على الصدق والامتناع عن أدائها على الكذب فيأباه المقام إذ لا تعلق له بالحادثة أصلاً ضرورة أن الشاهد مضطر فيها إلى الجواب فلا امتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للإتيان بالصادقة قطعاً فليس هناك أمران أيهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة أو وإنما يتأتى ذلك فى شهود لم يتهموا بخيانة على أن إضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة إلى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الإتيان بالصادقة إلى غيره مع أن ما يقتضى أحدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل (واتقوا الله) فى مخالفة أحكامه

● التى من جملتها هذا الحكم (واسمعوا) ما تؤمرون به كأننا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة أى فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين

أى إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم .

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ المائدة

- (يوم يجمع الله الرسل) نصب على أنه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملازمة فإن مدار البدلية ١٠٩ ليس ملازمة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لا تنقل الذهن من المبدل منه إلى البدل بوجه إجمالي كما فيما نحن فيه فإن كونه تعالى خالق الأشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع أن الأمر بتقوى الله تعالى يتبادر منه إلى الذهن أن المتقى أى شأن من شتونه وأى فعل من أفعاله وقبل هناك مضاف محذوف به بتحقيق الاشتمال أى اتقوا عقاب الله فحينئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه أى واحذروا أو اذكروا يوم الخ فإن تذكير ذلك اليوم الهائل بما يضطرهم إلى تقوى الله عز وجل وتلقى أمره بسمع الإجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي أى لا يهديهم يومئذ إلى طريق الجنة كما يهدي إليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف أى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف الدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة النامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الأحوال والآهوال مالا ينفى ببيانه نطاق المقال وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الأمم كيف لا وذلك يوم يجمع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم بل لإبانة شرفهم وأصالتهم والإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم أتباعاً لهم وإظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الإجلال وأولئك يستعجبون على وجوههم بالأغلال (فيقول) لهم ● مشيراً إلى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الأمم إعراباً واضحاً وإلا لصدر الخطاب بأن يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل (ماذا أجبتهم) عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية أى أى إجابة أجبتهم من جهة أمكم إجابة قبول أو إجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه أى بأى جواب أجبتهم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود إلى الرسل عليهم السلام كسؤال المودعة بمحضر من الوائد والعدول عن إسناد الجواب إليهم بأن يقال ماذا أجابوا من الأنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم مالا يخفى (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا يقول ● الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون (لا علم لنا) وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف ونظائرهما وإنما يقولون ذلك تقوى أيضاً الأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الأهوال ومعاناة المصوم والأوجال وعرضاً لمعجزهم عن بيانه لكثيرته وفضاعته (إنك أنت علام الغيوب) تعليل لذلك أى فتعلم ما أجابوا وأظهروا ● لنا وما لم نعلمه مما أضمره في قلوبهم وفيه إظهار للشكاة ورد للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي
وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾

• المائدة

المخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا
وإنما الحكم للخاصة بقورد ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خير بأن مرادهم
حينئذ أن بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي رضى الله
عنهم أنهم يفرعون من أول الأمر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت لإيهم عقولهم بالشهادة
على أنهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب
بالنصب على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى أنت أي إنك أنت المنعوت
١١٠ نعت كالكالم المعروف بذلك (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم) شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد
من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الإجمال
ليكون ذلك كالآلة نموذج لتفاصيل أحوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلاً من
بين شئون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين
بالرسل لما أن شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين نعت عليهم في السورة
الكريمة جناباتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم وأفت في أعضادهم وأدخل في صرهم
عن غيهم وعنادهم وإذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع
● وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى (اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك) متعلقة بنفس النعمة إن جعلت مصدراً أي اذكر إنعامي عليك أو بمحذوف هو
حال منها إن جعلت اسماً أي اذكر نعمتي كائنة عليك وليس المراد بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة
المنتظمة في سلك التعبد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه
عليه السلام عن عهد الشكر في أو أنه أي خروج بل إظهار أمره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما
بينه الله تعالى اعتداداً بها وتلذذاً بذكرها على رءوس الأشهاد لتكون حكاية ذلك على ما أنبأ عنه النظم
الكريم توبيخاً ومزجراً للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام إفراطاً وتفریطاً وإبطالاً لقولها جميعاً
● (إذ أيدتك) ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليك وقت تأييدي لك أو حال منها أي اذكرها كائنة وقت
● تأييدي لك وقرئ أيدتك والمعنى واحد أي قوتك (بروح القدس) مجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة

- أوبالكلام الذى يحى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أضرار الآثام أو يحى به الموتى أو النفوس حياة أبدية وقيل الأرواح مختلفة الحقائق فنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وأياً ما كان فهو نعمة عليهما (تكلم الناس فى المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذكر
- تكليمه عليه السلام فى حال السكولة لبيان أن كلامه عليه السلام فى تينك الحالين كان على نسق واحد بديع صادراً عن كمال العقل مقارناً لرزانة الرأى والتدبير وبه استدلل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل التكامل قال ابن عباس رضى الله عنهما أرسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث فى رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله تعالى إليه (وإذ علمت لك الكتاب) عطف على قوله تعالى إذ
- أيدتك منصوب بما نصبه أى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك الكتاب (والحكمة) أى جنسهما (والتوراة والإنجيل) خصاً بالذكر مما تناولته الكتاب والحكمة إظهاراً لشرفهما وقيل الخط والحكمة
- الكلام المحكم الصواب (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) أى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (يا ذنى) بتسبيل وتيسير لا على أن يكون الخلق صادراً عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبى عنه قوله تعالى (فتنفخ فيها) أى فى
- الهيئة المصورة (فتكون) أى تلك الهيئة (طيراً يا ذنى) فإن إذنه تعالى لولم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تبسييره مع صدور الفعل حقيقة عما أسند إليه لكان هذا تكويناً من جهة الهيئة وتكرير قوله يا ذنى فى الطير مع كونه شيئاً واحداً للتنبيه على أن كلا من التصوير والنفخ أمر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شىء إلا بإذنه تعالى (وتبرىء الأكمه والأبرص يا ذنى) عطف على تخلق (وإذ تخرج الموتى يا ذنى) عطف على إذ تخلق أعيد فيه إذ لكون إخراج الموتى من قبورهم لاسيما بعدما صارت
- رمياً معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحاً قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله يا ذنى فى المواضع الأربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان أن تلك الحوارق ليست من قبل عيسى عليه الصلاة والسلام بل من جمته سبحانه قد أظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به وأما ذكره فى سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد النعم (وإذ كففت
- بنى إسرائيل عنك) عطف على إذ تخرج أى منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء عن التعرض لك (إذ جثتهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما ياكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار الجحى بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى (فقال
- الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المخرج إلى الكف أى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إليهم بالبينات وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لذنهم بما فى حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن إشارتهم إلى مارأوه من نفس المسمى من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر

وَإِذَا أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِثِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَّسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَآشَهِدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ هـ المائدة
 إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَنْعِيسِي ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
 قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ هـ المائدة

- ١١١ مبين فهذا حينئذ إشارة إلى عيسى عليه السلام (وإذا أوحيت إلى الخواريث) عطف على ما قبله من أخواتها الواقعة ظروفًا للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في الحقيقة عين ما يفيد الجمل التي أضيف إليها تلك الظروف من التأيد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة ولكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الإحسان أمر بذكرها من تلك الحثيثة وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة إذ من تعدد النسبة فإنه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه إحداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فيراد إفادة وقوعها أيضاً له فيضاف إلى الجملة المفيدة للنسبة الأولى ويجعل ظرفاً معمولاً للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ أحسنت إلى تريد تنبيه المخاطب على وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحسانه إليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها إحساناً إليه لا على إحسان آخر واقع حينئذ من هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك من النظائر ومعنى إيمانه تعالى إليهم أمره تعالى بإيائهم في الإنجيل على لسانه عليه السلام وقيل إلهامه تعالى إيائهم كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى وأن في قوله تعالى (أن آمنوا بي وبرسولي) مفسرة لما في الإيماء من معنى القول وقيل مصدرية وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الإيمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بوحداني في الألوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزبلوه عن حيزه خطأ ولا رفعاً وقوله تعالى (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين أوحى إليهم ذلك فقيل قالوا (آمنوا) أي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم (واشهد بأننا مسلمون) أي مخلصون في إيماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام وكل ذلك نعمة على والدته أيضاً . روى أنه عليه السلام لما علم أنه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل كل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (إذ قال الخواريث) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ماجرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبغي عنه الإظهار في موقع الإضمار وإذ منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ بطريق تلوين الخطاب والالتفات لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى عليه
- ١١٢

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ هـ المائدة

- السلام فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كأنه قيل للنبي ﷺ عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المغالاة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقولوا أريد به التنبيه على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق وإيقان ولا يساعده النظم الكريم (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أولاً فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الإيمان والإخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت للإزاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيراً عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب بمعنى أجاب وقرئ هل تستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهى قراءة على وعائشة وابن عباس ومعاذ رضى الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماله إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال أبو عبيد هى فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية (قال) استئناف مبنى على سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فإذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) أى من أمثال هذا السؤال (إن كنتم مؤمنين) أى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتى أو إن صدقتم في ادعاء الإيمان والإسلام فإن ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة للحصول المسئول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة (قالوا) استئناف كما سبق (نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى ١١٣ السؤال أى لسنارىد بالسؤال إزاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها أو في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الإيمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها أى أكل تبرك وقيل أكل حاجة وتمتع (وتطمئن قلوبنا) بكمال قدرته تعالى وإن كنا مؤمنين به من قبل فإن انضمام علم المشاهدة إلى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين (ونعلم) أى علماً يقينياً لا يحوم حوله شائبة شبهة أصلاً وقرئ ليعلم على البناء للفعول (أن قد صدقتنا) أن هى المخففة من أن وضمير الشأن محذوف أى ونعلم أنه قد صدقتنا في دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وإن كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيناً ويؤمن بسببها كفارهم أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين إن جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه
- ١٣٥ - أبو الصعود ٣٥

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَعَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾

• المائدة

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَيَأْتِيْ أَعْدَبُهُ عَذَابٌ لَا أَعْدَبُهُ أَحَدًا مِنَ
الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

• المائدة

- إن جعلت موصولة كأنه قيل على أى شيء يشهدون فقيل عليها فإن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول ١١٤ أو هو حال من اسم كان أو هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين (قال عيسى ابن مريم) لما رأى عليه السلام أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك وأنهم لا يقلعون عنه أزمع على استدعائها واستنزائها وأراد أن يلزمهم الحجّة بكما لها . روى أنه ﷺ اغتسل ولبس المسح وصى ركعتين فطأ رأسه وغض بصره ثم قال (اللهم ربنا) ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التزنية إظهاراً لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء (أنزل علينا) تقديم الظرف على قوله (مائدة) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله (من السماء) متعلق بأنزل أو بمحذوف هو صفة لمائدة أى كائنة من السماء نازلة منها وقوله (تكون لنا عيداً) في محل النصب على أنه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها إما عيداً ولنا حال منه أو من ضمير تكون عند من يجوز إعمالها في الحال وإما لنا وعيداً حال من الضمير في لنا لأنه وقع خبراً فيحمل ضميراً أو من ضمير تكون عند من يرى ذلك أى يكون يوم نزولها عيداً نعظمه وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد لذلك سمي يوم العيد عيداً وقرئ تكن بالجزم على جواب الأمر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك ولياً يرثني خلا أن قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بإعادة العامل أى عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا . روى أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصراني عيداً وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولنا وآخرنا بمعنى الآمة والطائفة (وآية) عطف على عيداً (منك) متعلق بمحذوف هو صفة لآية أى كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتك (وارزقنا) أى المائدة أو الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) تذييل جار مجرى التعليل أى خير من يرزق لأنه خالق الأرزاق ومعطئها بلا عوض وفي إقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهاال وزيادته مالم يخطر ببال السائلين من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول دلالة واضحة على أنهم كانوا مؤمنين وأن سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى وإلا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما أضاف إليه من ١١٥ عنده ما يؤكده ويقربه إلى القبول (قال الله) استئناف كما سبق (إني منزلها عليكم) ورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال لإظهار كمال

اللطيف والإحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى إنا أنجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسماً تحقيق للوعد وإيدان بأنه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه وإشعار بالاستمرار

أى إني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرىء بالتخفيف وقيل الإنزال والتنزيل بمعنى واحد (فن يكفر بعد) أى بعد تنزيلها (منكم) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر (فإني أعذبه) بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة (عذاباً) اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر يحذف الزوائد واتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز أن يكون مفعولاً به على الاتساع وقوله تعالى (لا أعذبه) في محل النصب على أنه صفة لعذابا والضمير له أى أعذبه تعذيباً لا أعذب مثل ذلك التعذيب (أحداً من العالمين) أى من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعاً قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا لا نريد لها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رحمهما الله والصحيح الذى عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت . روى أنه عليه السلام لما دعا بما دعا وأجيب بما أجيب إذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثله وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمعك مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كواما سألتهم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أرى ثماناً من هذه الآية آية أخرى فقال باسمك احي يا ذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا ففسخوا فردة وخنازير وقيل كانت تأتهم أربعين يوماً غيا مجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء النى طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برى ولم يمرض أبداً ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك ففسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا على المسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكّت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحد بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدر على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ
 سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ه المائدة

الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي
 نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله تعالى
 والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم أنما سحر أعينكم
 فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره ففسخوا خنازير فكشوا كذلك ثلاثة
 أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم)
 معطوف على إذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي ﷺ أو بمضمر مستقل
 معطوف على ذلك أي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيئاً
 لهم بإقراره عليه السلام على رموس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من
 ● الدلالة على التحقق والوقوع (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين) الاتخاذ إمامتعد إلى مفعولين فالهين
 ثانيهما وإما إلى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار أصل الكلام أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل
 كما هو المتبادر من إنبلاء الهمة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أنت فعلت هذا بألهتنا ونظائره
 بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنه بأمره عليه السلام أو من تلقاء أنفسهم كما في قوله
 ● تعالى أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى (من دون الله) متعلق بالاتخاذ ومحل نصب
 على أنه حال من فاعله أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة لإلهين أي كائنين من دونه تعالى وأياً ما كان
 فالمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً
 وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله إلى قوله
 سبحانه وتعالى عما يشركون إذ به يتأني التويخ وينسئ التقريع والتبكييت ومن توهم أن ذلك بطريق
 الاستقلال ثم اعتذر عنه بأن النصارى يعتقدون أن المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما
 الصلاة والسلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما في حق بعض الأشياء إلهين مستقلين
 ولم يتخذوه تعالى إلهاً في حق ذلك البعض فقد أبعد عن الحق برا حل وأما من تعمق فقال إن عبادته تعالى
 مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه
 واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فإن توبيخهم إنما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحاً لا بما يلزمه
 ● يضرب من التأويل وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه السلام (قال) استئناف
 مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فإذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقول ولا يثار
 ● صيغة الماضي لما مر مراراً (سبحانك) سبحانه علم للتسبيح واتصافه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

٥ المائدة

- وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل مالا يخفى أى أنزهك تنزيهاً لا تقاً بك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقك ذلك وأما تقدير من أن يكون لك شريك في الألوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) استئناف مقرر للتنزيه ومبين للنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أى ما يستقيم وما ينبغي لى أن أقول قولاً لا يحق لى أن أقوله وإثبات ليس على الفعل المنفى لظهور دلالة على استمرار انتفاء الحقيقة وإفادة التأكيد بما فى حيزه من الباء فإن اسمه ضميره العائد إلى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما فى سقيا لك ونحوه وقوله تعالى (إن كنت فلتته فقد علمته) استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعاً بحيث انتفى عنه تعالى به انتفى صدوره عنه حتماً ضرورة أن عدم اللازم مستلزم لعدم المزموم (تعلم ما فى نفسى) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لأنك تعلم ما أخفيه فى نفسى فكيف بما أعلنه وقوله تعالى (ولا أعلم ما فى نفسك) بيان للواقع وإظهار لقصوره أى ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات إليها لما أنها مرجع الصفات التى من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كمنسبتها إلى الحقيقة وقوله تعالى (إنك أنت علام الغيوب) تعليل لمضمون الجملتين منطوقاً ومفهوماً وقوله تعالى (ما قلت لهم إلا ١١٧ ما أمرتنى به) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبغ وجه وآ كده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا أولاً أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به وإنما قيل ما قلت لهم نزولاً على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد فى الاستفهام وقوله تعالى (أن آعبدوا الله ربى وربكم) تفسير للأمور به وقيل عطف بيان للضمير فى به وقيل بدل منه وليس من شرط البديل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمراً أو مفعوله مثل هو أو أعنى (وكنت عليهم شهيداً) رقيباً أراعى أحوالهم وأحلامهم على العمل بموجب أمرك وأنعمهم عن المخالفة أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان (مادمت فيهم) مامصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أى كنت شهيداً عليهم مدة دواى فيما بينهم (فلما توفيتنى) بالرفع إلى السماء كما فى قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى فإن التوفى أخذ الشئ واقباً والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وانى لم تمت فى منامها) (كنت أنت الرقيب عليهم) لا غيرك فانت ضمير الفصل أو تأكيد وقرىء الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجمله خبر لكان وعليهم

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ هـ المائدة
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ هـ المائدة

- متعلق به أى أنت كنت الحافظ لأعمالهم والمرافب فنعت من أردت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبية عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا (وأنت على كل شئ شهيد) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل
- ١١٨ حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة (إن تعذبهم فإنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز) أى القوى القادر على جميع
- المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب (الحكيم) الذى لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته لئمنع التردد وقيل التردد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أى من كفر منهم وإن تغفر لهم أى من آمن منهم (قال الله) كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى عما يقع يوم
- يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى تذييله وما له أى يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيراً إلى صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم وصيغة الماضى لما مر فى نظائره مراراً وقوله تعالى (هذا) إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده أى هذا اليوم الذى حكى
- به ما يقع فيه إجمالاً وبعضه تفصيلاً (يوم ينفع الصادقين) بالرفع والإضافة والمراد بالصادقين كما ينبى عنه الاسم المستمرون فى الدارين على الصدق فى الأمور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الأمم المصدقين لهم المقتدين بهم عقداً وعملاً وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين فى الإيمان برسول الله ﷺ لا كل من صدق فى أى شئ كان ضرورة أن الجاني
- المعترف فى الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه (صدقهم) أى صدقهم فيما ذكر من أمور الدين فى الدنيا إذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره فى الدارين مع أنه لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل له فى استنباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هى التى أطبق عليها الجمهور وهى الأليق بسباق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب إما على أنه ظرف لقال فهذا حينئذ إشارة إلى قوله تعالى أنت قلت الخ وإما على أنه خبر لهذا فهو حينئذ إشارة إلى جواب عيسى عليه السلام أى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ أو إلى السؤال والجواب معاً وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لأنه مضاف إلى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واقفوا يوماً لا تنجزى الآية (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ه المائدة

- ما لهم من النفع فليلهم نعمهم دائم وثواب خالد وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف آخر لبيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبغي.
- عنه قوله تعالى (ورضوا عنه) إذ لا شيء أعز منه حتى يمتد إليه أعناق الهمم (وذلك) إشارة إلى نيل رضوانه
- تعالى وقيل إلى نيل الكل (الفوز العظيم) لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلاً وقوله تعالى (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) ١٢٠ تحقيق للحق وتنبية على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أى له تعالى خاصة ملك السموات والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء إيجاداً أو إعداماً أو إحياء وإماتة وأمرأ ونهياً من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك وفي إشارته على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها لكل مراعاة للأصل وإشارة إلى تساوى الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق الربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية وإماتة بهم بتغليب غيرهم عليهم (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) مبالغ في القدرة. عن رسول الله ﷺ
- من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا.

٦ — سورة الأنعام

(مكية وهي مائة وخمس وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

(سورة الأنعام)

(مكية غير ست آيات أو ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا اتل . وهي مائة وخمس وستون آية)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة أو لا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجه من صفات الكمال وإليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للإبذان بأه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانياً بما ينبي عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الإجمال من عظام الآثار وجلال الأفعال من قوله عز وجل (الذي خلق السموات والأرض) للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار أفعاله العظام والآلات الجلية والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية في إيجاب حمده تعالى الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية في إيجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والأفانية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد أي أنشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطرز الرائق منطويين من أنواع البدائع وأصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والأفكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لا ولى الأَبصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديم الشرف وأعلو مكانها وتقديمها وجوداً على الأرض كما هي (وجعل الظلمات والنور) عطف على خلق مترتب عليه ليكون جملتهما مسبوقاً بخلق منشئهما ومحلها داخل معه في حكم الإشعار بعلّة الخور فكما أن خلق السموات والأرض وما بينهما لكونه أثراً عظيماً ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمراً خطيراً ونعمة عظيمة مقتضى لاختصاصه بجاعلها والجعل هو الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللنبي أيضاً كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وأياً ما كان فهو لإنشاء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغواً كان أو مستقراً لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيداً فيه كما في قوله عز وجل وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك ولياً

الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعدياً إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الأمر فيظن أنا عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة حيث قيل إن الظرف مفعول ثان لجاعل وقد أشير هناك إلى أن الذي يقضى به الذوق السليم وتقضيه جزالة النظم الكريم أنه متعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالاً من المفعول وأن المفعول الثاني هو خليفة وأن الأول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الإعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لإنكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمعنى أنه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شئونه العظيمة الخاصة به الموجهة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه يعدلون به سبحانه أي يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما -واه مخلوقاً له غير متصف بشئ - من مبادئ الحمد وكلية ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم بما يجب أن يؤمن به كلاً أو بعضاً عنواناً للوضوح فإن ذلك محال باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك والباء متعلقة يعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد والمحافظة على القواصل وترك المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إذاناً بأنه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو التحقيق بجزالة التنزيل والخلق بفخامة شأنه الجليل وأما جعل الباء صلة لكفروا على أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده أن كفرهم به تعالى لاسيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم أشد شناعة وأعظم جناية من عدوهم عن حمده عز وجل لتحقيقه مع إغفاله أيضاً فجعل أهون الشرين عمدة في الكلام مقصوداً للإفادة وإخراج أعظم ما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل إنه معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد أنه صلة مستقلة ليسكون بمنزلة أن يقال الحمد لله الذي هدولوا به بل على أنه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وأنت خير بأن ما ينظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٦﴾ الأنعام

وجل حقه أن يكون له دخل في ذلك الإنشاء ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم بمعزل منه وادعاء أن له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي أنعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمدُه تعسف لا يساعده النظام وتمكيس يأباه المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما تفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم لا بيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وهذا اتضح أنه لا سبيل إلى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سبق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين (هو الذي خلقكم من طين) استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به لئلا يبان بطلان إشراكهم به تعالى مع معانيتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والأرض من أوضحها وأظهرها في قوله تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض يقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم يشنون أنفسهم أعرف والتعاضد عن الحجة النيرة أقبح والاتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أي ابتداء خلقكم منه فإنه المادة الأولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أبو البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقهم عليه السلام منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح مناهج القياس ولللباقة في إزاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من أنفائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منظوياً على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعا لجرى أنارها على الكل فكأن خلقه عليه السلام من الطين خلقاً لكل أحد من فروعه منه ولما كان خلقه على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معياراً لانتهاها فعل ما فعل الله در شأن التنزيل وعلى هذا السردار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقناكم من قبل ولم تك شيئاً كما سيأتى وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأياً ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء مالم يشمر أنحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها مدة أظهر قدرة (ثم قضى) أي كتب لموت كل واحد منكم (أجلاً) خاصاً به أي حداً معيناً من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة (وأجل مسمى) أي حد معين لبعثكم جميعاً وهو مبتدأ التخصيص بالصفة كفاي قوله تعالى ولعبد مؤمن ولو قوره

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

- في موقع التفصيل كما في قول من قال [إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول] وتنوينه لفخيم شأنه وتهويل أمره ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي هو (عنده) مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل وأى أجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحداً بجملاً ولا مفصلاً وأما أجل الموت فعلوم إجمالاً وتقريباً بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلاً لأنها هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المادة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلاً من مولده إلى موته وأجلاً من موته إلى مبعثه فإن كان براتقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فعنى عدم تغير الأجل حينئذ عدم تغير آخره والأول هو الأشهر الالتيق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والآنسب بهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوماً للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني محل بذلك قطعاً ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روى تأخير الأجل الأول وتقديمه (ثم أنتم تمترون) استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه وتحقيقه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من قدر على إفاضة الحياة وما ينفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلاً كان أوضح اقتداراً على إفاضة المادة قد استعدت لها وقارتها مدة ومن هنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ماضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقى منه مما لا وجه له أصلاً لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى لحيث أريد به أحد ما ذكر من الأمور الثلاثة في أي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبغي عنه قولهم أنذا امتنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى (وهو الله) جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى (في السموات وفي الأرض) متعلق بالمعنى

الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علماً للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلو حظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على معنى المالك أو المتصرف أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة أحد المعاني المذكورة في ضمنه كالملاحظة مع اسم الأسد في قوله أسد على الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماء لجرى مجرى جريه على وبهذا تبين أن ما قيل بصدد التصوير والتفسير أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الأرض أو هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية أو هو المعروف بالإلهية فيهما أو نحو ذلك بمعزل من التحقيق فإن المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به إذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفاً لا اشتغاره به ألا يرى أن كلمة على في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعاً وقيل هو متعلق بما يفيد التركيب الحصري من التوحد والتفرد كأنه قيل وهو المتوحد بالإلهية فيهما وقيل بما تقر عند الكل من إطلاق هذا الاسم عليه خاصة كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد أو القول في لغوى الكلام بطريق الاستنباع لأعلى حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالإلهية أو على تقدير القول وقد جوز أن يكون الظرف خبراً ثانياً على أن كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغاً في العلم بما فيهما بناء على تنزيل عليه المقدس عن حصول الصور والأشباح لكونه حضورياً منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فإن العالم إذا كان في مكان كان عالمه وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل (يعلم سرهم وهم) أي ما أسررتهم وما جهرتهم به من الأقوال أو ما أسررتهم وما أعلنتهم كائناتاً ما كان من الأقوال والأعمال بياناً وتقريراً لمضمونه وتحقيقاً للمعنى المراد منه وتعليق عليه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيد الجملة السابقة لانسحاق النظم الكريم إلى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجارى على النمط المذكور مستتبعة للملاحظة عليه المحيط حتماً فيكون هذا بياناً وتقريراً له بلا ريب وأما على الأوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل إلى كونه بياناً لكن لما قيل من أنه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم إذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فإنه باطل قطعاً إذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في أنهما بما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بياناً له وبهذا تبين أنه ليس ببيان على الوجه الثالث أيضاً لما أن التوحد بالإلهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بياناً له بل هو معتبر فيها صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف

٦ الأنعام

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾

٦ الأنعام

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾

- في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كافي قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كافي قولك رميت الصيد في الحرم إذا كان هو فيه وأنت خارجه ولعل جعل سرم وجهرم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء منهما في أى مكان كان لأنهما قد يكونان في السموات أيضاً وتعميم الخطاب لأهلها تعسف لا يخفى (ويعلم ماتكسبون) أى ما تفعلونه لجلب تقع أو دفع ضرر من الأعمال المكتسبة بالقلوب أو بالجوارح سرراً أو علانية وتخصيصها بالذكر مع إندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لإظهار كمال الاعتناء بها لأنها التى يتعلق بها الجزاء وهو السرى إعادة يعلم (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم) كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشرافهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفى الآية الثانية أمثراؤهم فى البعث وإعراضهم عن بعض آياته والانتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحاً وتعدد جناباتهم لغيرهم ذمهم وتقييماً لحالهم فنافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الأولى مزيدة للاستفراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لنزول ما اجترأوا عليه فى حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبثة عن جريان أحكام ألوهيته تعالى على كافة الكائنات وإحاطة علمه بجميع أحوال المخلوق وأهمهم الموجهة للإقبال عليها والإيمان بها (إلا كانوا عنها معرضين) أى على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التى من جملتها ما ذكر من جلائل شئونه تعالى الشاهدة بوحدانيته إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الإيمان بكونها وإثارة على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر الدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى محل النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتغالها على ضمير كل منهما وأياما كان فقيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم إلى الإعراض وإيقاعهم له فى آن الإتيان كما يفصح عنه كلمة لما فى قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فإن الحق عبارة عن القرآن الذى أعرضوا عنه حين أعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك إبانة لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق بما لا يتصور صدوره

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا

آخَرِينَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

عن أحد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنها شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقبيه أو حاصل بسببه بل على أن الأول هو عين الثاني حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاموا ظلماً وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فإن ما جاءه وهى فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكى لكنه لما كان مغايراً له مفهوماً وأشنع منه حالاً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملازم تهويلاً لا مراً كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان أشنع من مفهوم الإعراض المذكور أخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء إظهاراً لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تاكيداً لشناعته وتمهيداً لبيان أن ما كذبوا به أثر ذى أثر له عواقب جليلة ستبدولهم البتة والمعنى أنهم حيث أعرضوا عن تلك الآيات عند إتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلاً من غير أن يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على مافى تضعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبى عنه قوله تعالى (فسوف يأتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) فإن ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلاً لا مراً بإيهامه وتعليلاً للحكم بما في حيز الصلة وأنباؤه عبارة عما سيحقق بهم من العقوبات العاجلة التى نطقت بها آيات الوعيد وفى لفظ الأنباء إيذان بغاية العظم لما أن النبأ لا يطلق إلا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة أو على ظهور الإسلام وعلو كلمته ياباه الآيات الآتية وسوف لنا كيد مضمون الجملته وتقريره أى فسيأتهم البتة وإن تأخر مصداق أنباء الشيء الذى كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا فى عواقبه وإنما قيل يستهزئون إيذاناً بأن تكذيبهم كان مقروناً بالاستهزاء كما أشير إليه هذا على أن يراد بالآيات الآية القرآنية وهو الأظهر وأما إن أريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والإعراض على حقيقته كأنه قيل إن كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو أعظم منها ما هو أعظم من الإعراض حيث كذبوا بالحق الذى هو أعظم الآيات ولا مساغ لحل الآيات فى هذا الوجه على كلها أصلاً وأما ما قيل من أن المعنى أنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالأنباء التى سبق بها الوعيد وتقرير إتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الإنكار لتقرير الرؤية وهى عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت أو خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع مافى حيزها مسد مفعولها منصوبة بأهلكنا على المفعولية على أنها عبارة عن الأشخاص ومن قرن يميز لها على أنه عبارة عن أهل عصر من الأعصار سمو بذلك لاقرانهم برهة

- من الدهر كافي قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف أى من أهل قرن وأما انتصابها على المصدرية أو على الظرفية على أنها عبارة عن المصدر أو عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا أى ألم يعرفوا بمعابنة الآثار وسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة أى من قبل خلقهم أو من قبل زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كعاد وثمود وأضرابهم وقوله تعالى (مكنناهم في الأرض) استئناف لبيان كيفية الإهلاك وتفصيل مبادئه مبنى على سؤال نفى من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكانهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما أن النكرة مفتقرة إلى تخصيص فإذا وليها ما يصلح تخصيصاً لها تعين وصفيته لها وأنت خير بأن تنوينه التفعيلى مغن له عن استدعاء الصفة على أن ذلك مع اقتضائه أن يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الأربع أمراً مفروغاً عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد إلى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا ويا هلا كنا إياهم بذنوبهم وأنه بين الفساد وتمكين الشيء في الأرض جعله قاراً فيها ولما لزمه جعلها مقراً له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنته في الأرض ومنه قوله تعالى ولقد مكنناهم فيما إن مكنناهم فيه وأخرى مكن له في الأرض ومنه قوله تعالى إنا مكننا له في الأرض حتى أجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى (مالم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكنناهم في الأرض كأنه قيل في الأول مكنناهم أو في الثاني مالم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعايد محذوف محلها النصب على المصدرية أى مكنناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجعتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعى الضميرين (وأرسلنا السماء) أى المطر أو السحاب أو المظلة لأنها مبدأ المطر (عليهم) متعلق بأرسلنا (مدراراً) أى مغزاراً حال من السماء (وجعلنا الأنهار) أى صيرناها فقوله تعالى (تجرى من تحتهم) مفعول ثان لجعلنا أو أنشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجرى وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور مالم يس فى أن يقال وأجرينا الأنهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنائيتهم فى كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع أسباب نيل المآرب ومبادئ الأمن والنجاة من المكروه والمعاطب وعدم إغناء ذلك عنهم شيئاً والمعنى أعطيناهم من البسطة فى الأجسام والامتداد فى الأعمار والسعة من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا فى استجلاب المنافع واستدفاع المضار مالم نعط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا (فأهلكناهم بذنوبهم) أى أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما ينحصرهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله سبحانه (وأنشأنا من بعدهم) أى أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن (قرناً آخرين) بدلاً من المالكين فليبان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك الأمم الكثيرة

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

٦ الأنعام

مُبِينٌ ﴿٧﴾

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

٦ الأنعام

- ٧ لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى (ولو نزلنا عليك) جملة مستأنفة سبقت بطريق تلويح الخطاب ليبين شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة لإثريان إعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل همناً إليه عليه السلام مع نسبة إثبات الآيات وحجج الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدهم فيما نزل عليه صريحاً وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل ابن خويلد حيث قالوا الرسول الله ﷺ أن تؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وأنتك رسوله (كتاباً) إن جعل اسماً كالإمام فقوله تعالى (في قِرطاس) متعلق بمحذوف وقع صفة له أي كتاباً كائناً في صحيفة وإن جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه (فليسوه) أي الكتاب وقيل القِرطاس وقوله تعالى (بأيديهم) مع ظهور أن اللبس لا يكون عادة إلا بالأبدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء أي تفحصنا أي فسوه بأيديهم بعد ما رأوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدرُوا على الاعتذار بتسكير الأبصار (لقال الذين كفروا) أي لقالوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي أيضاً (إن هذا) أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب (إلا سحر مبين) أي بين كونه سحراً آمناً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفهم المحجوج وديدن المكابر اللجوج (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) شروع في قدهم في نبوته عليه السلام صريحاً بعد ما أشير إلى قدهم فيها ضمناً وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذلك لما أن تلك المقالة الشنعاء ليست بما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل أي هلا أنزل عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي حسبنا نقل عنهم فيما روى عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين إنزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيراً أجيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود أصلاً لا شتماله على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما أن إنزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً يستدعي عدم إنزاله على صورته لا محالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى (ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر) أي لو أنزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطبق بمشاهدته قوى الأحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يشاهدون الملائكة ويفاضونهم على الصور

- البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخهم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عدام من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضى أمر هلاكهم بالكلية واستحال جملة نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لإخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من إرسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى إيدان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حثفه بظلفه وأن عدم الإجابة إليه للبقيا عليهم وبناء الفعل الأول في الجواب للفاعل الذى هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتحويل الأمر وترية المهابة وبناء الثانى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى (ثم لا ينظرون) أى لا يملون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن أن يندروا به كما هو المقصود بالإندار للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار فإن مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق وقيل في سبب إهلاكهم أنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله ﷺ في صورته وهى آية لا شىء أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم وقيل أنهم إذا رأوه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب إهلاكهم وإلى الثانى بقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) على أن الضمير الأول للنذير المفهوم من ٩ فحوى الكلام بمعونة المقام وإنما لم يجعل للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيراً لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه أيضاً لتحقيق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثانى إنما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتدأ والثانى خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخلى على المبتدأ والخبر ولا ريب في أن مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفى الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذى هو الجعل الثانى وجب أن يجعل مدار الاستلزام فى الأول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل مقابله فى الجعل الثانى كذلك إبانة لكمال التنافى بينهما الموجب لانتفاء اللزوم والضمير الثانى للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا النذير الذى اقترحوه ملكاً لملئنا ذلك الملك رجلاً لما مر من عدم استطاعة الأحاد لمعاينة الملك على هيكله وفى إيدان رجلاً على بشرأ إيدان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى (وللبسنا عليهم) عطف على جواب لو مبنى على الجواب الأول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما فى المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للبالغة أى ولخاطنا عليهم بتمثيله رجلاً (ما يلبسون) على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدلى على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبى عليه الصلاة والسلام ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس إما لكونه فى سورة اللبس

وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ خَاقَ الَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
 ٦ الأنعام
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾
 ٦ الأنعام
 قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كُنَّبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
 الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾
 ٦ الأنعام

أو لكونه سبباً للبسم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكاً كأنه
 قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون للعنف واللبسنا عليهم حينئذ
 ١٠ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة (ولقد استهزى برسول من قبلك) تسليية
 لرسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا
 يخفى وتووين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول أي وبالله لقد استهزى
 برسول أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف
 إليه مقامه (خاق) عقيب أي أحاط أو نزل أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول والازوم
 ● ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى (بالذين
 سَخِرُوا مِنْهُمْ) أي استهزوا بهم من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو
 ● قوله تعالى (ما كانوا به يستهزئون) للسارعة إلى بيان حقوق الشربهم وما إما موصولة مفيدة للتحويل
 أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا الأجله وإما مصدرية أي فتل بهم وبال استهزأهم
 ١١ وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل (قل سيروا في الأرض) بعد بيان ما فعلت الأمم
 الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله ﷺ بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيراً لهم عما
 هم عليه وتكملة للتسليية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحقق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين
 ● ولقد أنجز ذلك يوم بدر أي إنجاز أي سيروا في الأرض لتعرف أحوال أولئك الأمم (ثم انظروا) أي
 ● تفكروا (كيف كان عاقبة المكذبين) وكلية ثم إما لأن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء
 السير إلى أما كنهم وإما لإبانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الأظهر فإن وجوب السير
 ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن
 الأمر الأول لإباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لإيجاب النظر في آثارهم وثمر لتباعد ما بين الواجب
 والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة نصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنهم
 كيف أهلكوا بعدذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية وفظاؤها وهي منتهى الأمر ومآله ووضع
 المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق أن مدار إصابة ما أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه
 ١٢ لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم أنه المدار في ذلك (قل) لهم بطريق الإلجاء

- والتسكيت (لمن مافى السموات والأرض) بمن العقلاء وغيرهم أى لمن الكائنات جميعاً خلقاً وملكا
- وتصرفاً وقوله تعالى (قل لله) تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة) جملة مستقلة داخلية تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول
- ملكه وقدرته لكل مسوقة لبيان أنه تعالى رءوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة وأن ماسبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلاً وأعرضوا عن الآيات بالمرّة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضاً مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاه أو أوجبها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلاً وقيل هو ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى وعنه فى رواية أنه ﷺ قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لكعب ما أول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت إني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقاً بالخلق وأكثر وصولاً إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيدة للخير وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعها وقوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشرأ كههم وإغفالهم النظر أى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل إلى بمعنى اللام أى ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هى بمعنى فى أى ليجمعنكم فى يوم القيامة (لا ريب فيه) أى فى اليوم أو فى الجمع وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) أى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول ﷺ واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة فى موضع النصب أو الرفع على الذم أى أعنى الذين ألح أو هم الذين ألح أو هو مبتدأ والخبر قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والإشعار بأن عدم إيمانهم بسبب خسранهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل مسوق من جهة تعالى لهم لتقبيح حا غير داخل

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ٦ الأنعام

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ٦ الأنعام

- ١٣ تحت الأمر (وله) أى الله عز وجل خاصة (ماسكن في الليل والنهار) نزل الملوان منزلة المكان فعبّر عن نسبة الأشياء الزمانية إليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أو السكون مقابل الحركة والمراد ماسكن فيهما أو تحرك فاكنتى بأحد الضدين عن الآخر ● (وهو السميع) المبالغ في سماع كل مسموع (العليم) المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال (قل) لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب (أغير الله أتخذ ولياً) أى معبوداً بطريق الاستقلال أو الاشتراك وإنما سلطت الهمزة على المفعول الأول لاعلى الفعل إيذاناً بأن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً لا اتخاذ الولي مطلقاً كما في قوله تعالى أغير الله أبغى رباً وقوله تعالى أغير الله تأمرؤى أعبد الخ (فاطر السموات والأرض) أى مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للإنكار لأنه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لأنها ليست بأجنبية إذ هي عاملة في عامل الموصوف أو بدل فإن الفصل بينه وبين المبدل منه أسهل لأن البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرايان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم) أى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة إليه أو لأنه معظم ما يصل إلى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فإن مضى منها مقرر لوجوب اتخاذ سبجانه وتعالى ولياً وقرئ ولا يطعم بفتح الباء وبكسر القراءة الأولى أيضاً على أن الضمير لغير الله والمعنى أشرك بمن هو فاطر السموات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على أن الثانى بمعنى يستطعم أو على معنى أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى ● كقوله تعالى يقبض ويبسط (قل) بعد بيان أن اتخاذ غيره تعالى ولياً مما يقضى بطلانه بديهة العقول ● (إنى أمرت) من جنباه عز وجل (أن أكون أول من أسلم) وجهه الله مخلصاً له لأن النبي إمام أمته في الإسلام كقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله تعالى سبجانهك تبث إليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) أى وقيل لى ولا تكونن (من المشركين) أى فى أمر من أمور الدين ● وممنه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الأمر (قل إنى أخاف إن عصيت ربي) أى بمخالفة أمره ونهيه أى عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً وفيه بيان لكمال اجتنابه ● عن المعاصى على الإطلاق وقوله تعالى (عذاب يوم عظيم) أى عذاب يوم القيامة مفعول خاف

مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ٦ الأنعام

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ٦ الأنعام

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٦ الأنعام

والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لأطعامهم الفارغة وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه) على البناء المفعول أى العذاب وقرئ على ١٦ البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالإظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى (يومئذ) ظرف ● للصرف أى فى ذلك اليوم العظيم وقد جوز أن يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل محذوف المضاف أى عذاب يومئذ (فقد رحمه) أى نجاه وأنعم عليه وقيل فقد أدخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتحويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي (وذلك) إشارة إلى الصرف أو الرحمة لأنها مؤولة بأن مع الفعل وما فيه من معنى البعد للإيدان ● بعلو درجته وبعد مكانه فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الفوز المبين) أى الظاهر كونه فوزاً وهو الظفر بالبغية والألف واللام لقصره على ذلك (وإن يمسسك الله بضر) أى ببليّة كمرض وفقر ونحو ١٧ ذلك (فلا كاشف له) أى فلا قادر على كشفه عنك (إلا هو) وحده (وإن يمسسك بخير) من صحة ونعمة ● ونحو ذلك (فهو على كل شىء قدير) ومن جملة ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير أن يقدر على دفعه أو على رفعه أحد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء . تذكرة : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي ميلاً ثم التفت إلى فقال يا غلام فقلت ليبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدرُوا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدرُوا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع الكرب فرجا وأن مع العسر يسراً (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) ١٨ فى كل ما يفعله ويأمر به (الخبير) بأحوال عباده وخفايا أمورهم واللام فى المواضع الثلاثة للقصر (قل أى ١٩

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ٦ الأنعام

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ ٦ الأنعام

- شئ. أكبر شهادة) روى أن قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت فأى مبتدأ أو أكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى (قل الله) أمره ﷺ بأن يتولى الجواب بنفسه إما للإيدان بتعيينه وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره أو لأنهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد في أنه أكبر من كل شئ بل في كونه شهيداً في هذا الشأن وقوله تعالى (شهيد) خبر مبتدأ محذوف أى هو شهيد (يبنى وبينكم) ويجوز أن يكون الله شهيد يبنى وبينكم هو الجواب لأنه إذا كان هو الشهيد يبنى وبينهم كان أكبر شئ شهادة شهيداً له ﷺ وتكرير البين لتحقيق المقابلة (وأوحى إلى) أى من جهته تعالى (هذا القرآن) الشاهد بصحة رسالتي (لا نذكركم به) بما فيه من الوعيد والافتصار على ذكر الإنذار لما أن الكلام مع الكفرة (ومن بلغ) عطف على ضمير مخاطبين أى لا نذكركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والاحمر أو من الثقلين أو لا نذكركم به أيها الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن نعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة خلا أن ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالإجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في أول سورة النساء (أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) تقرير لهم مع إنكار واستبعاد (قل لا أشهد) بذلك وإن شهدتم به فإنه باطل صرف (قل) تكرير للأمر للتأكيد (إنما هو إله واحد) أى بل إنما أشهد أنه تعالى لا إله إلا هو (وانتى برى عما تشركون) من الأصنام أو من إشرائككم (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى آخر عن تعيين الشهيد مسارة إلى إلزامهم بالجواب عن تحكهم بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالوصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وإيرادهم بعنوان إيتاء الكتاب للإيدان بمدار ما أسند إليهم بقوله تعالى (يعرفونه) أى يعرفون رسول الله ﷺ من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما (كما يعرفون أبناءهم) بعلام بحيث لا يشكون في ذلك أصلاً. روى أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد منى بابنى لأننى لا أدرى ما صنع النساء وأشهد أنه حق من الله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن اليينات الموجبة للإيمان بالكلية (فهم لا يؤمنون) لما أنهم مطبوع على قلوبهم ومحل الوصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الوصول بالشرط وقيل على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين خسروا الخ وقيل على أنه نعت للوصول الأول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الأخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ (ومن

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

٦ الأنعام

- أظلم من اقترى على الله كذباً (بوصفهم النبي الموعود في السكتابين بخلاف أوصافه ﷺ فإنه اقترأ على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم من فعل ذلك أو مساوياً له وإن كان سبب التركيب غير متعرض لإنكار المساواة وفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم ومفضل من كل فاضل إلا يرى إلى قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون بعد قوله تعالى ومن أظلم من اقترى على الله كذباً الخ والسبب في ذلك أن النسبة بين الشيتين إنما تنصور غالباً لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت وزيادة ونقصاها فإذا لم يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بأنهم يعرفونه ﷺ كما يعرفون أبناءهم وبالمعجزات وسموها سحراً وحرفوا التوراة وغيروا نعوته ﷺ فإن ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة أو للإيدان بأن كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا مانفاه الله تعالى ونفوا ما أثبتته قائلهم الله أنى يؤفكون (أنه) الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الإيدان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فمكانه قيل إن الشأن الخطير هذا هو (لا يفلح الظالمون) أى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظلك بمن في الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم جميعاً) منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد ٢٢ حذف إيداناً بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعاً (ثم نقول) لهم ما نقول كان من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ولحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم أى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا أولي حذرنا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعاً حال منه وقرئ يحشرهم جميعاً ثم يقول بالياء فيهما (للذين أشركوا) أى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتفريع على رموس الأثهاد (أين شركاءكم) أى ألهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وإضافتها إليهم لما أن شركتها ليست إلا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبي عنه قوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معاً وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وقطع ما بينهم من الأسباب والعلاقات حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات السكرية إما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بإبعادها من ذلك الموقف وإما بتنزيل

٦ الأنعام

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

٦ الأنعام

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

عدم حضورها بعنوان الشراكة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة إذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل إنما هو من حيث أنها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في أن عدم الوصف بوجوب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصناماً كانت أو غيرها وأما ما يقال من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجايم عنها بعد وقد عرفت أنهم شاهدوها قبل ذلك وانصرفت عروة أطماهم عنها بالكلية على أنها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وإنما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة (ثم لم تكن فتنتهم) بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسم له والخبر (إلا أن قالوا) وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والاسم إلا أن قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها أنسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملاً في يوم نحشرهم كما أشير إليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء وفتنهم إما كفرهم مراداً به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم وافتخروا به شيئاً من الأشياء إلا جحوده والتبرؤ منه بأن يقولوا (والله ربنا ما كنا مشركين) وأما جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للبالغ في التبرؤ من الإشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لإظهار الضراعة والابتهاال في استدعاء قبول المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم بأنه بمعزل من النفع رأساً من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا في الدنيا أنا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي أن يتوهم أصلاً فإنه بما يوم أن لهم عذراً ما وأن لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مغل بكمال هول اليوم قطعاً على أنه قد قضى بطلانه قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) فإنه تعجيب من كذبهم الصريح بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا على أنفسهم في قولهم ذلك فإنه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيهه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على أنفسهم بإنكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم أي زال وذهب افتراؤهم أو ما كانوا يفترونه من الإشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرّة وقيل ما عبارة عن الشركاء وإيقاع الافتراء عليها مع أنه في الحقيقة واقع على أحوالها من الإلهية والشركة والشفاعة ونحوها للبالغ في أمرها كأنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب .

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ٦ الأنعام

- (ومنهم من يستمع إليك) كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ٢٥ ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريراً لما قبله وتحقيقاً لمضمونه والضمير للذين أشركوا وحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك أي وجمع منا الخ ومن موصولة أو موصوفة محمل الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم أو وبعض منهم الذي يستمع إليك أو فريق يستمع إليك على أن مناط الإفادة اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ . روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر وكان صاحب أخبار يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بينه ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقاً فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) من الجعل بمعنى الإنشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع إلى من وجمعيته بالنظر إلى معناها كما أن أفراد ضمير يستمع بالنظر إلى لفظها وقد روى جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك الآية والأكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتوحيدهم للتفخيم والجملة إمامسة تفتة للإخبار بما تضمنه من الحتم أو حال من فاعل يستمع بإضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا أي يستمعون إليك وقد ألقينا على قلوبهم أغطية كثيرة لا يقدر قدرها خارجة عما يتعارف به الناس (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز أن يكون مفعولاً لما ينبي عنه الكلام أي منعناهم أن يفقهوه (وفي آذانهم وقراً) صمماً وثقلاً مانعاً من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم أكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشئون النبي عليه الصلاة والسلام وفرط نبوة قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومع أسماهم له وقد مر تحقيقه في أول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر الآية وأنت خير بآن مرادهم بذلك الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي ﷺ جهلاً وكفراً من اتصافهم بأوصاف مانعة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحراً وشعراً وأساطير الأولين وقس على ما تخيلوه في حق النبي ﷺ لا الإخبار بأن هناك أمراً وراء ذلك قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك (وإن يروا كل آية) من الآيات القرآنية أي يشاهدوها بسماعها (لا يؤمنوا بها) على عموم النفي لا على نفي العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي لما مر من حالهم (حتى إذا جاءوك يجادلونك) هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى إذا جاءوك (يقول الذين كفروا) وما بينهما حال من فاعل جاءوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير ذماً لهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلّة الحكم أي بلغوا من
- ١٦٥ - أبو السعود ج ٢

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ٦ الأنعام

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُوبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ٦ الأنعام

- التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاموك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (إن هذا) أي ما هذا (إلا أساطير الأولين) فإن عدا حسن الحديث وأصدقها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز أن تكون حتى جارة وإذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ومجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والأساطير جمع أسطورة أو أسطورة أو جمع أسطار وهو جمع سطر بالتحريك وأصل الكل السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) الضمير المرفوع للذكورين والمجرور للقرآن أي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الأساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به (وينأون عنه) أي يتباعدون عنه بأنفسهم إظهاراً لغاية نفورهم عنه وتأكيذاً لنهيهم عنه فإن اجتناب الناهی عن المنهى عنه من متهمة النهى ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهى وقيل الضمير المجرور للنبي ﷺ وقيل المرفوع لأبي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لا تباعه فإنه كان ينهى قريشاً عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله ﷺ سوءاً فقال [والله إن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في الزراب دينا] [فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر بذاك وقر منه عيوننا] [ودعوتني وزعمت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أميننا] [وعرضت ديناً لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا] [لولا الملامة أو حذارى سبة * لوجدتني سمحاً بذاك ميبنا] فنزلت (وإن يهلكون) أي ما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأي (إلا أنفسهم) بتمريرها لا شد العذاب وأفظمه عاجلاً وآجلاً وهو عذاب الضلال والإضلال وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير يهلكون أي يقصرون الإهلاك على أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي لا ياهلاكم أنفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير أن يضروا بذلك شيئاً من القرآن والرسول ﷺ والمؤمنين وإنما عبر عنه بالإهلاك مع أن المنفى عن غيرهم مطلق الضرر إذ غاية ما يؤدي إليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم الممانعة في تمشي أحكامه وظهور أمر الدين للإيدان بأن ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا ييغون الغوائل لرسول الله ﷺ والمؤمنين ويجوز أن يكون الإهلاك معتبراً بالنسبة إلى الذين يضلونهم بالنهى فقصره على أنفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبنى على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الإضلال منزلة العدم (ولو ترى إذ وقفوا على النار) شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبايح المحكية مع كونه كذباً في نفسه والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُحْكُمُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ٦ الأنعام

- من أهل المشاهدة والبيان قصداً إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براءدون راء عن اعتاد مشاهدة الأمور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية بتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهور موإيداناً بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه أى لو ترام حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يسهه التعبير وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حين يطلعون عليها اطلاقاً وهى تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرىء وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفاً (فقالوا ● ياليتنا نرد) أى إلى الدنيا تمنياً الرجوع والخلاص وهيئات ولات حين مناص (ولا تكذب بآيات ربنا) ● أى بآياته الناطقة بأحوال النار وأهوالها الأمرة باتقانها إذهى التى تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا فى حقها أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاماً أولياً (ونكون من المؤمنين) بها العاملين ● بمقتضاها حتى لا ترى هذا الموقف الهائل أو نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التثنية بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن إسحق فلا تكذب والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من أن المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا رداً وانتفاء تكذيب وكوننا من المؤمنين وقرىء برفعهما على أنه كلام مستأنف كقوله دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود تركنى أو لم تتركنى أو عطف على نرد أو حال من ضميره فيكون داخلاً فى حكم التثنية كالوجه الأخير للنصب وتعلق التكذيب الآتى به لما تضمنه من العدة بالإيمان وعدم التكذيب كمن قال ايتنى رزقت ما لا فأ كافئك على صنيعك فإنه متمن فى معنى الواعد فلورزق ما لا ولم يكافىء صاحبه يكون مكذباً لا محالة وقرىء برفع الأول ونصب الثانى وقد مر وجههما (بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل) إضراب ٢٨ عما ينبى عنه التثنية من الوعد بتصديق الآيات والإيمان بها أى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة فى الإيمان وشوق إلى تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم فى وقفهم ذلك ما كانوا يخفونه فى الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا أنهم واقعوا فلخوفها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التى وقفوا عليها إذهى التى سبق الكلام لتحويل أمرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبإخفائها تكذيبهم بها فإن التكذيب بالشئ كفر به وإخفاء له لا محالة وإيشاره على صريح التكذيب الوارد فى قوله عز وجل هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التى كنتم بها تكذبون مع كونه أنسب بما قبله من قولهم ولا تكذب بآيات ربنا لمراعاة ما فى مقابلته من البدو هذا هو الذى تستدعيه جزالة النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم التى كانوا يكتتمونها من الناس فنظير فى محضهم وبشهادة جوارحهم عليهم أو شركهم الذى يجحدون به فى بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء

٦ الأنعام

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ

٦ الأنعام

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

- الكفرة عن اتباعهم من أمر البعث والنشور أو ما كتبه علماء أهل الكتابين من محبة نبوة النبي ﷺ ونعوته الشريفة عن عوامهم على أن الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص أو كفرهم الذي أخفوه عن المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للنافقين فبعد الإغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل إلى شيء من ذلك أصلاً لما عرفت من أن سوق النظم الشريف أتويل أمر النار وتقطيع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشار إلى أنه اعترافهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيمهم المذكور بإلغاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي وأزجر الزواجر ولا سند لها إلى شيء من الأمور المذكورة التي دونها في الهول والجزع مع عدم جريان ذكرها ثمة أمر يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله وأما ما قبل من أن المراد جزاء ما كانوا يخفون فن قبيل دخول البيوت من ظهورها وأبوابها مفتوحة فتأمل (ولوردوا) ●
- أى من موقفهم ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الأحوال (لعادوا لما نهوا عنه) ● من فنون القبايح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد ٢٩ دون الغائب (ولأنهم لكاذبون) أى لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون (وقالوا) عطف على عادوا داخل في حين الجواب وتوسيط قوله تعالى وإنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق لتقرير ما أفاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو أخر لا وهم أن المراد تكذيبهم في إنكارهم البعث والمعنى لوردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا (إن هي) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا وما نحن
- بمبعوثين) بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الأحوال التي أولها البعث والنشور (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) الكلام فيه كالذى مر في نظيره خلا أن الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للمعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فإذا قال لهم ربهم
- إذ ذاك فقيل قال (أليس هذا) مشيراً إلى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الأمور العظام (بالحق) ● تقريراً لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو إلا باطل (قالوا) استئناف ● كما سبق (بلى وربنا) أكدوا اعترافهم باليمين إظهاراً لكمال يقينهم بحقيقته وإيضاحاً بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعاً في نفعه (قال) استئناف كما مر (فذوقوا العذاب) الذى عاينتموه وإلغاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقته ما كفروا به في الدنيا لکن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق ● بما اعترفوا بحقيقته الآن كما نطق به قوله عز وجل (بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا
وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾

٦ الأنعام

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ٦ الأنعام

- بكل ما يجب الإيمان به فدخل كفرهم به دخولا أولياً ولعل هذا التوبيخ والتفريع إنما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) ٣١
- هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بتسبب خسراهم بما في حيز الصلة من التكذيب ببقاءه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المنفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذبيهم لا لخسراهم فإنه أبدى
- لا حذله (بغتة) البغت والبغتة مفاجأة للشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغتة بغتاً وبغتة أى فجأة وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أى مباغتة أو من مفعوله أى مبغوتين وإما على أنها مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم فى معنى بغتتهم كقولهم أتيتهم ركضاً أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم أى جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة (قالوا) جواب إذا
 - (يا حسرتنا) تعالى فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وإن كان يعترهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادئ الساعة سمى باسمها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته (على ما فرطنا فيها) أى على تفرطنا فى شأن الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة كما فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير فى الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أى السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما فى جللت البعير وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) حال من فاعل قالوا فائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصوراً على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الأوزار الثقال والإيذاء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر فى ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر فى الأصل الحمل الثقيل سمي به الإثام والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي فى قوله تعالى فيما كسبت أيديكم فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المؤلف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات (ألا ساء ما يزرون) تذييل مقرر لما قبله واتكلم له أى بنس شيئاً يزرونه وزرهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) لما حقق فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تلك الحياتين فى أنفسهما واللعب

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَتْ آلَهُ
يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾

٦ الأنام

عمل يشغل النفس ويفطرها عما تنتفع به والله صرفها عن الجد إلى الهزل والمعنى إما على حذف المضاف
أو على جمل الحياة الدنيا نفس اللعب والله مبالغة كما في قول الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار أى وما أعمال
الدنيا أى الأعمال المتعلقة بها من حيث هى هى أو وما هى من حيث إنها محل لكسب تلك الأعمال
إلا لعب يشغل الناس ويلهمهم بما فيه من منفعة سريرة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم
● منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الإيمان والعمل الصالح (وللدار الآخرة) التى هى محل
● الحياة الأخرى (خير للذين يتقون) الكفر والمعاصى لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منقصة
● بالآلام مستمرة على الدوام (أفلا تعقلون) ذلك حتى تنقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفناء
٢٣ للعطف على مقدر أى أتفعلون فلا تعقلون أو ألا تفكرون فتعقلون وقرىء يعقلون على الغيبة (قد
نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون) استئناف مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الذى يعتريه بما حكى
عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله عز
وجل وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام وكلمة قد
لنا كيد العلم بما ذكر المفيد لنا كيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
ونحوهما يا خراجها إلى معنى التكثير حسبما يخرج إليه ربما في مثل قوله [وإن تمس مهجور الفناء فر بما]
أقام به بعد الوفود وفود [جرياً على سنن العرب عند قصد الإفراط في التكثير تقول لبعض قواد
العساكرم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقاب حمة يريد بذلك التماذى في تكثير
فرسانه ولكنه يروم إظهار براءته عن التزيد وإبراز أنه عن يقلل كثير ما عنده فضلاً عن تكثير القليل
وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة إنما تسلك عند كون الأمر من
الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة أو ادعاء كما في البيت
وقوله [قد أترك القرن مصفراً أنامله] وقوله [ولكنه قد يهلك المال نائله] والمراد بكثرة عليه تعالى
كثرة تعلقه وهو متعدد إلى اثنين وما بعده ساد مسددهما واسم إن ضمير الشأن وخبرها الجملة المفسرة له
والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف أى الذى يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم إن هذا إلا أساطير
● الأولين ونحو ذلك وقرىء ليحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (فإنهم لا يكذبونك)
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهى عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا
والإقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام وجودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فإنه مع كونه بمعزل
من التسلية بالكلية بما يؤم كونه حزنه عليه الصلاة والسلام لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيد من
بلوغه عليه الصلاة والسلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل إلى حيث لا غاية وراءه
حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه ﷺ تكذيباً لا ياتيه سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول

وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

٦ الأنعام

- فقد أطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه ﷺ وأثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبيعون الله إذنا بكال القرب واضمحلال شئونه ﷺ في شأن الله عز وجل نعم فيه استعظام لجناياتهم منبىء عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد به و كله إلى الله تعالى فإنهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يحدون) أى ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذى جحدوه من فتنه والالتفات إلى الاسم الجليل لترية الممابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحد آياته تعالى وإيراد الجحد فى مورد التكذيب للإبذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحد الذى هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه كما فى قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وهو المعنى بقول من قال أنه نفى ما فى القلب إثباته أو إثبات ما فى القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه إذا أنكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمنين الجحد معنى التكذيب وأبأ ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يحدون بالسنتهم ويعصده ماروى من أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فإذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب فى شىء ولكنهم كانوا يحدون وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يحدون بآيات الله كما يروى أن أبا جهل كان يقول لرسول الله ﷺ ما تكذبك وإنك عندنا لصادق ولكننا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث بمطابقة خبره لا اعتقاده والأول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الإكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كما كثر وكثر وأنزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى أكذبه وجده كاذباً ونقل عن الكسائى أن العرب تقول كذبت الرجل أى نسبت الكذب إليه وأكذبه أى نسبت الكذب إلى ما جاء به لا إليه .
- وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) افتنان فى تسليته عليه الصلاة والسلام فإن عموم البلية ربما ٣٤ يهون أمرها بعض تهوين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام فى الصبر على ما أصابهم من أهمهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له عليه الصلاة والسلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن إماما متعلقة بكذبت أو بمحذوف وقع صفة لرسل أى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل أولو شأن خطير وذوو عدد كثير أو كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك (فصبروا على ما كذبوا) ما مصدرية وقوله ●

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بَغَايَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ ﴿٣٥﴾ ٦ الأنعام

- تعالى (وَأَوْذُوا) عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول أى فصبروا على تكذيبهم وإيذاهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بإيذاهم إما عين تكذيبهم وإما ما يقارنه من فؤون الإيذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب إيابه غالباً وأياماً كان ففيه تأكيد للتسليية
- وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى (حتى أتاهم نصرنا) غاية للصبر وفيه إيذان بأن نصره تعالى إياهم أمر مقرر لا مرد له وأنه متوجه إليهم لابد من إتيانه البتة والالتفات إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى (ولا مبدل لكلمات الله) اعتراض مقرر لما قبله من إتيان نصره إياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبيء عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي من المواعيد السابقة للرسول عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصره رسول الله أيضاً لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فإن الإخبار بعدم تبدلها إنما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة إلى رسول الله ﷺ خاصة دون المواعيد السابقة للرسول عليهم الصلاة والسلام ويجوز أن يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام دخولاً أولاً والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلو الحكم فإن الأولوية من موجبات أن لا يغالبه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الأقوال وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبي المرسلين) جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيده ما في ضمنه من الوعد لرسول الله ﷺ أو لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الأمم وما ترتب عليه من الأمور والجار والمجرور في محل الرفع على أنه فاعل إما باعتبار مضمونه أى بعض نبي المرسلين أو بتقدير الموصوف أى بعض من نبي المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية وأياماً كان فالمراد بنبيهم عليهم السلام على الأول نصره تعالى إياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين أمهم على ما ينبيء عنه قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاء العائد إلى ما يفهم من الجملة السابقة أى ولقد جاءك هذا الخبر كائناً من نبي المرسلين (وإن كان كبر عليك إعراضهم) كلام مستأنف مسوق لنا كيد لإيجاب الصبر المستفاد من التسليية ٣٥
- بيان أنه أمر لا محيد عنه أصلاً أى إن كان عظم عليك وشق إعراضهم عن الإيمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له أساطير الأولين وتنايهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل إن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى رسول الله ﷺ في محضر من قرئش فقال يا محمد اتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل وأنا أصدقك فآبى الله أن يأتي بآية بما اقترحوا فأعرضوا عن رسول

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

٦ الأنعام

- الله ﷻ فمدق ذلك عليه لما أنه عليه الصلاة والسلام كان شديد الحرص على إيمان قومه فكان إذا سألوا آية يود أن ينزلها الله تعالى طمعاً في إيمانهم فنزلت فقوله تعالى إعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مراراً من الاهتمام بالمقدم والنشويق إلى المؤخر والجملة في محل النصب على أنها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة إلى تقدير قد وقيل اسم كان إعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على أنها خبر لها مقدم على اسمها لأنه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى (فإن استطعت) الخ شرطية أخرى محذوفة الجواب وقعت جواباً للشرط الأول والمعنى إن شق عليك إعراضهم عن الإيمان بما جئت به من البينات وعدم عدم لها من قبيل الآيات وأحييت أن يجيبهم إلى ما سألوه اقتراحاً فإن استطعت (أن تبغى نفقاً) أى سرباً ومنفذاً (في الأرض) تنفذ فيه إلى جوفها ● (أو سلماً) أى مصعداً (في السماء) تعرج به فيها (فتأتيهم) منهما (بآية) مما اقترحوه فافعل وقد جوز أن يكون ابتغواهما نفس الإتيان بالآية فالقاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم أى فإن استطعت أن تبغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقاً وسلماً والأول للمجرد التأكيدي إذ النفق لا يكون إلا في الأرض أو تبغى وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالاً من فاعل تبغى أى أن تبغى نفقاً كأنما أنت في الأرض أو سلماً كأنما في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه الصلاة والسلام على إسلام قومه وتراهم إلى حيث لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لإيمانهم مالا يخفى وإيشار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للإيذان بأن ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطيع ابتغاؤه فكيف باتخاذ (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولو شاء الله تعالى أن يجمعهم على ما أتم عليه من الهدى لفعله بأن يوفقهم الإيمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم النام منه في مشاهدتهم للآيات الداعية إليه لأنه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم إلى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بأن يأتيهم بآية ملجئة إليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى (فلا تكونن من الجاهلين) نهى لرسول الله ﷺ عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والميل إلى إتيان ما يقترحونه من الآيات طمعاً في إيمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى وإذا عرفت أنه تعالى لم يشأ هدايتهم وإيمانهم بأحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على إسلامهم أو الميل إلى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شئونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم أما اختياراً فلعدم توجههم إليه وأما اضطراراً فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز أن يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه الصلاة والسلام من المساعدة على اقتراحهم وإيرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم (إنما يستجيب ٣٦

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ

٦ الأنعام

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

- الذين يسمعون (تقرير لما مر من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقراً حاجزاً من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الإيمان البتة والاستجابة الإجابة المقارنة للقبول أي إنما يقبل دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقي إليهم سماع تفهم وتدبردون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى إنك لا تسمع الموتى وقوله تعالى (والموتى يبعثهم الله) تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم إقلاعهم عنه أصلاً على أن الموتى من القبور وقيل بيان مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم أي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم (ثم إليه يرجعون) للجزاء فحينئذ يستجيبيون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجوع رجوعاً والمشهورة أو في بحق المقام لأنبائه عن كون مرجعهم إليه تعالى بطريق الاضطرار (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والفائلون رؤساء قريش وقيل الحرث بن عامر بن نوفل وأصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان إلى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخبر لها صم الجبال حتى اجترعوا على ادعاء أنها ليست من قبيل الآيات وإنما هي ما اقترحوه من الخوارق الملبجة أو المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الإنزال كما ينهى عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وما يفيدته التعريض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من الإشعار بالعلية إنما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم وإطلاق الآية في قوله تعالى (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) مع أن المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجازاة معهم على زعمهم ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كما ينزال ملائكة العذاب ونحوه على أن تنوينا للتفخيم والتوبيخ كما أن إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلية القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار الإيذان بأن عدم تنزيله تعالى إياها مع قدوته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينهى عنه الاستدراك بقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ليسوا من أهل العلم على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا يعلمون شيئاً على أنه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية أي آية ولكن أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلماً لأساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار أو استئصالاً لهم بالكلية فيقترحونها جهلاً ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم لما أن بعضهم واقفون على حقيقة

وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

٦ الأنعام

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

٦ الأنعام

- الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعناداً وقوله تعالى (وما من دابة في الأرض) الخ كلام مستأنف ٣٨ مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدايل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لنا كيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفاً على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر (إلا أمم) أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير إلا أمم (أمثالكم) أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد ومنظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن حوية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي في القرآن على الأول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزبذبة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه تعالى مراعى لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطاً فيه شيئاً من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وأياً ما كان فالجملته اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستقصاة في اللوح المحفوظ غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى (ثم إلى ربهم يحشرون) بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجزأهم والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك أمورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجهنم من القرناء وقيل حشرها موتها وبأباه مقام تهويل الخطب وتفضيع الحال وقوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا) متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ٣٩ والموصول عبارة عن المعبودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع الأمور المهمة وأزحنا به العلل والأعذار والذين كذبوا بآياتنا

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ الأنعام

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٦﴾ الأنعام

- التي هي منه (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الأولين ولا يعدونها من
- الآيات ويقترحون غيرها (وبكم) لا يقدرّون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها
- وقوله تعالى (في الظلمات) أي في ظلمات الكفر أو ظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر ثان للبتدأ على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمى وإما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصم إذا كان بصيراً ربما يفهم شيئاً بإشارة غيره وإن لم يفهمه بعبارة غيره وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولاً عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسند عليه باب الفهم والتفهم بالكلية وقوله تعالى (من يشأ الله يضلله) تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلاً فمن مبتدأ خبره ما بعد ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي من يشأ الله إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي يخلق فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرايتكم) أمر لرسول الله ﷺ بأن يسكتهم ويلقمهم الحجة بما لا سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جى به لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية فليبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها أي أخبروني (إن أنا كم عذاب الله) حسبما أتى الأمم السابقة من أنواع العذاب الديوى (أو أتكم الساعة) التي لا يحصى عنها البنة (أغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحط التبيكيت وقوله تعالى (إن كنتم صادقين) متعلق بأرايتكم مؤكداً للتبيكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة أو إن كنتم قوماً صادقين فأخبروني أغير الله تدعون إن أنا كم عذاب الله الخ فإن صدقهم بأي معنى كان من موجبات إخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون أعني فادعوه على أن الضمير لغير الله فدخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره تعالى عند إتيان ما يتأتى لأنفس دعائهم إياه وقوله تعالى (إبل إياه تدعون) عطف على جملة منفية بنى عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار إنباء جليلاً كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون وقوله تعالى (فيكشف ما تدعون إليه) أي إلى كشفه عطف على تدعون أي فيكشفه إثر دعائكم وقوله تعالى (إن شاء) أي إن شاء كشفه لبيان أن قبول دعائهم غيره مطرد بل هو تابع

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ٦ الأنعام

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ٦ الأنعام

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا

هُمْ مُبْتَلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ٦ الأنعام

- لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الديني وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الآخروي الذي من جملة الساعة وقوله تعالى (وتنسون ما تذكرون) أي تتركون ما تذكرون به تعالى من الأصنام تركاً كلياً عطف على تدعون أيضاً وتوسيط الكشف بينهما مع تقاربهما وتأخر الكشف عنهما لإظهار كمال العناية بشأن الكشف والإيدان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى (ولقد أرسلنا) كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا يدعو الله تعالى عند إتيان العذاب أيضاً لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول أرسلنا محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال المرسلين أي وبالله لقد أرسلنا رسلاً (إلى أمم) كثيرة (من قبلك) أي كائنة من زمان قبل زمانك (فأخذناهم) أي فكذبوا رسلاًهم فأخذناهم (بالأساء) أي بالشدة والفقر (والضراء) أي الضرو والآفات وهما صيغتان تأتيان لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) أي لكي يدعو الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه (ولكن قست قلوبهم) ٤٣ استدراك عما قبله أي فلم يتضرعوا إليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعونه إليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه من القساوة أو ازدادت قساوة كقوله لم يكرمني إذ جنته ولكن أهانني (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي فلم يخطرأ يبالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل الاستدراك لبيان أنه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والإعجاب بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى (فلانسا وما ذكرنا) ٤٤ به) عطف على مقدر ينساق إليه النظم الكريم أي فأنهم كفوا فيه ونسوا ما ذكرنا به من البأساء والضراء فلما نسوا (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من فنون النعماء على مناجاة الاستدراج لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال يكر بالقوم ورب الكعبة وقرى فتحن بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور إشعار بأن التذكر في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) هي التي يبتدأها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا الآية ونظائره وهي

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ٦ الأنعام

- مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنأ أو لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى إذا اطمأنوا بما أُنْبِئَ لهم وبطروا وأشروا (أخذناهم بغتة) أي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقمأ وأفطع هو لا (فإذا هم مبلسون) متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجهون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً أي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بعملة الحكم فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو
- وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على ما جرى عليهم من النكال فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام (قل أرايتم) أمر لرسول الله ﷺ بتكرير التوبيخ عليهم وتثنية الإلزام بعد تكملة الإلزام الأول ببيان أنه أمر مستمر لم يزل جارياً في الأمم وهذا أيضاً استخبار عن متعلق الرؤية وإن كان بحسب الظاهر استخباراً عن نفس الرؤية (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن أصمكم وأعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم أصلاً وتصيرون مجانين ويجوز أن يكون الختم عطفاً تفسيرياً للأخذ المذكور فإن السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرد من المدركات فأخذها سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم أخذها على ختمها وأما تقديم السمع على الإبصار فلأنه
- مورد الآيات القرآنية وإفراده لما أن أصله مصدر وقوله تعالى (من إله) مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى (غير الله) صفة للخبر وقوله تعالى (يأتاكم به) أي بذلك على أن الضمير مستعار لاسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه صفة أخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار أي أخبروني إن
- سلب الله مشاعركم من إله غيره تعالى يأتاكم بها وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) تعجيب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير (ثم هم يصدفون) عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد
- صدوفهم أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليها (قل أرايتكم) توبيخ لآخر لهم بإلجائهم إلى الاعتراف باختصاص للعذاب بهم (إن أناكم عذاب الله) أي

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

٦ الأنعام

- عذابه العاجل الخاص بكم كما أتى من قبلكم من الأمم (بغثة) أى فجأة من غير أن يظهر منه مخايل الإتيان
- وحيث تضمن هذا معنى الخفية قبل بقوله تعالى (أوجرة) أى بعد ظهور أماراته وعلائمه وقيل ليلاً أو نهاراً كما فى قوله تعالى بياناً أو نهاراً لما أن الغالب فيما أتى ليلاً البغثة وفيما أتى نهاراً الجهرة وقرىء بغثة أوجرة وهما فى موضع المصدر أى إتيان بغثة أو إتيان جهرة وتقديم البغثة لكونها أهول وأفظع وقوله تعالى (هل يهلك) متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أى قل لهم تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم
- أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى حسماً تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أى هل يهلك غيركم من لا يستحقه وإنما وضع موضعه (إلا القوم الظالمون) تسجيلاً عليهم بالظلم وإيداناً بأن مناط إهلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم الكفر موضع الإيمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً قال الزجاج هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم ويأباه تخصيص الإتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى الذى فتعلق الاستخبار حينئذ مخدوف كأنه قيل أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى بغثة أوجرة ماذا يكون الحال ثم قيل بياناً لذلك ما يهلك إلا القوم الظالمون أى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم فمن قيد إهلاكهم بهلك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر بإخراج غير الظالمين لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الإثابة ورفع الدرجة فقد أهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعينه وأخل بجزالة النظم الكريم وقرىء هل يهلك من الثلاثى (وما نرسل المرسلين) كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على ٤٨ الإطلاق وتحقيق ما فى عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية وقوله تعالى (إلا مبشرين ومنذرين) حالان مقدرتان من المرسلين أى ما نرسلهم إلا مقدرتين تبشيرهم وإنذارهم فقيهما معنى العلة الغائية قطعاً أى لبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وإنذروهم بالعذاب على المعصية أى ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينياً كان أو أخروبياً من غير أن يكون لهم دخل ما فى وقوع المخبر به أصلاً وعليه يدور القصر والإلزام أن لا يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة والفاء فى قوله تعالى (فمن آمن وأصلح) لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء فى قوله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لشبه الموصول بالشرط أى لا خوف عليهم من العذاب الذى أنذروه
- دينياً كان أو أخروبياً ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفى الخوف على نفى الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة إلى من باعتبار معناها كما أن أفراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء دوامها كما بوجه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ٦ الأنعام

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا

مَأْيُوحَتِي إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ٦ الأنعام

لما تقرر في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام ألا يرى أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها حرف النفي
دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد
استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في
ذلك فإن قولك ما زيداً ضربت مفيد لاختصاص النفي بالنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل
(والذين كذبوا) عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى (بآياتنا) إشارة إلى أن ما ينطق به الرسل
عليهم السلام عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم آياته تعالى وأن من آمن به فقد آمن بآياته تعالى
ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل
المرسلين إلا ليخبروا أممهم من جهتنا بما سيقع منا من الأمور السارة والضارة لا ليقعوا استقلالاً
من تلقاء أنفسهم أو استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فإذا كان الأمر كذلك فمن آمن
بما أخبروا به من قبلنا تبشيراً أو إنذاراً في ضمن آياتنا وأصلح ما يجب لإصلاحه من أعماله أو دخل في
الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والإنذار (بمسهم
العذاب) أي العذاب الذي أنذروه عاجلاً أو آجلاً أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاماً أولاً
(بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة
٥٠ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) استئناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل
وإنزال الكتب مسوق لإظهار تبرئه ﷺ عما يدور عليه مقترحاتهم أي قل للكفرة الذين يقترحون
عليك تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلى أنصرف
فيها كيفما أشاء استقلالاً أو استدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الآيات وإنزال العذاب أو قلب الجبال ذهباً
● أو غير ذلك مما لا يليق بشأنى وجعل هذا تبرؤاً عن دعوى الإلهية بما لا وجه له قطعاً وقوله تعالى (ولا
أعلم الغيب) عطف على محل عندي خزائن الله أي ولا أدعي أيضاً أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى
● تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب أو نحوهما (ولا أقول لكم إنني ملك) حتى تكلفوني
من الأقاويل الخارقة للعادات ما لا يطبق به البشر من الرقي في السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي
بصفاتهم قادحاً في أمرى كما ينهى عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والمعنى
أنى لا أدعي شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها وأحكامها وتجعلوا عدم
إجابتى إلى ذلك دليلاً على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعاً بل إنما هي

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِي وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

٦ الأنعام

- عبارة عن تلقى الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبغي عنه قوله تعالى (إن أتبع
إلا ما يوحي إلى) لا على معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحي إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى المفعول
بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله ﷺ باتباع ما يوحي إليه بتوجيه القصر
إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يفرضه من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معاً في خصوصية فإن
ذلك غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص
فإن كل فعل من الأفعال الخاصة كنصر مثلاً ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل
وإلى معنى خاص يقومه فإن معناه فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع بفعل
الإعطاء والمنع فورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الأصل والإثبات إلى القيد
كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحي إلى من غير أن يكون لى مدخل ما في الوحي أو في الموحى بطريق
الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً (قل هل يستوى الأعمى والبصير) مثل للضال والمتمتدى على
الإطلاق والاستفهام إنكارى والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من
الإشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتمام ما لا يخفى وتكرير الأمر لثنية
التبكي وتأكيد الإلزام وقوله تعالى (أفلا تتفكرون) تفریع وتوبيح داخل تحت الأمر والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أى ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه أو أن تسمعون فلا تتفكرون
فيه فمناط التوبيخ في الأول عدم الأمرين معاً وفي الثانى عدم التفكير مع تحقق ما يوجهه (وأنذره الذين
يخافون أن يحشروا إلى ربهم) بعد ما حكى لرسول الله ﷺ أن من الكفرة قوما لا يتعظون بتصرف الآيات
الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد إيفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالأموات وقرر
ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبكي والإلزام ما يلزمهم الحجر أى إلزام فابوا إلا الإباء والنكير وما
نفع فيهم عظة ولا تذكير وما أفادهم الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر عليه الصلاة والسلام بتوجيه
الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتى سواء كانوا جازمين
بأصله كآهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام كالأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين فيهما معاً كبعض الكفرة الذين يعلم من
حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقاً وأما المنكرون للحشر رأساً والقائلون به القاطعون
بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون من أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون في الأعمال
من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما يقضى باستحالة صحته كما ستقف عليه

وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

٦ الأنعام

والضمير المحرور لما يوحى أو لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني الإنذار إما العذاب الآخرى
المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى (ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع) في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس
لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد
بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما ينط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة
أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار
وأما الحال الثانية فليست لإخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزام ثبوت
ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى ومالك من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو
فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى في قوله تعالى ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير
منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين
من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وإنما الذي يخافونه الحشر بدون
نصرته عز وجل وقوله تعالى (لعلمهم يتقون) تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي أو
٥٢ حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجياً تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى (ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) لما أمر ﷺ بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهى
ﷺ عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روى أن رؤساء من المشركين قالوا الرسول الله ﷺ لو طردت
هؤلاء الأعداء وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم رضى
الله تعالى عنهم جلسنا إليك وحادثناك فقال ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين فأقولوا فاقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا
فأقعدهم معك إن شئت قال ﷺ نعم طمعاً في إيمانهم . وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال له عليه
الصلاة والسلام لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن
عدي والحارث بن نوفل وقرصة بن عبيد وعمرو بن نوفل وأشراف بن عبد مناف من أهل الكفر أتوا
أبا طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد من آلنا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم
في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبا طالب إلى النبي ﷺ لحدثه بالذي كلبه فقال عمر رضى الله عنه لو
فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء
الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذو وهم من المؤلفة قلوبهم

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

٦ الأنعام

- فوجدوا النبي ﷺ جالسا مع أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله ﷺ حقروهم فاتوه عليه الصلاة والسلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم لخالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإننا نحب أن نجعل لنا معك مجلسا نعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعداء فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال ﷺ نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب ونحن نقعد في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأقيناؤه جلسنا عنده وكنا ندنونه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحبوا ومعكم الملمات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرىء بالعدوة وقوله تعالى (يريدون وجهه) حال من ضمير يدعون أى يدعونه تعالى ●
- مخلصين له فيه وتقييده به لنا كيد عليته للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء) اعتراض وسط بين النهى وجوابه تقرير أنه ودفعاً لما عسى يتوهم كونه مسوغاً لطردهم من أفابل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أى ما عليك شيء ما من حساب لإيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبها هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى إن حسابهم إلا على ربى وذكر قوله تعالى (وما من حسابك عليهم من شيء) مع أن الجواب قد تم بما قبله للغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه ﷺ بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلاً وهو انتفاء كون حسابهم ﷺ عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما ما قبل من أن ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فغير حقيق بجملة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة الأولى للقصد إلى إيراد النهى على اختصاص حسابهم به ﷺ إذ هو الداعى إلى تصديده ﷺ لحسابهم وقيل الضمير للشركين والمعنى إنك لا تأخذ بحسابهم حتى يهلك إيمانهم ويدعوك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين وقوله تعالى (فطردهم) جواب النهى وقوله تعالى (فتكون من الظالمين) جواب النهى وقد جوز عطفه على فطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهى وذلك إشارة إلى ٥٣ مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقر المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن
عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾

٦ الأتباع

مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإبذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزله في الكمال والكاف مقحمة لنا كيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتننا بعضهم ببعض فتونا كأننا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لإفادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتننا أي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في أمر الدين على الأولين المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدماً كلياً واللام في قوله تعالى (ليقولوا) للعائبة أي ليقول البعض الأولين مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم نظراً إلى ما بينهما من التفاوت الفاحش الديني وتعامياً عما هو مناط التفضيل حقيقة (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بأن وفقهم لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع المن راساً على طريقة قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه لانتقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه الباطح بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله مالا يخفى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيهاً على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان بها كما أن مناط النهي عن الطرد فيها سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى (فقل سلام عليكم) أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابلتهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي قضاهما وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا بتوسط شيء ما أصلاً تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وببيل المطالب لئلا تبشيرهم بالسلامة عن المكروه وقوله التوبة منهم وفي التعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم والإشعار بعلّة الحكم وقيل إن قوماً جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا إنا أصبنا ذنباً عظيماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى (أنه من عمل منكم سوءاً) بدل من الرحمة وقرئ بكسر إله على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى (بجهالة) حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للإبذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه

٦ الأنعام

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

٦ الأنعام

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ

٦ الأنعام

الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾

- يؤدي إلى الضرر أو عمله ملتبساً بجهالة (ثم تاب من بعده) أى من بعد عمله أو من بعد سقمه (وإصلاح)
- أى ما أفسده تداركاً وعزماً على أن لا يعود إليه أبداً (فأنه غفور رحيم) أى فأمره أنه غفور رحيم أو فله أنه غفور رحيم وقرئ: فإنه بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبراً لمن على أنها موصولة أو جواباً لها على أنها شرطية (وكذلك نفصل الآيات) قد مر آنفاً ما فيه من الكلام أى هذا التفصيل ٥٥
- البديع نفصل الآيات في صفة أهل الطاعة وأهل الإجمام المصيرين منهم والواابين (ولتستبين سبيل المجرمين) بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ: بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وإنما قصد الإشعار بأن له فوائد جمة من جملتها ما ذكر أو علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفاً أى ولتستبين سبيلهم فعمل ما نفعل من التفصيل وقرئ: بنصب السبيل على أن الفعل متعدي وتأوّه للخطاب أى ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعلمهم بما يليق بهم (قل إنني نهيت) أمر ﷺ بالرجوع إلى مخاطبة المصيرين على الشرك ٥٦
- إثر ما أمر بمعاملة من عداكم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بجاهلهم أى قل لهم قطعاً لأطعامهم الفارغة عن ركونه ﷺ إليهم وبياناً لكون ما هم عليه من الدين هوى محضاً وضلالاً بحيث لا يصرّفون وزجرت بمناصب
- لى من الأدلة وأنزل على من الآيات في أمر التوحيد (أن أعبد الذين تدعون) أى عن عبادة ما تعبدونه
- (من دون الله) كأنما ما كان (قل) كرر الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به أو لإدانة باختلاف
- المقولين من حيث إن الأول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته ﷺ من الانتهاء
- عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وإنما قيل (لا أتبع أهواءكم) استجهاً لهم وتنصيماً على أنهم فيما هم فيه تابعون لأهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين أصلاً وإشعاراً بما يوجب النهي والانتهاء
- وقوله تعالى (قد ضللت إذا) استئناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال
- والغواية أى إن اتبعتم أهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى (وما أنا من المهتدين) عطف على ما قبله والعدول
- إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار أى دوام النفي واستمراره لانفي الدوام والاستمرار
- كما مر مراراً أى ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عداكم وقوله تعالى (قل إنني على بينة) تحقيق ٥٧
- للحق الذي عليه رسول الله ﷺ وبيان لاتباعه إياه إثر إبطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ الأنعام

- اتباعه له والبيئة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحى وقيل هي الحجج العقلية أو ما يعتمدها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى (من ربي) متعلق بمحذوف هو صفة بيئة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وفي التعرض لعنوان الرواية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من التشریف ورفع المنزلة مالا يخفى وقوله تعالى (وكذبتم به) إما جملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدونه جىء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضيه عدمه من غاية وضوح البيئة والضمير المجرور للبيئة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى إني على بيئة عظيمة
- كافتة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجىء العذاب وقوله تعالى (ما عندى ما تستعجلون به) استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجىء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم أى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتعملون تأخره ذريعة إلى تكذيبه في حكمى وقدرتى حتى أجىء به وأظهر لكم صدقه أو ليس أمره بمفوض إلى (إن الحكم) أى ما الحكم في ذلك تعجيلاً وتأخيراً أو ما الحكم في جميع الأشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً
- (إلا الله) وحده من غير أن يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى (يقص الحق) أى يتبعه بيان لشئونه تعالى في حكم المعهود أو في جميع أحكامه المنتظمة له انتظاماً أولاً أى لا يحكم إلا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية أى يقضى القضاء الحق أو على المفعولية أى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق أو الخصم عن التعدى على صاحبه (وهو خير الفاصلين) اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أن قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل إن المعنى إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به تعالى غيره وأنت خير بأن مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجىء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في أمر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام أصلاً (قل لو أن عندى) ٥٨
- أى في قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب الذى ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضاً إلى من جهته تعالى (لقضى الأمر بيني وبينكم) أى بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعين الفاعل الذى هو الله تعالى وتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب مالا يخفى فاقيل في تفسيره لأهلكستكم عاجلاً غضباً لربى ولتخلصت منكم سرياً بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى (والله أعلم بالظالمين) اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون أمر العذاب مفوضاً إليه ﷺ المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له والمعنى

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ ٦ الأنعام
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ٦ الأنعام

- واقفه تعالى أعلم بحال الظالمين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك
لم يفرض الأمر إلى فلم يقض الأمر بتعجيل العذاب والله أعلم (وعنده مفاتيح الغيب) بيان لاختصاص ٥٩
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم إثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتيح
إما جمع مفتاح بفتح الميم وهو الخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الأمور الغيبية
يغلق عليها ويفتح وإما جمع مفتاح بكسر ها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار
لما يتوصل به إلى تلك الأمور بناء على الاستعارة الأولى أى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه أو
ما يتوصل به إليها وقوله عز وجل (لا يعلمها إلا هو) تأكيد لمضمون ما قبله وإيدان بأن المراد هو الاختصاص
من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى أن ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدوراً لي حتى ألزمكم
بتعجيله ولا معلوما لدى لا خبركم وقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلماً فينزله حسبما تقتضيه
مهيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى (ويعلم ما في البر والبحر) بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
إثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيهاً على أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء في الجلاء أى يعلم
ما فهم ما من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وقوله تعالى (وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها) بيان لتعلقه بأحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فإن تخصيص حال السقوط
بالذكر ليس إلا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الأحوال كما أن ذكر حال الورقة وما عطف عليها
خاصة دون أحوال سائر ما فهم ما من فنون الموجودات الفاتحة للحصر باعتبار أنها أنموذج لأحوال سائرها
وقوله تعالى (ولا حبة) عطف على ورقة وقوله تعالى (في ظلمات الأرض) متعلق بمحذوف هو صفة حبة
مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى أى ولا حبة كائنة في بطون الأرض إلا يعلمها وكذا قوله تعالى (ولا رطب
ولا يابس) معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى (إلا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء الأول
بدل الكل على أن الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى أو بدل الاشتغال على أنه عبارة عن الألواح المحفوظ
وقرىء الأخير بالرفع عطفاً على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر إلا في كتاب مبين وهو
الأنسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة أيضاً
(وهو الذي يتوفاكم بالليل) أى ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الإماتة للإقامة لما بين الموت والنوم ٦٠
من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز وأصله قبض الشيء بتمامه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أى ما كسبتم

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾

٦ الأنعام

- فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من أفرادهما إذ بالتوفي والبعث الموجد فيهما يتحقق قضاء الأجل المسمى المترتب عليها لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك عليه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث أى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي الدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الإحسان إليهم بالتنبيه على أن ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لإبقائهم على التوفي بل لإهلاكهم بالمرءة فيفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبغي عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذى يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما ستجرحون فيها (ليقضى أجل مسمى) معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى أحد ما عين له طريقة عين (ثم إليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت لا إلى غيره أصلاً (ثم يبعثكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة بأعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالي والأيام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون الآثام بالنهار وأنه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم الله من القبور فى شأن ما قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الأجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والإخلال لإفضائه إلى كون البعث معللاً بقضاء الأجل المضروب له (وهو القاهر فوق عباده) أى هو المنتصرف فى أمورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء إجماداً وإعداماً وإحياءاً وأماتة وتعذيباً وإثابة إلى غير ذلك (ويرسل عليكم) خاصة أيها المكلفون (حفظه) من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق يرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظه إذ لو تأخر لكان صفة أى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظه والمحفوظ محذوف على كل حال أى يرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم كائنة ما كانت وفى ذلك حكمة جميلة ونعمة جليلة لما أن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عليه وتعرض على ربه وس الإشهاد كان ذلك أجز له عن تعاطى المعاصى والقبائح وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وسره لم يحششه احتشامه من خدمه الواقفين على أحواله وحتى فى قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت) هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظه يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم كائن من كان وجاءه أسباب الموت ومباده (توفته رسلنا) الآخرون المفوض إليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظه وقرئ توفاه ماضياً أو مضارعاً بطرح إحدى التامين (وهم) أى الرسل (لا يفرون) أى بالتواني والتأخير وقرئ مخففاً من الإفراط أى

ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ ۖ لَا لَهُ الْحُكْمُ ۖ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

٦ الأنعام

قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ

٦ الأنعام

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾

٦ الأنعام

قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما أمروا به وقوله تعالى (ثم ردوا) عطف على توفته والضمير لكل المدلول عليه بأحكم وهو السر في ٦٢ بحينه بطريق الالتفات تغليبا أو لإفراد أولا والجمع آخر لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع أي ثم ردوا بعد البعث بالحشر (إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه في موقف الحساب (مولاهم) أي مالكمم الذي يلي أمورهم على الإطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم (الحق) الذي لا يقضى إلا بالعدل وقرىء بالنصب على المدح (ألا له الحكم) يومئذ صورة ومعنى لا لأحد غيره بوجه من الوجوه (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة (قل من ينجيكم ٦٣ من ظلمات البر والبحر) أي قل تقرير آلهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية من ينجيكم من شدائد هما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكوا كب أو من الخسف في البر والفرق في البحر وقرىء ينجيكم من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى (تدعونه) نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن أي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له أو من فاعله أي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهةكم وقوله تعالى (تضرعا وخفية) إما حال من فاعل تدعونه أو مصدر مؤكد له أي تدعونه متضرعين جهارا ومسررين أو تدعونه دعاء إعلان وإخفاء وقرىء خفية بكسر الخاء وقوله تعالى (لئن أنجيتنا) حال من الفاعل أيضاً على تقدير القول أي تدعونه قائمين لئن أنجيتنا (من هذه) الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات (لنكونن من الشاكرين) أي الراغبين في الشكر المداومين عليه لأجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرىء لئن أنجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) أمر الله بتقرير الجواب ٦٤ مع كونه من وظائفهم للإيذان بأنه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى (ثم أنتم تشركون) عليه أي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغوم والكرب ثم أنتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرىء ينجيكم بالتخفيف.

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾

- ٦٥ وقوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً) استئناف مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في الممالك إثر بيان أنه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب لإشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر إلى قوله تعالى أم امنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة إلى بيان كون المبعوث بما يضرهم ولتحويل أمر المؤخر وقوله تعالى (من فوقكم) متعلق به أيضاً أو بمحذوف وقع صفة لعذاب أي عذاباً كائناً من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط وأصحاب الفيل وأضرابهم (أو من تحت أرجلكم) أو من جهة السفلى كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم أ كبركم ورؤسائكم ومن تحت أرجلكم سفلاتكم وعبيدكم وكلية أو لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معاً كما فعل بقوم نوح (أو يلبسكم شيعاً) أي يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام فينشب بينكم القتال فتختلطوا
- في الملاحم كقول الحماسي [وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبست نفضت لها يدي] (ويذيق بعضكم بأس بعض) عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتحويل الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون فقيه وعد ووعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال عند قوله تعالى عذاباً من فوقكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو من تحت أرجلكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض هذا أهون أو هذا أيسر وعنه ﷺ أنه قال سألت ربي أن لا يبعث على أمتي عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك (انظر كيف نصرّف الآيات) من حال إلى حال (لعلهم يفقهون) كي يفقهوا ويفقهوا على جليلة الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به) أي بالعذاب الموعود أو القرآن
- ٦٦ المجيد الناطق بمجيئه (قومك) أي المعاندون منهم ولعل لإيرادهم بهذا العنوان للإيذان بكآل سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه ﷺ مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مرّ من إظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى (وهو الحق) حال من الضمير المجرور أي كذبوا به والحال أنه الواقع لا محالة أو إنه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وأياً ما كان فقيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها (قل) لهم منبهاً على ما يشول إليه أمرهم وعلى أنك قد أدبت ما عليك من وظائف الرسالة (لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل إلى أمركم لا منعكم من التكذيب وأجبركم على التصديق إنما أنا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه

٦ الأنعام

لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦ الأنعام

٦ الأنعام

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

- (لكل نبأ) أى لكل شيء ينبا به من الأنباء التى من جملتها عذابكم أو لكل خبر من الأخبار التى من جملتها ٦٧ خبر مجيئه (مستقر) أى وقت استقرار وقوع البتة أو وقت استقرار وقوع مدلوله (وسوف تعلمون) ● أى حال نيتكم فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما معاً وسوف للتأكيد كما فى قوله تعالى واتعلمن نبأه بعد حين (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ٦٨ وديدهم (فأعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غاية للإعراض أى استمر على الإعراض إلى أن يخوضوا فى حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثاً فإن وصف الحديث بمغايرتها مشير إلى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها حديثاً ● الشيطان) بأن يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداء أو بقاء وقرئ ينسينك من التنسية (فلا تقعد بعد الذكرى) أى بعد تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع المظهر موضع المضمهر نعيماً عليهم ● أنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك (وما على الذين يتقون) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند ٦٩ خوضهم فى الآيات قالوا لئن كنا نقول كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت فزلت أى ما على الذين يتقون قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم (من حسابهم) أى بما يحاسبون عليه من الجرائر (من شيء) أى شيء ما على أنه فى محل الرفع على أنه مبتدأ وما تميميه أو اسم لها وهى حجازية ومن مزبدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ أو لما الحجازية على رأى من لا يجيز إعمالها فى الخبر المقدم مطلقاً أو فى محل النصب على رأى من يجوز إعمالها فى الخبر المقدم عند كونه ظرفاً أو حرف جر (ولكن ذكرى) استدراك من النفي السابق أى ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والتكيز ومحل ذكرى إما النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المحذوف أى عليهم أن يذكروهم تذكيراً أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى ولكن عليهم ذكرى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساكنهم وقد جوز كون الضمير للبوصول أى يذكروهم رجاء أن يثبتوا على تقواهم أو يزدادوها.

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦ الأتنام

- ٧٠ (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذي كلفوه وأمروا بإقامة مواجبه (لعباً ولهواً) حيث سخرُوا به واستهزوا أو بنوا أمر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وإنما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرم يأكلوا ويتمتعوا الآية (وغرتهم الحياة الدنيا) واطمأنوا بها حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبداً (وذكر به) أى بالقرآن من يصلح للتذكير (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لا تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وترتمن لسوء عملها وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد بأسل لأن فريسته لا تغفل منه أو لأنه تمتنع والبأسل الشجاع لا تمتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام ممنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجزور في به راجعاً إلى الإبسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن وتكون الجملة بدلاً منه مفسراً له لما في الإبهام أولاً والتفسير ثانياً من التفتيح وزيادة التقرير كما في قوله [على جوده لضعف بالماء حاتم] بجر حاتم على أنه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهاق النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل في محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس فإنه في قوة نفس كافرة أو نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وأنذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقاً بمحذوف على البيان (وإن تعدل) أى إن تعد تلك النفس (كل عدل) أى كل فداء على أنه مصدر مؤكد (لا يؤخذ منها) على إسناد الفعل إلى الجار والمجزور لا إلى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فإنه المقدى به لا المصدر كما نحن فيه (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد درجاتهم في سوء الحال ومحل الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أبسلوا بما كسبوا) والجملة مستأنفة سبقت إثر تحذيرهم من الإبسال المذكور لبيان أنهم المبتلون بذلك أى أولئك المتخذون دينهم لعباً ولهواً المغترون بالحياة الدنيا هم الذين أبسلوا بما كسبوا وقوله تعالى (لهم شراب من حميم) استئناف آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور وعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم (وعذاب أليم) بنار تشتعل بأبدانهم (بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير أبسلوا وترتيب

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ الْأَصْحَابُ يَدْعُوهُ ۖ إِلَىٰ الْهُدَىٰ آمَنَّا قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

٦ الأنعام

- ما ذكر من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضاً حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لأنه العدة في إيجاب العذاب واللام في باب التحذير أو أريد بكفرهم ما هو أعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز أن يكون أو تلك إشارة إلى النفوس المدلول عليها بنفس محل الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته أو بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الإيسال (قل أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) قيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام فتوجه الأمر إلى رسول الله ﷺ حينئذ للإيذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويعاً لشأن الصديق رضي الله تعالى عنه أي أنعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية التي من جملة القدرة على الفع والضرر ما لا يقدر على نفعنا إذا عبدناه ولا على ضررنا إذا تركناه وأدنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى (ونزد على أعقابنا) عطف على ندعوا داخل في حكم الإنكار والنفي أي ونزد إلى الشرك والتعبير عنه بالرد على الأعقاب لزيادة تقييده بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حالة قد تركت ونبتذ وراه الظاهر وإيثار نزد على نرتد لتوجيه الإنكار إلى الارتداد برد الغير تصريحاً بمخالفة المضلين وقطعاً لأطعامهم الفارغة وإيذاناً بأن الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج إلى نفيه وإنكاره وقوله تعالى (بعد إذ هدانا الله) أي إلى الإسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط وإلا لكفي أن يقال بعد إذ اهتدينا كأنه قيل ونزد إلى الشرك باضلال المضل بعد إذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى (كالذي استهوت الشياطين) في محل النصب على أنه حال من مرفوع نرد أي أنرد على أعقابنا مشبهين بالذي استهوتهم مردة الجن واستغوتهم إلى المهامه والممالك أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي أنرد رداً مثل رد الذي استهوت الخ والاستهواء استعمال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرى استهواه بألف مائة وقوله تعالى (في الأرض) إما متعلق باستهوته أو بمحذوف هو حال من مفعوله أي كائناً في الأرض وكذا قوله تعالى (حيران) حال منه على أنها بدل من الأولى أو حال الثانية عند من يحجزها أو من الذي أو من المستكن في الظرف أي تأتها ضالاً عن الجادة لا يدرى ما يصنع وقوله تعالى (له أصحاب) جملة في محل النصب على أنها صفة لحيران أو حال من الضمير فيه أو مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى (يدعونه إلى الهدى) صفة لأصحاب أي لذلك المستهوى رفقة يهدونه إلى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى (آمننا) على إرادة القول على أنه بدل من يدعونه أو حال من فاعله أي يقولون آمنتنا وفيه إشارة

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ
 يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦ الأنعام

إلى أنهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وأن من يدعو به ليس من يعرف الطريق المستقيم ليدعى إلى
 إتيانه وإنما يدرك سميت الداعي ومورد النعيق فقط (قل إن هدى الله) الذي هدانا إليه وهو الإسلام
 (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال محض وغى بحث كقوله تعالى فإذا بعد الحق إلا الضلال ونحوه
 وتكرير الأمر للاعتناء بشأن المأمور به ولأن ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الإسلام وهو
 توطئة لما بعده فإن اختصاص الهدى بهداه تعالى عما يوجب الامتثال بالأمر والوارد بعدة (وأمرنا)
 عطف على أن هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في (لنسلم لرب العالمين) لتعليل الأمر المحكي
 وتعيين ما أريد به من الأمر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا الآية
 كأنه قيل أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم وقيل هي بمعنى الباء أى أمرنا بأن نسلم وقيل زائدة أى
 ٧٢ أمرنا أن نسلم على حذف الباء وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلوة واتقوه) أى الله تعالى في مخالفة أمره عطف
 على نسلم على الوجوه الثلاثة على أن المصدرية إذا وصلت بالأمر بتجرد هو عن معنى الأمر نحو تجرد
 الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال فالمعنى على الأول أمرنا أى قيل لنا أسلموا وأقيموا الصلاة واتقوا
 الله لأجل أن نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى وعلى الأخيرين أمرنا بأن نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى
 والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الأمر وتأكيده وجوب الامتثال به كما أن قوله تعالى
 ٧٣ (وهو الذى إليه تحشرون) جملة مستأنفة موجهة للامتثال بما أمر به من الأمور الثلاثة (وهو الذى
 خلق السموات والأرض) أريد بخلقهما خلق ما فيهما أيضاً وعدم التصريح بذلك لظهور اشتغالهما على
 جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق أو من مفعوله
 أو صفة لمصدره المؤكد له أى قائماً بالحق أو متلبساً بالحق أو خلقاً متلبساً به وقوله تعالى (ويوم يقول
 كن فيكون قوله الحق) استئناف لبيان أن خلقه تعالى لما ذكر من السموات والأرض ليس بما يتوقف
 على مادة أو مدة بل يتم بمحض الأمر التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلاً وأن ذلك الأمر
 المتعلق بكل فرد فرد من أفراد المخلوقات في حين معين من أفراد الأحيان حق في نفسه متضمن للحكمة
 ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث
 إنه مدار الحقيقة وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقاً أو تمثيلاً كما هو
 المشهور فالمعنى وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الأشياء في حين تعلقه به لاقبله ولا بعده من أفراد
 الأحيان الحق أى المشهود له بالحقيقة المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفة ويوم يقول
 خبره مقدماً عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كأن

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْرَارًا أَخَذْتُ إِلَهًا وَإِنَّ أَرْنَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ ٦ الأنعام
وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ٦ الأنعام

- حين يقول لشي من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الضمير في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأجساد وإحياءها فتأمل حق التأمل (وله الملك يوم ينفخ في الصور) تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الأوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أى هو عالمهما (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الأمور
- الجلية والخفية (وإذ قال إبراهيم) منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام ٧٤ معطوف على قل أندعو لا على أقيموا كما قيل لفساد المعنى أى واذكر لهم بعد ما أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضرو حقت أن الهدى هو هدى الله وما يتبعه من شئونه تعالى وقت قول إبراهيم الذى يدعون أنهم على ملته موبخاً (لأبيه آزر) على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبيكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة لما مر مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرها وآزر بزة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لأبيه أو بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطي. وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما إذا جعل مشتقاً من الأزر أو الوز أو أريد به عابد آزر على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية إذ لا يحذف حرف النداء إلا من الأعلام (أنتخذ) متمد إلى مفعولين ● هما (أصناماً آلهة) أى أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الإنكار إلى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما إيراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ آزر أ بفتح الهمزة وكسرهما بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منوبة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه أن عبد آزر أ ثم قيل تنتخذ أصناماً آلهة تذيلاً لذلك وتقريراً وهو داخل تحت الإنكار لكونه بياناً له وقيل الأزر القوة والمعنى لأجل القوة والمظاهرة
- تنتخذ أصناماً آلهة لإنكاراً لتعززه بها على طريقة قوله تعالى أيتبعون عديم العزة (إنى أراك وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) أى بين كونه ضلالاً لا اشتباه فيه أصلاً والرؤية إما علمية فالظرف مفعولها الثانى وإما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ (وكذلك نرى إبراهيم) هذه الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أى عرفانه ٧٥

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٦٦﴾ الأنعام

وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك إشارة إلى مصدر نرى لا إلى إرادة أخرى مفهومة من قوله إني أراك وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لنا كيد ما أقاده اسم الإشارة من الفخامة ومعلمها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير نرى إبراهيم إرادة كائنة مثل تلك الإرادة فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام (ملكوت السموات والأرض) أي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما ربوباً وملكوكاً له تعالى لا تبصير آخر أدنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه أولاً فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما ومجائبهما وبدائعهما روى أنه كشف له عليه السلام عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والأشجار والبحار وهذه الأقوال لا تقتضي أن تكون الإرادة بصرية إذ ليس المراد بإرادة ما ذكر من الأمور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من إحصائها ومشاهدتها في أنفسها بل إطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عز وجل ولا ريب في أن ذلك ليس بما يدرك حساً كما ينبغي عنه اسم الإشارة المفصح عن كون المشار إليه أمراً بديعاً فإن الإرادة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتباء وإسناد الفعل إلى الملكوت أي تبصره عليه السلام دلالة الربوبية واللام في قوله تعالى (وليكون من الموقنين) متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها أي وليكون من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمراً آخر فإن الوصول إلى تلك الغاية القاصية كال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وإرشاد الخلق وإلزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان أنه الأصل الأصل والمبطل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة أخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام أي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي أن يراد بملكوتيهما بدائعهما وآياتهما لأن الاستدلال من غايات إراءتها لا من غايات إرادة نفس الربوبية وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) على الأول وهو الحق المبين عطف على قال إبراهيم داخل تحت ما أمر بذكره بالأمر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فإن تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والأرض وما فيهما وكون الكل مقهوراً تحت ملكوته مفترقاً إليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكالات وكونه من الراسخين في معرفة شئونه تعالى الواصلين إلى ذروة عين اليقين بما يقضى بأن يحكم عليه السلام باستحالة إلهية ما سواه

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾

٦ الأنعام

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِومُ إِنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

٦ الأنعام

- سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من إرادة ملكوت السموات والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله إلى رتبة الإيقان ومعنى جن عليه الليل ستر مظلما وقوله تعالى (رأى كوكبا) جواب لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق أنه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى (قال هذا ربى) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان إرادته عليه السلام ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف مظهر منه عليه السلام من آثار تلك الإرادة وأحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربى مجازة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه على رأى خصمه ثم يكر عليه بالإبطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الأول فلو صدق بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتماذوا في المكابرة والعناد والجوا في طغيانهم بعمودين وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مرأته وأول أوان بلوغه وهو مبنى على تفسير الملكوت بأياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدره وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الإراءة وبياناً لكيفية الاستدلال وأنت خير بأن كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه الصلاة والسلام (فلما أفل) أى غرب (قال لا أحب الأفلين) أى الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالاستار فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعاً (فلما رأى القمر بازغا) أى مبتدئاً في الطلوع إثر غروب الكوكب ٧٧ (قال هذا ربى) على الأسلوب السابق (فلما أفل) كما أفل النجم (قال لئن لم يهدينى ربى) إلى جنبه الذى هو الحق الذى لا يحيد عنه (لاكونن من القوم الضالين) فإن شيئاً مما آتته لا يلىق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في إظهار النصفة ولعله عليه السلام كان إذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربى جبل شاخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار أو بعده بقليل وكان الكوكب قريباً منه وأفق الشرق مكشوف أولاً وإلا فطلوع القمر بعد أفل الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس كما ينبى عنه قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور (قال) أى على النهج السابق ٧٨

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ٦ الأُنعام
وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ
رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ٦ الأُنعام

- (هذا ربى) وإنما لم يؤنث لما أن المشار إليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو
- لا من حيث هو مسمى باسم من الأسماء فضلاً عن حيثية تسميته بالشمس أولئك كبر الخبر وصيانة
- الرب عن وصمة التأنيت وقوله تعالى (هذا أكبر) تأكيد لما رآه عليه السلام من إظهار النصفة مع
- إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر (فلما أفلت)
- هي أيضاً كما أفل الكوكب والقمر (قال) غطاباً للكل صادعاً بالحق بين أظهرهم (يا قوم إني برىء
- مما تشركون) أى من الذى تشركونه من الأجرام المحدثة المتغيرة من حالة إلى أخرى المسخرة لمحدثها
- أو من إشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره على الأقل دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق
- الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلا منهما وإن كان فى نفسه انتقالاً منافياً لاستحقاق معروضه
- للربوبية قطعاً لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور الآثار والأحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق فى
- الجملة رتب عليها الحكم الأول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثانى حالة مقتضية لانطئاس الآثار
- وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها
- ٧٩ مراتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه إلى مبدع هذى المصنوعات ومنشئها فقال (إني وجهت وجهى
- للذى فطر السموات) التى هذه الأجرام التى تعبدونها من أجزائها (والأرض) التى تغيب هى فيها
- (حنيفاً) أى مائلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها (وما أنا من المشركين) فى شىء من الأفعال
- ٨٠ والأقوال (وحاجه قومه) أى شرعوا فى مغالبتة فى أمر التوحيد (قال) استئناف وقع جواباً عن
- سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكراً لما اجترأوا
- عليه من محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم (أتعاجونى فى الله) بإدغام نون
- الجمع فى نون الوقاية وقرئ بحذف الأولى وقوله تعالى (وقد هدان) حال من ضمير المتكلم مؤكدة
- للإنكار فإن كونه عليه السلام مهدياً من جهة الله تعالى ومؤيداً من عنده بما يوجب استحالة محاجته
- عليه السلام أى أتجادلونى فى شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هدانى إلى الحق بعد ما سلكت
- طريقته بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيناً تاماً كما شاهدتموه وقوله تعالى (ولا أخاف ما تشركون
- به) جواب عما خوفوه عليه السلام فى أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم كما قال لهود عليه
- السلام قومه إن نقول إلا اعتراك بعض آلها تنابؤاً ولعلمهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم
- ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربى شيئاً) استثناء مفرغ من أعم
- الأوقات أى لا أخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم فى وقت من الأوقات إلا فى وقت مشيئته

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَلَا تُفَرِّقِينَ أَحَقَّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

٦ الأنعام

- تعالى شيئاً من إصابة مكروه في من جهتها وذلك إما هو من جهته تعالى من غير دخل لأهتكم فيه أصلاً وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إظهار منه لا نقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى (وسمع ربى كل شيء علماً) ● كأنه تعليل للاستثناء أى أحاط بكل شيء علماً فلا يبعد أن يكون في عليه تعالى أن يحق في مكروه من قبلها بسبب من الأسباب وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للبعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى (أفلا تتذكرون) أى أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء مامن نفع ولا ضرر ● فلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضرارى وفي إيراد التذكّر دون التفكير ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكّر وقوله تعالى (وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف ٨١ مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامى كما سيأتى بعد نفيه عنه بسبب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للشركين عهد عند الله الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعاً فإذا انتفى جميع أحواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى الضمير العائد إلى ذى الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافيهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى أى وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذى ليس كمثل شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى (ما لم ينزل به) أى بإشراكه (عليكم سلطاناً) على طريقة النهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلّة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثانى بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجيب فما لا سبيل إليه أصلاً لافضائه إلى فساد المعنى قطعاً كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثانى على استبعاد الواقع بما لا مسامح له على أن قوله تعالى (فأى الفريقين أحق بالأمن) ناطق ببطلانه حتماً فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه عليه الصلاة ●

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ٦ الأنعام

وَتِلْكَ جُبْنَانَا اتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ٦ الأنعام

- والسلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لاجتماعهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلاة والسلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وإنما جرى بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستئزاهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الأمن في محل الأمن والفريق الأمن في محل الخوف فإثارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بنقضهم لا مجرد الاحتراز عن تزكية النفس (إن كنتم تعلمون) المفعول إما محذوف تمويلاً على ظهوره بمعونة المقام أي إنه كنتم تعلمون من أحق بذلك أو قصداً إلى التعميم أي إن كنتم تعلمون شيئاً وإما متروك بالمرة أي إن كنتم من أولى العلم وجواب الشرط محذوف أي فأخبروني (الذين آمنوا) استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه أي الفريق الذين آمنوا (ولم يلبسوا إيمانهم) ذلك أي لم يخلطوه (بظلم) أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل وأن عبادتهم للأصنام من تيمات إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهذا معنى الخلط (أو لك) إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الإشارة إليه بعد وصفه بما ذكر إيدان بأنهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (لهم الأمن) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبراً لأولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الأول الذي هو الموصول ويجوز أن يكون أولئك بدلاً من الموصول أو عطف بيان له ولهم خبراً للموصول والأمن فاعلاً للظرف لا عتماده على المبتدأ ويجوز أن يكون لهم خبراً مقدماً والأمن مبتدأ والجملة خبراً للموصول ويجوز أن يكون أولئك مبتدأ ثانياً ولهم خبره والأمن فاعلاً له والجملة خبر للموصول أي أولئك الموصوفين بما ذكر من الإيمان الخالص عن شوب الشرك لهم الأمن فقط (وهم مهتدون) إلى الحق ومن عدام في ضلال مبين . روى أنه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الأصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الأول لوروده مورد الجواب عن حالة الفريقين (وتلك) ٨٣ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله أتحاجوني إلى قوله مهتدون وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه والإشعار بعلو طبقته وسمو منزلته

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

٦ الأنعام

- في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (حجتنا) خبره وفي إضافتها إلى نون العظمة من التفعيم ما لا يخفى
- وقوله تعالى (آتيناهم إبراهيم) أى أرشدناه إليها أو علمناه إياها في محل النصب على أنه حال من حجتنا
- والعامل فيها معنى الإشارة كما في قوله تعالى فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أو في محل الرفع على أنه خبر ثان أو هو الخبر وحجتنا بدل أو بيان المبتدأ وإبراهيم مفعول أول لا تينا قدم عليه الثاني لكونه ضميراً
- وقوله تعالى (على قومه) متعلق بحجتنا إن جعل خبراً لتلك أو بمحذوف إن جعل بدلاً أى آتيناهم إبراهيم
- حجة على قومه وقيل بقوله آتيناه (نرفع) بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل
- الآتى (درجات) أى رتباً عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على
- نزع الخافض أى إلى درجات أو على التمييز والمفعول قوله تعالى (من نشاء) وتأخيرها على الوجوه
- الثلاثة الأخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف أى من نشاء
- رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة
- جارية فيما بين المصطفين الأخيار غير مختصة بإبراهيم عليه السلام وقرئ بالإضافة إلى من والجملة
- مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الإعراب وقيل هي في محل النصب على أنها حال من فاعل آتيناه
- أى حال كوننا رافعين الخ (إن ربك حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (علم) بحال من يرفعه
- واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام
- موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهار لمزيد لطف
- وعناية به عليه السلام (ووهبنا له إسحق ويعقوب) عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فإن عطف ٨٤
- كل من الجملة الفعلية والاسمية على الأخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناه لأن له محلاً
- من الإعراب نصباً ورفعاً حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية
- المستدعيتين للرباط ولا سبيل إليه ههنا (كلاً) مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة إلى
- غيرهما مطلقاً بل بالنسبة إلى أحدهما أى كل واحد منهما (هدينا) لا أحدهما دون الآخر وترك ذكر
- المهدي إليه لظهور أنه الذى أوتى إبراهيم وأنها مقتديان به (ونوحاً) منصوب بضمير يفسره (هدينا
- من قبل) أى من قبل إبراهيم عليه السلام عهدها نعمة على إبراهيم عليه السلام لأن شرف الوالد سار
- إلى الولد (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم لأن مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من إيتاء الحجة
- ورفع الدرجات وهبة الأولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة كل ذلك لإلزام من
- ينتمى إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن بونس ولو طأ ليسا من
- ذرية إبراهيم فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها وأما المذكورون في الآية
- الثالثة فعطف على نوحاً وروى عن ابن عباس أن هؤلاء الأنبياء كلهم مضافون إلى ذرية إبراهيم وإن كان

٦ الأسماء

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

٦ الأسماء

وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

- منهم من لم يلحقه بولادة من قبل أم ولا أب لأن لوطاً ابن أخى إبراهيم والعرب تجعل العم أباكاً أخبر الله تعالى عن أبناء يعقوب أنهم قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مع أن إسماعيل عم يعقوب (داود وسليمان) منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيرها بتجاوب النظم الكريم أى وهدينا من ذريته داود وسليمان (وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن إسحاق (ويوسف وموسى وهرون) أو بمحذوف وقع حالا من المذكورين أى وهدينا هم حال كونهم من من ذريته (وكذلك) إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء إبراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير (نجزي المحسنين) جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مراراً والمراد بالمحسنين الجنس وبمائلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الإحسان بالإحسان والمكافأة بين الأعمال والأجزاء من غير بخش لا المماثلة من كل وجه ضرورة أن الجزاء بكثرة الأولاد الأنبياء بما اختص به إبراهيم عليه السلام والأقرب أن لام المحسنين العهد وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وهو عبارة عما أوتى المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وعلمها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كاملاً مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أى وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر أدنى منه والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بالإحسان الذى هو عبارة عن الإتيان بالأعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو حسن الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها (وزكريا) هو ابن آذن (ويحيى) ابنه (وعيسى) هو ابن مريم وفيه دليل بين على أن الذرية تتناول أولاد البنات (وإيلاس) قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخى موسى عليهما السلام (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من الكاملين في الصلاح الذى هو عبارة عن الإتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى والجملة اعتراض جىء به للثناء عليهم بالصلاح (وإسماعيل وإسحاق) هو ابن أخطوب بن العجوز وقرىء واليسع وهو على القراءتين علم أعجمى أدخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال إنه يوشع بن نون وقيل إنه منقول من مضارع وسم واللام كافى يزيد فى قول من قال [رأيت الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله] (ويونس)

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ٦ الأنعام
 ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ٦ الأنعام
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا
 قَوْمًا لَيَكْفُرُنَّ بِهَا ۖ يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ ٦ الأنعام

- هو ابن متى (ولوطاً) هو ابن هاران بن أخى إبراهيم عليه السلام (وكلاً) أى وكل واحد من أولئك
- المذكورين (فضلنا) بالنبوة لا بعضهم دون بعض (على العالمين) على عالمي عصرهم والجملة اعتراض
- كآختها وقوله تعالى (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) لما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية ٨٧
- والمفعول محذوف أى وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات كثيرة وإما معطوف على كلاهم
- تبعية أى وفضلنا بعض آبائهم الخ (واجتبتيناهم) عطاف على فضلنا أى اصطفتيناهم (وهديناهم إلى صراط
- مستقيم) تكميل للتأكيد وتمهيد لبيان ما هددوا إليه (ذلك) إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من ٨٨
- مصادر الأفعال المذكورة وقيل إلى مادانوا به وما فى ذلك من معنى البعد لما مر مراراً (هدى الله) الإضافة
- للشريف (يهدى به من يشاء من عباده) وهم المستعدون للهداية والإرشاد وفيه إشارة إلى أنه تعالى
- متفضل بالهداية (ولو أشركوا) أى هؤلاء المذكورون (لحبط عنهم) مع فضلهم وعلو طبقاتهم (ما كانوا
- يعملون) من الأعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم (أولئك) إشارة إلى ٨٩
- المذكورين من الأنبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية
- وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايدان بعلو طبقتهم وبعد
- منزلتهم فى الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أى جنس الكتاب
- المتحقق فى ضمن أى فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بإيئاته التفهيم التام بما فيه من الحقائق
- والتحكيك من الإحاطة بالجلال والدقائق أعم من أن يكون ذلك بالإيزال ابتداء أو بالإيراث بقاء
- فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين (والحكم) أى الحكمة أو فصل الأمر على
- ما يقتضيه الحق والصواب (والنبوة) أى الرسالة (فإن يكفر بها) أى هذه الثلاثة أو بالنبوة الجامعة
- للباقيين (هؤلاء) أى كفار قريش فإنهم بكفروهم برسول الله ﷺ وما أنزل عليه من القرآن كفرون بما
- يصدقه جميعاً وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
- (فقد وكلنا بها) أى أمرنا بمراعاها ووقفنا للإيمان بها والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) أى فى
- وقت من الأوقات بل مستمرين على الإيمان بها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كالتفيد دوام الثبوت كذلك
- السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لأننى الدوام كما حقق فى مقامه قال ابن عباس ومجاهد رضى الله تعالى
- عنهما المانصار وأهل المدينة وقيل أصحاب النبي ﷺ وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الفرس فإن

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٦ الأنعام

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

٦ الأنعام

كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للإيمان بالأنبياء وبالكتب المنزلة إليهم عاملون بما فيها من أصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عمدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فإنها بالتساخاخرجة عن كونها من أحكامها وقد مرت تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الأنبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الأمر بما هو أعم من إجراء أحكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيقتهم كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جهاها القرآن الكريم وقبلهم الملائكة فالتوكيل هو الأمر بإزالتها وحفظها واعتقاد حقيقتها وأيا ما كان فتسكير قوما للتفخيم والباء الأولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي وأما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفاً من الاهتمام بالمقدم والنشوب إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاوب النظم الكريم أو إلى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور أي فإن يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به أصلاً فقد وفقنا للإيمان بها قوما نغما ليسوا بكافرين بها قطعاً بل مستمررون على الإيمان بها والعمل بما فيها فني إيمانهم بها مندوحة عن إيمان هؤلاء ومن هذا نبين أن الوجه أن يكون المراد بالقوم إحدى الطوائف المذكورة إذ يإيمانهم بالقرآن والعمل بأحكامه تتحقق الغنية عن إيمان الكفرة به والعمل بأحكامه وأما الأنبياء والملائكة عليهم السلام فإيمانهم به ليس من قبيل إيمان آحاد الأمة كما أشير إليه (أولئك) إشارة إلى الأنبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للإبذان بعلور تبينهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين هدى الله) أي إلى الحق والنهج المستقيم والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلو الهداية (فبهدهم اقتده) أي فاختص هدهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهدهم طريقةهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى وإلهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إثباتها فيه أيضاً إجراء له مجرى الوقف واقتداء بالإمام وقرىء بإشباعها على أنها كناية المصدر (قل لا أسألكم عليه) أي على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما (أجراً) من جهنم كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما أمر ﷺ بالاقتداء بهم فيه (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكرى للعالمين) أي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يخص بقوم دون آخرين (وما

- قدروا الله) لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الأمم حسبما ينطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم إياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء بقدره بالضم قدراً إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تعالى (حق قدره) نصب على المصدرية وهو في الأصل صفة للبصر أى قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفة انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أى ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل أدخلوا بها إخلالاً (إذا قالوا) منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب ● كافرين بنعمته الجليلة فيهما (ما أنزل الله على بشر من شيء) فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعمته الجليل كما أن نفي المحبة في مثل إن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط وإلا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعى في تحصيل المعرفة كما في قول من يتأجج مستقصراً لمعرفته وعبادته سبحانه ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما ينطق به القرآن حين اجترأوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالتفتي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فالزموا بما لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلاً حيث قيل (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت وإلزام الحجر وروى أن مالك بن الصيف من أخصاب اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الخبر السمين فأنت الخبر السمين قد سمعت من مالك الذي قطعك اليهود فضحك القوم فغضب ثم النفث إلى عمر رضى الله عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فتزعموه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل هم المشركون وإلزامهم إنزال التوراة لما أنه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول إليهم لزيادة التقريع وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى (نوراً وهدى) فإن كونه يئناً بنفسه وديننا لغيره مما يؤكد الإلزام أى تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل أو من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى (لناس) إما متعلق بهدى أو بمحذوف هو صفة له أى هدى كائناً للناس وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم بالاعتراف بإنزال التوراة فقط بل بإنزال القرآن أيضاً فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعاً لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بهما من التحريف والتغيير حيث قيل (تجعلونه قراطيس) أى تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بمحذوف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المهبط أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الحالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى (تبدونها) صفة لقراطيس وقوله تعالى (وتخفون كثيراً) ●

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّدَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

معطوف عليه والعائد إلى الموصول محذوف أى كثيراً منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب والمراد بالكثير نعوت النبي عليه الصلاة والسلام وسائر ما كتموه من أحكام التوراة وقرىء الأفعال الثلاثة بالياء حملاً على قالوا وما قدروا وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قيل هو حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغي أن يجعل ماعبرة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيداً لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذاً لعلومهم ومعارفهم أشنع وأعظم لا عما تلقوه من جهة النبي ﷺ زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليهم وعلى آباؤهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لأن تلقىهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة أما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلا أنه لا تعلق له بها نفيّاً ولا إثباتاً وأما ما ورد بطريق البيان فلا أن مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الأمر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بإيضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تأكيد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ أن تكون استئنافاً مقررأ لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتحديد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل إلى جعل ماعبرة عما كتموه من أحكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب فإن ظهوره وإن كان مزجراً لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححاً لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتماً هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم وقوله تعالى (قل الله) أمر لرسول الله ﷺ بأن يجيب عنهم إشعاراً بتعين الجواب بحيث لا يحيد عنه وإيداناً بأنهم أخطوا ولم يقدرُوا على التكلم أصلاً (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الإزام الحجة وإلزام الحجر (يلعبون) حال من الضمير الأول والظرف صلة للفعل المقدم أو المؤخر أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الأول أو من فاعل الثاني أو الضمير الثاني لأنه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب أنزلناه) تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير إنزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كلتهم الشنعاء إثر تكذيب (مبارك) أى كثير الفوائد وجم المنافع (مصدق الذى بين يديه) من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها أو الكتب التى قبله فإنه مصدق لكل فى إثبات التوحيد والأمر به ونفى الشرك والنهى عنه وفى سائر أصول الشرائع التى لا تنسخ (ولتنذر أُمَّ القري) عطف على ما دل عليه مبارك أى للبركات ولإنذارك أهل مكة وإنما ذكرت باسمها المنبى عن كونها أعظم القري شأناً وقبلة لأهلها قاطبة إيداناً بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة وقرىء

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

٦ الأنعام

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٦ الأنعام

- لينذر بالباء على أن الضمير للكتاب (ومن حولها) من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب (والذين يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من أفانين العذاب (يؤمنون به) أي بالكتاب لأنهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به (وهم على صلواتهم يحافظون) تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من أدائها للإيمان بإناقها من بين سائر الطاعات وكونها أشرف العبادات بعد الإيمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فزعم أنه تعالى ٩٣ بعثه نبياً كمسيلة الكذاب والاسود العنسى أو اختلق عليه أحكاماً من الحل والحرم كعمرو بن لحي ومتابعيه أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وإنكاره من غير تعرض لنفي المساوي وإنكاره فإن الاستعمال القاشي في قولك من أفضل من زيد أولاً أكرم منه على أنه أفضل من كل فاضل وأكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه (أو قال أوحى إلى) من جهته تعالى (ولم يوح إليه) أي والحال أنه لم يوح إليه (شيء) أصلاً كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم أنشأناه خلقاً آخر قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ثم قال ﷺ اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً فقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى إذ الظالمون) حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه ● أي ولو ترى الظالمين إذ هم (في غمرات الموت) أي شدائده من غمره إذا غشيته (والملائكة باسطوا أيديهم) بقبض أرواحهم كالمقتاضي الملظ الملح يسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير إهمال وتنفيس أو باسطوها بالعذاب قائلين (أخرجوا أنفسكم) أي أخرجوا أرواحكم إلينا من أجسادكم أو خلاصوا أنفسكم من العذاب (اليوم) أي وقت الإمانة أو الوقت الممتد بعده إلى مالا نهاية له (تجزون عذاب الهون) أي العذاب المتضمن لشدة وإهانة فإضافته إلى الهون وهو الهوان لمرافقته فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك إليه وادعاء النبوة والوحي كاذباً (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب (فرادى) ٩٤

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾

٦ الأنعام

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ٦ الأنعام

- منفردين عن الأموال والأولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان والأصنام التي كنتم
تزعمون أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والآلف للتأنيث ككسالى وقرىء فرداً كرجال وفرداً ككلمات
● وفردى كسكرى (كما خلقناكم أول مرة) بدل من فرادى أى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو
حال ثانية عند من يجوز تعددها أو حال من الضمير في فرادى أى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
● غرلاً بهما أو صفة مصدر جئتمونا أى مجئنا خلقنا لكم أول مرة (وتركتكم ما خولناكم) تفضلناه عليكم
● في الدنيا فشفغلتكم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيئاً ولم تحملوا فقيراً (وما نرى معكم شفعاؤكم
● الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة (لقد تقطع بينكم) أى
وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشدتين أى أوقع الجمع بينهما وقرىء بينكم بالرفع على إسناد الفعل
إلى الظرف كما يقال قوتل أمامكم وخلفكم أو على أن البين اسم للفصل والوصل أى تقطع وصلكم وقرىء
● ما بينكم (وضل عنكم) أى ضاع أو غاب (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء
٩٥ (إن الله فالق الحب والنوى) شروع في تقرير بعض أفعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف
صنعه وحكمته إثر تقرير أدلة التوحيد والخلق الشق بإبانة أى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل
المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى أى خالفهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركبة ووسع أسفلها
● وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بالفلق مذهب فاطر (يخرج الحي من الميت) أى يخرج ما ينمو
من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لأن وقوله
● تعالى (ويخرج الميت) كالنطفة والحب (من الحي) كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج
● على الوجه الأول لأن إخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى (ذلكم) القادر العظيم
● الشأن هو (الله) المستحق للعبادة وحده (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته إلى غيره ولا
٩٦ سبيل إليه أصلاً (فالق الإصباح) خبر آخر لأن أول مبتدأ محذوف والإصباح مصدر سمي به الصبح وقرىء
بفتح الهمزة على أنه جمع صبح أى فالق عمود الفجر عن بياض النهار وأسفاره أو فالق ظلمة الإصباح وهى
● الغيب الذى يلى الصبح وقرىء فالق بالنصب على المدح (وجعل الليل سكناً) يسكن إليه التعب بالنهار
لا استراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناساً به أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه
وقرىء جاعل الليل فاتتصاب سكناً بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على أن المراد به الجعل المستمر في
الأزمنة المتجددة حسب تجددتها لا الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي إلى اثنين
يعمل في الثانى وإن كان بمعنى الماضى لأنه لما أضيف إلى الأول تعين نصبه للثانى لتعذر الإضافة بعد ذلك

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

٦ الأنعام

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ٦ الأنعام

- (والشمس والقمر) معطوفان على الليل وعلى القراءة الأخيرة قبل هما معطوفان على محله والأحسن
- نصهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرنا بالجر وبالرفع أيضاً على الابتداء والخبر مخدوف أى بجمولان (حسباناً)
- أى على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات التى ينط بها العبادات والمعاملات أو محسوبان حسباناً والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحساب بالكسر مصدر حسب (ذلك) إشارة إلى جعلهما كذلك وما فيه من
- معنى البعد للإبذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته أى ذلك التسيير البديع (تقدير العزيز) الغالب القاهر
- الذى لا يستعصى عليه شئ من الأشياء التى من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص (العليم) بجميع
- المعلومات التى من جملتها ما فى ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم (وهو الذى ٩٧
- جعل لكم النجوم) شروع فى بيان نعمته تعالى فى الكواكب لإثبات نعمته تعالى فى النيرين والجعل متعدد
- إلى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم
- والتشويق إلى المؤخر أى أنشأها وأبدعها لا جملكم فقوله تعالى (لتهتدوا بها) بدل من المجرور بإعادة
- العامل بدل اشتمال كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سقفاً والتقدير جعل لكم النجوم
- لا هتدائكم لكن لا على أن غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة لإفراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر
- حسبما يقتضيه المقام وقد جوز أن يكون مفعولاً ثانياً للجعل وهو بمعنى التصيير أى جعلها كائنة لا هتدائكم
- فى أسفاركم عند دخولكم المفاوز أو البحار كما ينبى عنه قوله تعالى (فى ظلمات البر والبحر) أى فى
- ظلمات الليل فى البر والبحر وإضافتها إليهما لللازمة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما يتحقق عند ذلك
- أو فى مشتهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة (قد فصلنا الآيات) أى بينا الآيات
- المتلوة المذكرة لنعمته التى هذه النعمة من جملتها أو الآيات التكوينية الدالة على شئونه تعالى مفصلة (لقوم
- يعلمون) أى معانى الآيات المذكورة ويعلمون بموجبها أو يتفكرون فى الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة
- الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومته للكل لأنهم المنتفعون به (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) ٩٨
- تذكير لنعمة أخرى من نعمته تعالى دالة على عظم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أى أنشأكم مع كثر تكلم من
- نفس آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) أى فلكم استقرار فى الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع
- فى الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيها ذكر والتعبير عن كونهم فى الأصلاب
- أو فوق الأرض بالاستقرار لأنهما مقرهم الطبيعى كما أن التعبير عن كونهم فى الأرحام أو تحت
- الأرض بالاستيداع لما أن كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعى وقد حمل الاستيداع على كونهم فى الأصلاب
- وليس بواضح وقرىء فمستقر بكسر القاف أى فنكم مستقر ومنكم مستودع فإن الاستقرار منا

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ٦ الأنعام

- بخلاف الاستيداع (قد فصلنا الآيات) المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر في لطائف صنع الله عز وجل في أطوار تخليق بني آدم بما تحار في فهمه الالباب وهو السر في إشار يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم
- ٩٩ (وهو الذي أنزل من السماء ماء) تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى منبهة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته أى أنزل من السحاب أو من سمت السماء ماء خاصاً هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً (فأخرجنا به) التفت إلى التكلم لإظهار الكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أى
- فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته (نبات كل شيء) من الأشياء التى من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة فى الكم والكيف والخواص والآثار اختلافاً متفاوتاً فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل وقوله تعالى
- (فأخرجنا منه خضراً) شروع فى تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدىء بتفصيل حال النجم أى فأخرجنا من النبات الذى لا ساق له شيئاً غصناً أخضر يقال شيء أخضر وخضر كأور وعور وأكثر ما يستعمل
- الخضر فيما تكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى (نخرج منه) صفة لخضراً وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة أى نخرج من ذلك الخضر (حباً متراكباً) هو السنبال المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه
- حب متراكب وقوله تعالى (ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر إثر بيان حال النجم فقوله تعالى
- من النخل خبر مقدم وقوله تعالى (من طلعمها) بدل منه بإعادة العامل كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله والآخرى والطلع شيء يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما
- منضود وقوله تعالى (قنوان) مبتدأ أى وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً
- لدلالة آخر جنا عليه أى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان
- عنده معطوفاً على حب وقيل المعنى وأخرجنا من النخل نخلاً من طلعمها قنوان أو ومن النخل شيء من طلعمها قنوان وهو جمع قنوه وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان
- وبفتحها أيضاً على أنه اسم جمع لأن فعلاً ليس من أبنية الجمع (دانية) سهلة المجتنى قريبة من القاطف
- فإنها وإن كانت صغيرة يناها القاعد تأتى بالثمر لا ينتظر الطول أو ملتفة متقاربة والافتصار على ذكرها
- لدلائها على مقابلها كقوله تعالى سراييل تقيمكم الحر ولزيادة النعمة فيها (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شيء أى وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء أى ولكم

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

٦ الأنعام

- أو ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كأنه قبيل وحاصلة أو مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات وأعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالباً إلا عند اجتماع طائفة من أفراده (والزيتون والرمان) منصوبان ● على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات وقوله تعالى (مشبهها وغير متشابهه) ● حال من الزيتون اكتفى به عن حال ماء عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره والزيتون مشبهها وغير متشابهه والرمان كذلك وقد جوز أن يكون حالاً من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الأول والمعنى بعضه متشابهها وبعضه غير متشابهه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) أي انظروا إليه نظر اعتبار واستبصار إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً لا يكاد ينتفع به وقرىء إلى ثمره (وينعه) أي وإلى حال نضجه كيف يصير إلى كماله اللائق به ويكون شيئاً جامعاً لمنافع جمّة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرىء بالضم وهي لغة فيه وقرىء يانعة (إن في ذلكم) إشارة إلى ما أمر بالنظر إليه وما في اسم الإشارة من معنى البعد الإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته (آيات لقوم يؤمنون) أي لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد وانتقالها من حال إلى حال على نمط بديع يحار في فهمه إلا لباب لا يكاد يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه أو ينافويه ولذلك عقب بتوبيخ من أشرك به والرد عليه حيث قيل (وجعلوا لله شركاء) ١٠٠ ● أي جعلوا في اعتقادهم الله الذي شأنه مافصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء (الجن) أي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنّاً لا جتناهم تحقيراً لشأنهم بالنسبة إلى مقام الألوهية أو الشاطين حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى أو عبدوا إلا وأن يتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشیطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى التنوية ومفعولاً جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيتها على الأول لاستعظام أن يتخذ الله سبحانه شريكاً ما كنا ما كان والله متعلق بشركاء قدم عليه للنسبة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو إسحاق أو منصوب بمضمر وقع جواباً على سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن أي جعلوا الجن ويؤيده قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقديرهم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرىء بالجر على أن الإضافة للتبيين

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٦ الأنعام

- (وخلقهم) حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أو بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها أى وقد علموا أنه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أى والحال أنه تعالى خلق الجن فكيف يعملون مخلوقه شريكاً له تعالى وقرئ خلقهم عطفاً على الجن أى وما يخلفونه من الأصنام أو على شركاء أى وجعلوا له اختلاقهم الإلفك حيث نسبوه إليه تعالى (وخرقوا له) أى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الإلفك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وخرقوا له أى زوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) أى بحقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب بل رمياً بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية أو بغير علم بمرتبة ما قالوه وأنه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا أو نعت المصدر مؤكداً له أى خرقوا ملتبسين بغير علم أو خرقوا كائناً بغير علم (سبحانه) استئناف مسوق لتزيينه عز وجل عما نسبوه إليه وسبحانه علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقاداً وقولاً أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبى في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أصبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملاً تزيهاً خاصاً به حقيقةً بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبى ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الخاطرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لأنه سمع له فعل من الثلاث كما ذكر في القاموس أريد به التنزه التام والتباعد الكلى فقيه مبالغة من حيث إسناد التنزه إلى ذاته المقدسة
- أى تنزه بذاته تنزهاً لا نفقاً به وهو الأنسب بقوله سبحانه (وتعالى) فإنه معطوف على الفعل المضمر
- لا محالة ولما في السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل (عما يصفون) أى تباعد عما يصفونه من أن له شريكاً
- ١٠١ أولداً (بديع السموات والأرض) أى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فإن البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع نص عليه أئمة اللغة كالصريح بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله [أمن ربحانة الداعي السميع] وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيهاً لها باسم الفاعل كما هو المشهور أى بديع سمواته وأرضه من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائع أو إلى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظر فيهما والأول هو الوجه والمعنى أنه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الإطلاق منزّه عن الانفعال بالمرّة والوالد عنصر الولد منفعل

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ٦ الأنعام

- بانتقال مادته عنه فكيف يمكن أن يكون له ولد وقرىء بديع بالنصب على المدح وبالجر على أنه بدل من الاسم الجليل أو من الضمير المجرور في سبحانه على رأى من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على أنه خبر مبتدأ محذوف أو فاعل تعالى وإظهاره في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيان أو مبتدأ خبره قوله تعالى (أنى يكون له ولد) وهو على الأولين جملة ● مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة مانسبوه إليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى (ولم تكن له صاحبة) حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فإن انتفاء أن يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء أن يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وإن أمكن وجوده بلا والد وانتفاء الأول مما لا ريب فيه لا جد فن ضرورته انتفاء الثانى أى من أين أو كيف يكون له ولد كما زعموا والحال أنه ليس له على زعمهم أيضاً صاحبة يكون الولد منها وقرىء لم يكن بتذكير الفعل للفصل أولاً لأن الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للسكون وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون الاسم ضمير الشأن لصاحبة الجملة حيث لا تكون مفسرة لضمير الشأن لآعلى الوجه الأول لما بين في موضعه أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة صريحة وقوله تعالى (وخلق كل شيء) إما جملة مستأنفة أخرى سيقى لتحقيق ما ذكر من الاستحالة أو حال أخرى ● مقرر لها أى أنى يكون له ولد والحال أنه خلق كل شيء انتظمه التكوين والإيجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولداً له تعالى فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولداً لحالقه (وهو بكل شيء) من شأنه أن يعلم كائناً ما كان مخلوقاً أو غير مخلوق كما ينبىء عنه ترك الإضمار إلى الإظهار (عليم) مبالغ في العلم أزلاً وأبداً ● حسبما يعرب عنه العدول إلى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والأحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى ما زعموه فرد من أفرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقاتلهم الشنعاء التى اجترعوا عليها بغير علم (ذاكم) إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن الميمار ١٠٢ ● إليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للبشر كين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى (الله) ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) أخبار أربعة مترادفة أى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك أمركم لا شريك له أصلاً خالق كل شيء مما كان وما سيكون فلا تكرار إذ المعتبر في عنوان الموضوع إنما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبىء عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الأول والبواقي أبدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي أخبار وقيل يقدر لكل من الأخبار الثلاثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى (فأعبدوه) حكم مترتب على مضمون الجملة فإن من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى (وهو على كل شيء وكيلى) عطف على الجملة ● ٢٢٠ - أبو السعود ج ٣

لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ٦ الأنعام

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ ٦ الأنعام

وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٦ الأنعام

- المتقدمة أى هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى أمور جميع مخلوقاته التى أنتم من جملتها فكلوا أموركم إليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح مآربكم الدنيوية والأخروية (لا تدركه الأبصار) البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث إنها محلها وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به أى لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى الرؤية على الإطلاق وقد روى عن ابن عباس ومقاتل رضى الله عنهم لا تدركه الأبصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة (وهو يدرك الأبصار) أى يحيط بها علمه إذ لا تخفى عليه خافية ● (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الأبصار ويجوز أن يكون تعليلاً للحكمين السابقين على طريقة ألف أى لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستفاداً من ١٠٤ مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) استئناف وارد على لسان النبي ﷺ والبصائر جمع بصيرة وهى النور الذى به تستبصر النفس كما أن البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآية الواردة ههنا أو جميع الآيات المنتظمة لها انتظاماً أولياً ومن لا ابتداء الغاية مجازاً سواء تعلقت بجاء أو بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال اللطف بهم أى قد جاءكم من جهة ما تسكنكم ومبلغكم إلى كمالكم الاتق بكم من الوخى ● الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب أو قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم (فمن أبصر) أى الحق ● بتلك البصائر وآمن به (فلنفسه) أى فلنفسه أبصر أو فإبصاره لنفسه لأن نفعه مخصوص بها (ومن عمى) أى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهوراً بيناً وضل عنه وإنما عبر عنه بالعمى ● تقييحاً له وتنفيراً عنه (فعليها) أى فعلها عمى أو فعما عليها أو وبال عماه (وما أنا عليكم بحفيظ) وإنما ١٠٥ أما منذر والله هو الذى يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفاً أدنى منه وقوله ● تعالى (وليقولوا درست) علة لفعل قد حذف تعويلاً على دلالة السباق عليه أى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للمعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف أى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الأمر وتنصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فإنه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بأن ما بعده بإياه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرىء درست أى دارست العلماء ودرست أى قدمت

اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ الأنعام
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ الأنعام
وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ الأنعام

- هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست أى اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود ومحمد ﷺ وراز الإضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز إسناد الفعل إلى الآيات وهو في الحقيقة لأهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمد ﷺ وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات أى هى دارسات أى قديمات أو ذات درس كعبشة راضية وقوله تعالى (ولنبينه) عطف على ليقولوا واللام على الأصل لأن التبيين غاية التصريف والضمير الآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر أو للمصدر أى ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى (لقوم يعلمون) متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما أنهم المنتفعون به قال ابن عباس هم أولياؤه الذين هدام إلى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للإيدان بغاية جهل الأولين وخلوهم عن العلم بالمرّة (اتبع ما أوحى ١٠٦ إليك من ربك) لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمر ﷺ بالثبات على ما هو عليه وعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم أى دم على ما أنت عليه من اتباع ما أوحى إليك من الشرائع والأحكام التى عمدتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من إظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى (لا إله إلا هو) اعتراض بين الأمرين المتعاطفين مؤكدا لإيجاب اتباع الوحى لاسيما فى أمر التوحيد وقد جوز أن يكون حالا من ربك أى منفردا فى الألوهية (وأعرض عن المشركين) لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التى من جملتها ما حكى عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) أى عدم إشارتهم حسبها هو القاعدة ١٠٧ المستمرة فى حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء (ما أشركوا) وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لكن لا بمعنى أنه تعالى يمنع عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريد منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الإيمان وإصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكدا للإعراض وكذا قوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظاً) أى رقيباً مهيمناً من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) من جهتهم تقوم بأمرهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى ١٠٨ لا تشتموهم من حيث عبادتهم لألهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلاً (فيسبوا الله عدواً) تجاوزاً عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم (بغير علم) أى بجهالة بالله تعالى وبما يجب أن يذكر

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُسْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

٦ الأنعام

به وقرئ. عدوا يقال عدوا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا . روى أنهم قالوا الرسول الله ﷺ عند نزول قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم للذين عن سب آلهتنا أولهجون إلهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنوا عن ذلك لئلا يستنبح سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر (كذلك) أي مثل ذلك التزيين القوي (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً أو تخذيباً ويجوز أن يراد بكل أمة أمم الكفرة إذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشي به تزيين سب الله تعالى لهم (ثم إلى ربهم) مالك أمرهم (مرجعهم) أي رجوعهم بالبعث بعد الموت (فينبئهم) من غير تأخير (بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزيينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد ساء خبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة آية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي عموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة ماتستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة قد برزت لهم في النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعب عن إظهارها بصورها الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى (وأقسموا بالله) روى أن قريشاً اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله ﷺ فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلته لئؤمن جميعاً

- فسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها طمعا في إيمانهم فنهى ﷺ بالدعاء فنزلت وقوله تعالى (جهداً أيماهم)
- مصدر في موقع الحال أي أقسموا به تعالى جاهدين في إيمانهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في المكابرة والعناد وتراعى أمرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس الآيات (ليؤمن بها) وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول الله ﷺ في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقة بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال (قل إنما الآيات) أي كما هي فدخل فيها ما اقترحوه دخولا أولاً (عند الله) أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شئونها قدرة أحد ولا مشيئته لاستقلاله ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزائها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه

وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ الأنعام

- بيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعالها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح وأما ما قيل من أن المعنى إنما الآيات عند الله تعالى لا عندى فكيف أجيبكم إليها أو آتاكم بها وهو القادر عليها لا أنا حتى آتاكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهة تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خو طب به المسلمون إما خاصة بطريق التلويح لما كانوا راغبين في نزولها طمعاً في إسلامهم وإمامة عليه السلام بطريق التعميم لما روى عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه أن إيمانهم فاجرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سأله عليه السلام واستفهامية إنكارية لكن لا على أن مرجع الإنكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الإشعار مع تحقق المشعر به في نفسه أى وأى شئ يعلمكم أن الآية التى يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أى لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعاً في إيمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيم نزول الآيات وقيل (لا مزيدة) فيتوجه الإنكار إلى الإشعار والمشعر به جميعاً أى أى شئ يعلمكم إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها طمعاً في إيمانهم فيكون تخطيطه لرأى المسلمين وقيل أن بمعنى لعل يقال ادخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده أنه قرىء لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثانى ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريره أى أى شئ يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت لا يؤمنون بها فالكم تمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرىء عليه السلام بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرىء لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرىء وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون فرجع الإنكار إقدام المشركين على الإقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن (ونقلب أفعدتهم وأبصارهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به أى وما يشعركم أنا نقلب أفعدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه وإعراضها بالسلبية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم لإشعاراً بأصالتهم في الكفر وحسباً لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقلبيه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار (كالم يؤمنوا به) أى بما جاء من الآيات (أول مرة) أى عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وماء صدرية أى لا يؤمنون بل يكفرون كقرأ كائناً ككفرهم أول مرة وتوسط قلب الالف والابصار بينهما لأنه من متمات عدم إيمانهم (ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكارى مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الأفدة

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

٦ الأقسام

والأبصار ومعرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم إليه واستعدادهم له بطريق الإيجاب بل بأن يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلاً ويطبع على قلوبهم حسماً يقتضيه استعدادهم كما أشرنا إليه وقوله تعالى (في طغيانهم) متعلق بنذرهم وقوله تعالى (يعمهمون) حال من الضمير المنصوب في نذرهم أي ندعهم في طغيانهم متحيرين لانهديمهم هداية المؤمنين أو مفعول ثان لنذرهم أي نصيرهم عامين وقرىء يقلب ويذر بالياء على إسنادهما إلى ضمير الجلالة وقرىء قلب بالتاء والبناء للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) تصریح بما أشعر به قوله عز وجل وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات إثرياً بيان أنها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لأحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في إيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وأكده أي ولو أننا لم تقتصر على إيتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سأله

● بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم لوما تأتينا بالملائكة (وكلمهم الموتى) وشهدوا بحقيقة الإيمان بعد أن

● أحييناهم حسماً اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا (وحشرنا) أي جمعنا (عليهم كل شيء قبلاً) بضمعين وقرىء بسكون الباء أي كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي ﷺ على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كـ رغيـف ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب بقوله تعالى أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أي لو لم تقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل وهو جمع قبيلة وهو الأقرب لعدم كل شيء وشموله للأصناف والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعاً نوعاً وصنفاً صنفاً وفوجاً فوجاً وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعى اللازم لكل الأفراد أو مقابلة وعياناً على أنه مصدر كقبلاً وقد قرىء كذلك وانتصابه على الوجهين على أنه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من أهل اللغة أن الأخير بمعنى الجهة كافي قولك لي قبل فلان حق وأن انتصابه على الظرفية (ما كانوا ليؤمنوا) أي ما صح وما استقام لهم الإيمان لتماذيرهم في العصيان وغلوم في التردد والطغيان وأما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الأحكام المترتبة على ذلك حسماً يبنى عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم الأحوال والاتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة أي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبة للإيمان في حال من الأحوال الداعية إليه المنمة لموجباته المذكورة إلا في حال مشيئته تعالى لإيمانهم أو من أعم العلل أي ما كانوا ليؤمنوا لعل من العلل المعدودة وغيرها إلا لمشيئته تعالى له وأياً ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان أن إيمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

٦ الأنعام

- تعالى أيضاً كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وهيات ذلك وحالهم حالهم بدليل ماسبق من قوله تعالى ونقلب أقدتهم الآية كيف لا وقوله عز وجل (ولكن أكثرهم يجهلون) استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في أن الذي يجهلونه سواء أريد بهم المسلمون وهو الظاهر أو المقسمون ليس عدم إيمانهم بلامشيتة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الأول فإنه ليس بما يعتقده الأولون ولا بما يدعيه الآخرون بل إنما هو عدم إيمانهم لعدم مشيئته إيمانهم ومرجعه إلى جهلهم بعدم مشيئته إياه فالمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون فالجملته مقرر لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة أو ولكن أكثر المشركين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد إيمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملته على القراءة السابقة بيان مبتدأ المنشأ خطأ المقسمين ومناط إقسامهم وتقريره على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) كلام مبتدأ مسوق لتسليية رسول الله ﷺ عما كان يشاهده من ١١٢ عداوة قريش له عليه الصلاة والسلام وما بنوا عليها بما لا خير فيه من الأقاويل والأفاعيل ببيان أن ذلك ليس مختصاً بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أشير إليه بذلك منصوب بفعله المحذوف مؤكداً لما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم مما قبله أي جعلنا لكل نبي عدواً والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للبالغة أي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدواً يضادونك ويضارونك ولا يؤمنونك ويغونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك كما يد جعلنا لكل نبي تقدمك عدواً فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلنا أنقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة الأنبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء (شياطين الإنس والجن) أي مرادة الفريقين على أن الإضافة بمعنى من البيانية وقيل هي إضافة الصفة إلى الموصوف والاصل الإنس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام أي الشياطين التي الإنس والتي للجن وهو بدل من عدواً والجعل متعد إلى واحد أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو بمحذوف هو حال من عدواً وقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض) بعض (بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدواً وجمع الضمير باعتبار المعنى فإنه عبارة عن الأعداء كما في قوله [إذا أنام أنفع صديقي بوده] فإن عدوى لم يضرهمو بغضى | والوحى عبارة عن الإيماء والقول السريع أى يلقي

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ٦ الأنعام
أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ٦ الأنعام

- وهو - وس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر (زخرف القول)
- أى المموء منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه إذا زينه (غروراً) مفعول له ليوحى أى ليغروهم أو مصدر فى موقع الحال أى غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحى أى يغرون
- غروراً (ولو شاء ربك) رجوع إلى بيان الشئون الجارية بينه وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم كما ينبى عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف فى التسلية أى ولو شاء ربك عدم الأمور المذكورة لا إيمانهم كما قيل فإن القاعدة المستمرة أن مفعول المشيئة إنما يحذف عند وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى (ما فعلوه) أى ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وإيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل
- الباطلة المتعلقة بأمرك خاصة لا بما يعمه وأمر الأنبياء عليهم السلام أيضاً كما قيل فإن قوله تعالى (فذرهم وما يفترون) صريح فى أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه الصلاة والسلام أى إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون المفساد بمشيئته تعالى فازكهم واقتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكاييد ١١٣
- فإن لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لا بقاء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة (ولتصغى إليه) أى إلى زخرف القول وهو على الوجه الأول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غروراً وما بينهما اعتراض وإنما لم ينصب لفقد شرطه إذ الغرور فعل الموحى وصغو الأفتدة فعل الموحى إليه أى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه (أفتدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) إنما خص بالذكر عدم إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التى يجب الإيمان بها وهم بها كافرون إشعاراً بما هو المدار فى صغو أفتدتهم إلى ما يلقى إليهم فإن لذات الآخرة محفوفة فى هذه النشأة بالمكارة وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكارة لذات ودون هذه الشهوات آلاماً وإنما ينظرون إلى ما بدا لهم فى الدنيا بآدى الرأى فهم مضطرون إلى حب الشهوات التى من جملها مزخرفات الأقاويل وموهات الأباطيل وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم بيطالنها ووخامة عاقبتها وأما على الوجهين الآخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام أى ولكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة أو لام القسم أو لام الأمر وضعفه فى غاية الظهور (وليبرضوه) لا نفسم بعد ما مالت إليه أفتدتهم (وليقترفوا) أى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له (ماهم مقترفون) ١١٤ له من القبائح التى لا يلقى ذكرها (أفغير الله أبتغى حكماً) كلام مستأنف وارد على إرادة القول والهمزة

للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أى قل لهم أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغى حكماً غير الله بحكم بيننا ويفصل المحق من المبطل وقيل إن مشركى قريش قالوا الرسول الله ﷺ اجعل بيننا وبينك حكماً من أحابار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما فى كتابهم من أمرك فنزلت وإسناد الابتغاء المنكر إلى نفسه ﷺ لا إلى المشركين كما فى قوله تعالى أغير دين الله يبغون مع أنهم الباغون لإظهار كمال النصفة أو لمرعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكماً وغير إما مفعول أبتغى وحكما حال منه وإما بالعكس وأياً ما كان فتقديمه على الفعل الذى هو المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإبذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكماً لا مطلق الابتغاء وقيل حكماً تمييز لما فى غير من الإبهام كقولهم إن لنا غيرها إبلا قالوا الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب) جملة حالية مؤكدة لإنكار ابتغاء غيره تعالى حكماً ونسبة الإنزال إليهم خاصة مع أن مقتضى المقام إظهار تساوى نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستزاهم إلى قبول حكمه بإبهام قوة نسبته إليهم أى غيره تعالى أبتغى حكماً والحال أنه هو الذى أنزل إليكم وأنتم أمة أمية لا تدرى ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب (مفصلاً) أى مبيناً فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق فى أمور الدين شئ من التخليط والإبهام فأى حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح فى أن القرآن الكريم كافى فى أمر الدين مغنى عن غيره ببيانه وتفصيله وأما أن يكون لإعجازه دخل فى ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى (والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقيقة الكتاب الذى ينطبه أمر الحكمة وتقرير كونه منزلاً من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمتهم حسبما نقل آنفاً من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيقته ونزوله من عنده تعالى وفى التعبير عن التوراة والإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك فى الحقيقة والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الإعجاز وإيراد الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب للإبذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاینوه موافقاً له فى الأصول ومالا يختلف من الفروع ومخبراً عن أمور لا طريق إلى معرفتها سوى الوحى والمراد بالموصول إما علماء الفريقين وهو الظاهر فالإيتاء هو التفهيم بالفعل وإما الكل وهم داخلون فيه دخولاً أولياً فهو أعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب فى أن الكل متمكنون من ذلك وقبل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرىء منزل من الإنزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن فى منزل أى ملتبساً بالحق (فلا تكونون من المترين) أى فى أنهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهى على الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن أو فى أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى ولا تكونون من

وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ٦ الأنعام
وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ٦ الأنعام

المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى
أن الأدلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي
١١٥ على نفس عليهم بحال القرآن (ومتت كلمة ربك) شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر
بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به وإنما
عبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات
● ربك (صدقا وعدلا) مصدران نصباً على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى (لا مبدل
لكلماته) إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال أخرى من فاعل تمت على
أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد وعدلاً
في الأفضية والأحكام لا أحديديل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور
● ابتغاء حكم غيره تعالى (وهو السميع) لكل ما يتعلق به السمع (العليم) بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في
ذلك أقوال المتحاكين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا أولاً وهذا وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على
أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضماناً لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
١١٦ له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها بنسخها (وإن تطع أكثر من في الأرض) لما تحقق اختصاصه
تعالى بالحكمة لاستقلاله بما يوجبها من إنزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتتمام صدق
كلامه وكمال عدالة أحكامه وامتناع وجود من يبدل شيئاً منها واستبداده تعالى بالإحاطة التامة بجميع
المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفرة متصفون بتقائص تلك الكمالات من النقائص التي
هي الضلال والإضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه وتعالى إبانة
لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيراً عن الركون إليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس
● وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة والأرض أرضها أي إن تطعمهم بأن جعلت منهم حكماً (يضلوك عن
● سبيل الله) عن الطريق الموصل إليه أو عن الشريعة التي شرعها لعباده (إن يتبعون إلا الظن) وهو
ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون أو جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على أن المراد بالظن
ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون
في أمور دينهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً فيضلون ضلالاً ميبئاً ولا ريب في أن الضلال
● المتهدى للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى (وإن لم إلا يخرصون)
عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون إليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل

٦ الأنعام إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

٦ الأنعام فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ ۚ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

- عبادة الأوثان ذريعة إليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها أو بقدر أنهم على شيء. وأنى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ١١٧ وهو أعلم بالمهتدين) تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيده لما يفيد من التحذير أى هو أعلم بالفرقيين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بنفس أعلم فإن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرىء يضل بضم الياء على أن من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر أى هو أعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيده للتحذير عن طاعة الكفرة وأما أن الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر أى يعلم من يضل أو مجزورة بإضافة أعلم إليها أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضل الله أو من قولك أضلته إذا وجدته ضالاً فلا يساعده السباق والسباق والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أمر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة ١١٨ لإضلالهم تحليل الحلال وتحريم الحرام وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم ف قيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا بما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حنط أنفه (إن كنتم بآياته) التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن (مؤمنين) فإن الإيمان بها يقتضى استباحة ما أحله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط ● محذوف لدلالة ما قبله عليه (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم ١١٩ إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى (وقد فصل لكم) الخ جملة حالية مؤكدة للإنكار كما في قوله تعالى وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أى وأي سبب حاصل لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أو وأي غرض يحملك على أن لا تأكلوا ويمنعكم من أكله والحال أنه قد فصل لكم (ما حرم عليكم) بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً الخ فبقى ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لأنها مدنية وأما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرىء الفعلان على البناء للمفعول وقرىء الأول على البناء للفاعل والثاني للمفعول (إلا ما اضطررتم إليه) مما حرم فإنه أيضاً حلال حينئذ (وإن كثيراً) أى من ●

وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ٦ الأثام

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ٦ الأثام

أَوْ مَنْ كَانَ مِثًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ٦ الأثام

- الكفار (ليضلون) الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وأضرابه وقرىء بضلون (بأهوائهم)
- الزائفة وشهواتهم الباطلة (بغير علم) مقتبس من الشريعة الشريفة مستند إلى الوحي (إن ربك هو أعلم بالمتعدين) المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام (وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه) أى ما يعلن من الذنوب وما يسر أو ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان (إن الذين يكسبون الإثم) أى يكتسبونه من الظاهر والباطن (سيجزون بما كانوا يقتربون)
- ١٢١ كائناً ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للأمر (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً كان أو نسياناً وإليه ذهب داود وعن أحمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله ﷺ ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وقرئ أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالمينة أو بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله (وإنه لفسق) فإن الفسق ما أهل به لغير الله والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل المدلول عليه بلاتاً كالأكل والجملة مستأنفة وقيل حالية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم)
- المراد بالشياطين إبليس وجنوده فيأخاؤهم وسوستهم إلى المشركين وقيل مرادة الجوس فيأخاؤهم إلى أوليائهم ما أنهبوا إلى قریش بالكتاب أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام (ليجادلوكم) أى بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من أباطيل الجوس وهو يؤيد التأويل بالمينة (وإن أطعتموهم) فى استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم (إنكم لمشركون)
- ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك به تعالى بل أثره عليه سبحانه
- ١٢٢ (أو من كان ميثاً) وقرئ ميثاً على الأصل (فأحييناه) تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين لئلا تحذيرهم عنها بالإشارة إلى أنهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي والمشركون خابطون فى ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل إطاعتهم لهم والهمزة للإنكار والنفى والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذى يدل عليه الكلام أى أنتم مثلهم ومن كان ميثاً فأعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة (وجعلناه) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيماً (يمشى به) أى بسببه والجملة استئناف مبنى على
- سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فاذا يصنع بذلك النور فقيل يمشى به (فى الناس) أى فيما بينهم آمناً من
- جهنم أو صفة له (كمن مثله) أى صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى (فى الظلمات) خبره على أن

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ جُجْرِمِيهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

٦ الأنعام

- المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته أسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الأولى وقوله تعالى (ليس بخارج منها) حال من المستكن في الظرف وقبل من الموصول أى غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل أريد به من بقى في الضلالة بحيث لا يفارقها أصلاً كما أن الأول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الإسلام وهداه بالآيات البينة إلى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على أن يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثليين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فإن الفاظ المثل باقية في معانيها الأصلية بل على أنه قد انتزعت من الأمور المتعددة المعبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الأمور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثليين هيئة على حدة فشبهت بهما الأوليان ونزلنا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الآخرين بضرب من التجوز وقد أشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية إلى أن التمثيل قسم برأسه لاسبيل إلى جعله من باب الاستعارة حقيقة وأن الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجرى ذلك على سنن الاستعارة بأن لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجرى على منهاج التشبيه كما في قوله [وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلافح] (كذلك) أى مثل ذلك التزيين البليغ (زين) أى من جهة الله تعالى بطريق الخلق عند إجماع الشياطين أو من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل (للكافرين) التابعين للوساوس الشيطانية الأخذين بالزخرفات التي يوحونها إليهم (ما كانوا يعملون) ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكى عنهم من القبايح فإنها لو لم تكن مزينة لهم لما أصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضى الله عنه وأبى جهل وقيل في عمر أو عمار رضى الله عنهما وأبى جهل (وكذلك) قيل معناه كما جعلنا في مكة أكبر مجرميها ليمكروا فيها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى ١٢٣ (أكبر مجرميها ليمكروا فيها) ومفعولاً جعلنا أكبر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو أو هما الظرف وأكبر على أن مجرميها بدل أو مضاف إليه فإن أفعال التفضيل إذا أضيف جازاً لإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وقيل أكبر مجرميها مفعوله الأول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى أن أى معنى يراد من هذه المعاني لا بد أن يكون مشهور التحقق عند الناس معهوداً فيما بينهم حتى يصلح أن تصرف الإشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه إليه ويجعل مقياساً لنظائره بإخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر أن ليس الأمر كذلك ولا سبيل إلى توجيهها إلى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وإن كان المراد بهم أكبر مكة لأن مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا أعمال أهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها الخ فإذاً الأقرب أن ذلك إشارة إلى الكفرة المعمودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والإفراد بتأويل الفريق أو المذكور ومحل الكاف النصب على أنه المفعول الثاني لجعلنا قدم

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ٦ الأنعام

عليه لإفادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والأول أكابر مجرميها والظرف لغو
 أى ومثل أولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها أى جعلناهم
 متصفين بصفات المذكورين مزيناً لهم أعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليذكروا فيها أى ليفعلوا
 ● المكفر فيها وهذا تسلية لرسول الله ﷺ وقوله تعالى (وما يمسكرون إلا بأنفسهم) اعتراض على سبيل
 ● الوعد لرسول الله ﷺ والوعيد للكفرة أى وما تحقيق غائلة مكرهم إلا بهم (وما يشعرون) حال من ضمير
 يمسكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي أى إنما يمسكرون بأنفسهم والحال أنهم ما يشعرون بذلك
 ١٢٤ أصلاً بل يزعمون أنهم يمسكرون بغيرهم وقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية) رجوع إلى بيان حال مجرمي أهل
 مكة بعد ما بين بطريق التسلية أن حال غيرهم أيضاً كذلك وأن عاقبة مكر الكل ما ذكر فإن العظيمة المنتقلة
 ● إنما صدرت عنهم لاعتبار سائر المجرمين أى إذا جاءتهم آية بواسطة الرسول ﷺ (قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى
 مثل ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) قال ابن عباس رضى الله عنهما حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا
 أن محمداً صادق كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في
 أن ما علق بإيتاء ما أُوتِيَ الرسل عليهم الصلاة والسلام هو إيمانهم برسول الله ﷺ وبما أنزل إليه إيماناً
 حقيقياً كما هو المتبادر منه عند الإطلاق خلافاً أنه يستدعى أن يحمل ما أُوتِيَ رسل الله على مطلق الوحي
 ● ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وأن تصرف الرسالة في قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته)
 عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها إلى المرسل
 إليه لا وضعها في موضعها الذى هو الرسول ليتأتى كونه جواباً عن اقتراحهم ورداً له بأن يكون معنى
 الاقتراح لَنْ نُؤْمِنَ بِكَونِ تِلْكَ آيَةٍ نَازِلَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الرَّسُولِ حَتَّى يَأْتِنَا بِالذَّاتِ عَيَانًا كَمَا يَأْتِي
 الرَّسُولَ فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ وَمَعْنَى الرَّدِّ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ يَلِيقُ بِإِرْسَالِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ
 إِذْنًا بِأَنَّهُمْ بِمَعْزُولٍ مِنْ اسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ التَّشْرِيفِ وَفِيهِ مِنَ التَّحَلُّلِ مَا لَا يَخْفَى وَقَالَ مُقَاتِلُ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ
 حِينَ قَالَ زَاهِنًا بَنِي عَبْدِ مَنَاافٍ فِي الشَّرَفِ حَتَّى إِذَا صَرْنَا كَفَرْنَا رَهَانًا قَالُوا أَمَّا نَبِيُّ يُوْحَى إِلَيْهِ وَاللَّهُ لَا نَرْضَى
 بِهِ وَلَا نَتَّبِعُهُ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِنَا وَحْيٌ كَمَا يَأْتِيهِ وَقَالَ الضَّحَّاكُ سَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ يَخْصَ بِالرَّسَالَةِ وَالْوَحْيِ
 كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً وَلَا يَخْفَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
 هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَنْاسِباً لِلرَّدِّ الْمَذْكُورِ لَكِنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَرَادَ بِالْإِيمَانِ الْمَعْلُوقُ بِإِيْتَاءِ مَا أُوتِيَ الرَّسُلَ
 بِمَجْرَدِ تَصَدِيقِهِمْ بِرِسَالَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ شُمُولٍ لِكَافَةِ النَّاسِ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةً حَتَّى
 فِي قَوْلِ اللَّعِينِ حَتَّى يَأْتِنَا وَحْيٌ كَمَا يَأْتِيهِ الْخُطَايَا لِعَدَمِ الرِّضَا لِعَدَمِ الْإِتِّبَاعِ فَإِنَّهُ مَقْرَرٌ عَلَى تَقْدِيرِ إِيْتَاءِ
 الْوَحْيِ وَعَدَمِهِ فَالْمَعْنَى لَنْ نُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ أَصْلًا حَتَّى نُؤْتَى نَحْنُ مِنَ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَوْ

فَن يرد الله أن يهديه، يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله، يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ ٦ الأنعام

- إيتاء مثل إيتاء رسل الله وأما ما قيل من أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنى أكبر منك سنأ وأكثر منك مالا وولداً فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود إلا أن يراد بالإيمان المعلق بما ذكر مجرد الإيمان بكون الآية النازلة وحياً صادقاً لا الإيمان بكونها نازلة إليه عليه الصلاة والسلام فيكون المعنى وإذا جاءتهم آية نازلة إلى الرسول قالوا لن تؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها إلينا لا إليه لأننا نحن المستحقون دونه فإن ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقاً الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقاً لكنت أنا النبي لأنت وإذ لم يكن الأمر كذلك فليست بحق وماله تعليق الإيمان بحقية النبوة بكون نفسه نبياً ومثل ما أوتى نصب على أنه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى حتى تؤتاها إيتاء مثل إيتاء رسل الله وإضافة الإيتاء إليهم لأنهم منكرون لإيتائه ﷺ وحيث نصب على المفعولية توسعاً لأنفس أعلم لما عرفت من أنه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه أى هو أعلم يعلم الموضع الذى يضعها فيه والمعنى أن منصب الرسالة ليس بما ينال بكثرة المال والولد وتعاوض الأسباب والعدد وإنما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى بمن يشاء من خلص عباده وقرىء رسالاته (سبيح الذين أجروا) استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد مانعى عليهم حرمانهم بما أمولوه والسين للنأ كيد ووضوح الموصول موضع الضمير للإشعار بأن إصابة ما يصيبهم لإجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح أى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به أطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة (صغار) أى ذلة وحقارة بعد كبرهم (عند الله) أى يوم القيامة وقيل من عند الله (وعذاب شديد) فى الآخرة أو فى الدنيا (بما كانوا يمكرون) أى بسبب مكرهم المستمر أو بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد إجرامهم صرح بسببته (فن يرد الله أن يهديه) أى يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان (يشرح صدره للإسلام) فيتسع له ويتفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهينة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه الصلاة والسلام حين سئل فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له ويتفتح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والإعراض عن دار الغرور والاستعداد للوثة قبل نزوله (وهن يرد أن يضله) أى يخلق فيه الضلال بصرف اختياره إليه (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الإيمان وقرىء ضيقاً بالتخفيف وحرجاً بكسر الراء أى شديد الضيق والأول مصدر وصف به مبالغته (كأنما يصعد) ما هذه مهينة لدخول كأن على الجمل الفعلية (فى السماء) شبه للبالة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق وتباعدوا فى الحرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرىء به وقرىء يصاعد وأصله يتصاعد (كذلك) أى مثل ذلك الجمل الذى هو جعل الصدر حرجاً

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ٦ الأنعام

لَهُمْ دَأْوُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ٦ الأنعام

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ٦ الأنعام

- على الوجه المذكور (يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال
- الزجاج الرجس اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (على الذين لا يؤمنون) أى عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للإشعار بأن جعله تعالى معلل بما فى حيز الصلة من قال نبوهم عن الإيهان وإصرارهم على الكفر
- ١٢٦ (وهذا) أى البيان الذى جاء به القرآن أو الاسلام أو ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) أى طريقه الذى ارتضاه أو عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفى التعرض لعنوان الربوبية لإيدان بأن تقويم ذلك الصراط للتربية وإفاضة الكمال (مستقيماً) لا عوج فيه أو عادلاً مطرداً وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصداقاً والعامل فيها معنى الإشارة (قد فصلنا الآيات) بينها مفصلة (لقوم يذكرون) يتذكرون ما فى تضاعيفها فيعملون أن كل ما يحدث من الحوادث خير أكان أو شراً فإنما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر
- ١٢٧ لأنهم المتفعون بتفصيل الآيات (لهم دار السلام) أى للمتذكرين دار السلامة من كل المكارهِ وهى الجنة (عند ربهم) أى فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى (وهو وإيهم) أى مولايم
- ١٢٨ وانصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم الصالحة أو متوليهم بحزائنها يتولى إيصاله إليهم (ويوم يحشرهم جميعاً) منصوب بمضمر إما على المفعولية أو الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتحويل الأمر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين أى واذكر يوم يحشر الثقلين قائلاً (يامعشر الجن) أو ويوم يحشرهم يقول يامعشر الجن أو ويوم يحشرهم ويقول يامعشر الجن يكون من الأحوال والآهوال
- ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين (قد استكبرتم من الإنس) أى من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكبر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم ومن فى قوله تعالى (من الإنس) إما لبيان الجنس أى أولياؤهم الذين هم الإنس أو متعلقة بمحذوف هو حال من أولياؤهم أى
- كائنين من الإنس (ربنا استمنع بعضنا ببعض) أى انتفع الإنس بالجن بأن دلوم على الشهوات وما يتوصل به إليها وقيل بأن ألقوا إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما ألقوه إليهم وقيل استمناع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم فى المفاز

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ الرَّيَّانُكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَفْقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ٦ الأنعام

- والخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم قادرون على إيجارهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) وهو يوم القيامة قالوه اعترافاً بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وإظماراً للتدائمة عليها وتحسراً على حالهم واستسلاماً لربهم ولعل الاختصار على حكاية كلام الضالين للإيذان بأن المضلين قد ألحموهم بالمرة فلم يقدرُوا على التكلم أصلاً (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (النار مثواكم) أى منزلكم أو ذات ثوابكم كما أن دار السلام مثوى المؤمنين (خالدين فيها) حال والعامل مثواكم إن جعل مضدراً ومعنى الإضافة إن جعل مكاناً (إلا ما شاء الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ وهذا مبنى على أن الاستثناء ليس من المحكى وما بمعنى من وقيل المعنى إلا الأوقات التى ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون وأدياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاونون ويطلبون الرد إلى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه حتى إذا صاروا إليه سعد عليهم الباب وعلى التقديرين فلا استثناء بهم وقيل إلا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبداً إلا ما أمه لكم ولا يخفى بعده (إن ربك حكيم) في أفاعيله (عليم) بأحوال الثقلين وأعمالهم وبما يليق بها من الجزاء (وكذلك) أى مثل ما سبق من تمكين الجن من إغواء الإنس وإضلالهم ١٢٩ (نولى بعض الظالمين) من الإنس (بعضاً) آخر منهم أى نجعلهم بحيث يتولونهم بالإغواء والإضلال أو نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقراف ما يؤدى إليه من القبايح (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي (يا معشر الجن والإنس) ١٣٠ شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريرهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم (ألم يأتكم) أى فى الدنيا (رسول) أى من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتى كل رسول كل واحدة من الأمم بل على أن يأتى كل أمة رسول خاص بها أى ألم يأت كل أمة منكم رسول معين وقوله تعالى (منكم) متعلق بمحذوف وقع صفة لرسول أى كائنة من جملةكم لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معاً بل من الإنس خاصة وإنما جعلوا منهم إماماً لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتاً واتحادهما تكليفاً وخطاباً كأنهما جنس واحد ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر وإما لأن المراد بالرسول ما يعمر رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد استمعوا القرآن وأنذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ ﴿١٣١﴾

- إلى قوله تعالى ولولا إلى قومهم منذرين وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول محقة لما هو المراد من إرسال الرسل من التبليغ والإنذار وقد حصل ذلك بالنسبة إلى الثقلين (وينذرونكم) بما في تضاعيفها من القوارع (لقاء يومكم هذا) يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما أعد لهم من أفانين العقوبات الهائلة (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا (شهدنا على أنفسنا) أي بإتيان الرسل وإنذارهم وبمقابلتهم إياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاء ما نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقد أجهل ههنا في الحكاية كما أجهل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما أدام في الدنيا إلى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وألجأهم بعد ذلك في الآخرة إلى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وضم لهم بذلك أي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنيئة والذات الخسيسة الفانية وأعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجتروا على ارتكاب ما يحرم إلى العذاب المؤبد الذي أنذروهم إياه (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا (كافرين) أي بالآيات والنذر التي أتت بها الرسل على التفصيل المذكور آنفاً واضطروا إلى الاستسلام لأشد العذاب كما ينبي عنه ما حكى عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم مالا مزيد عليه
- ١٣١ (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب الرسول ﷺ بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أن لم يكن ربك مهلك القرى) بحذف اللام على أن أن مصدرية أو مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى (بظلم) متعلق إما بمهلك أي بسبب ظلم أو بمحذوف وقع حالا من القرى أي ملتبسة بظلم فإن ملابسة أهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم وأما كونه حالا من ربك أو من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه أن غفلة أهلها مأخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى (وأهلها غافلون) والمعنى ذلك ثابت لا انتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب أي ظلم فعلوه من أفراد الظلم قبل أن ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وإن قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جنائياتهم أي لولا انتفاء كونه تعالى معذباً لهم قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب لما أمكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم إتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكنهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وإنما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو إهلاك القرى قبل الإنذار مع أن التهريب في تعليقه بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل أنتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال

وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

٦ الأنعام

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ

٦ الأنعام

قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

٦ الأنعام

إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والآخرى معاً من غير إنذار على أبلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الآخرى عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الأولوية فإنه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون إنذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مغلغل أولى وأجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لا نصرف بحسب المقام إلى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الآخرى ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحاً ولا دلالة ضرورة أن نفي الأعلى لا يدل على نفي الأدنى ولأن ترتب التعذيب الدنيوي على الإنذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على أن التعذيب الآخرى أيضاً كذلك فينزعرون عن الإخلال بما واجب الإنذار أشد انزعاجاً وهذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الكريم وأما جعل ذلك إشارة إلى إرسال الرسل عليهم السلام وإنذارهم وخبر المبتدأ

محذوف كما أطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه أعلم (ولكل) أى من المكلفين من الثقلين ١٣٢

(درجات) متفاوتة وطبقات متباينة (مما عملوا) من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات في

أنفسهم أو من جزاء أعمالهم فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو من أجل أعمالهم (وما ربك بغافل عما يعملون)

فيخفى عليه عمل من أعمالهم أو قدر ما يستحقون بها من ثواب أو عقاب وقرئ بالتاء تغليلاً للخطاب على

الغيبة (وربك الغنى) مبتدأ وخبر أى هو المعروف بالغنى عن كل ما - واه كائناً من كان وما كان فيدخل ١٣٣

فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لاسيما في الثاني لكونه موقع

الإضمار مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من إظهار اللطف به ﷺ وتنزيهه ساحته عن توم شمول الوعيد الآتي

لها أيضاً ما لا يخفى وقوله تعالى (ذو الرحمة) خبر آخر أو هو الخبر والغنى صفة أى يترحم عليهم بالتكليف

تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على

العباد وتمهيد لقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم) أى ما به حاجة إليكم إن يشأ يذهبكم أيها العصاة وفي تلوين

الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى (ويستخلف من بعدكم) أى من بعد إذهابكم (ما يشاء) من الخلق

وإيثار ما على من لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين)

أى من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لكنه أبقاكم

ترحمًا عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيه على غير الصدر فإن يستخلف

في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ إنشاء كائناً كإنشاءكم الخ أو نعت لمصدر الفعل المذكور أى يستخلف

استخلاقاً كائناً كإنشاءكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة (إن ما توعدون) ١٣٤

قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَمَا تَعْلَمُونَ مِنْ تَكُونٍ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

٦ الأنعام

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ٦ الأنعام

- أى الذى توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الأمور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
- التجددى (لآت) لواقع لا محالة كقوله تعالى إن ماتو عدون لواقع وإيثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه
- بتصويره بصورة طالب حيث لا يفوته هارب حسبا يعرب عنه قوله تعالى (وما أنتم بمعجزين) أى بفاتنين ذلك وإن ركبتم فى الحرب متن كل صعب وذلول كما أن إيثار صيغة الفاعل على المستقبل للإيذان بكال قرب الإتيان والمراد بيان دوام انتفاء الإعجاز لا بيان انتفاء دوام الإعجاز فإن الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام إذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما
- ١٣٥ حقق فى موضعه (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) لآثر ما بين لهم حالهم وآلهم بطريق الخطاب أمر رسول الله ﷺ بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية النصب فى الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم أى اعملوا على غاية تمسكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكنت أبلغ التمكن أو على جهنمكم وحالتكم التى أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كقيام ومقامة وقرى مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفرهم ومعاداتكم (إنى عامل) ما أمرت به من الثبات على الإسلام والاستمرار على الأعمال الصالحة والمصابرة وإيراد التهديد بصيغة الأمر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيجمله بالأمر على ما يؤدى إليه وتسجيل بأن المهدد لا يتأنى منه إلا الشر كالذى أمر به بحيث لا يجد إلى التفضى عنه سبيلا (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) سوف لنا كيد مضمون الجملة والعلم عرفانى ومن إماما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء (وتكون) باسمها وخبرها خبر لها وهى مع خبرها فى محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه الدار لها وإماما موصولة فجعلها النصب على أنها مفعول لتعلمون أى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار لإنصاف فى المقال وتنبية على كمال وثوق المندر بأمره وقرى بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقى (لأنه) أى الشأن (لا يفلح الظالمون) وضع الظلم موضع الكفر إيذانا بأن امتناع الفلاح يترتب على أى فرد كان من أفراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو أعظم أفرادها (وجعلوا) شروع فى تقبيح أحوالهم الفظيعة بحكاية أقوالهم وأفعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله تعالى وأشياء منهما لأهلهم فإذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لأهلهم وإذا زكا ما جعلوه لأهلهم تركوه معتلين بأن الله تعالى غنى وما ذاك إلا لخب آلهم وإيثارهم لها والجعل إماما متعد إلى واحد فالجاران فى قوله تعالى

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿١٣٧﴾

٦ الأنعام

- (لله ما ذرأ) متعلقان به ومن في قوله تعالى (من الحرث والأنعام) بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالهم حيث أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له أي عينوا له تعالى بما خلقه من الحرث والأنعام (نصيياً) يصرفونه إلى الضيفان والمساكين وتأخير عن المجريين لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وإما إلى مفعولين أولهما ما ذرأ على أن من تبعية أي جعلوا بعض ما خلقه نصيباً له وما قيل من أن الأول نصيباً والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيباً تدل على أنهم جعلوا شركائهم أيضاً نصيباً ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى (فقالوا هذا الله بزعيمهم وهذا شركائنا) وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وإنما قيد به الأول للتنبيه على أنه في الحقيقة ليس يجعل الله تعالى غير مستتبغ لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من أنه للتنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فإن ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز أن يكون ذلك تمهيداً لما بعده على معنى أن قولهم هذا الله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) بيان وتفصيل له أي فما عينوه لشركائهم لا يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه الله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه الله تعالى إذا وجدوه زاكياً يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه لأهلهم من إيفاق عليهم أو ذبح نسائك عندها والإجرام على سدتها ونحو ذلك (سواء ما يحكمون) فيما فعلوا من إيفاق آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير سواء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف للدلالة على محكمون عليه (وكذلك) ومثل ذلك ١٣٧
- (الذين) وهو تزوين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم أو مثل ذلك الذين البليغ المأمود من الشياطين (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بواهم ونحرم لأهلهم . كان الرجل يحلف في الجاهلية أن ولده كذا غلاماً لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب وهو مشهور (شركاؤهم) أي أولياؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين آخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر أولادهم ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل أولادهم قيل من زينهم فقيل زينهم شركاؤهم (ليردوهم) أي يهلكوهم بالإغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليختلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان الذين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة (ولو شاء الله) أي عدم فعلهم ذلك (ما فعلوه) أي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو الشركاء الذين أو الإرداء واللبس أو الفريقان جميع ذلك على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة (فذرهم وما يفترون) الفاء

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْتُ حَجْرًا لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
 ٦ الأنعام
 وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾
 ٦ الأنعام

- فصيحة أى إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم واقتراءهم أو وما يفترونه من الإلفك فإن فيما شاء الله تعالى حكماً بالغة إنما نلّى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم (هذه) إشارة إلى ما جعلوه لأنفسهم والتأنيث للخبر (أنعام وحرث حجر) أى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبيح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث وقرىء حجر بالضم وبضمين وخرج أى ضيق وأصله خرج وقيل هو مقلوب من حجر (لا يطعمها إلا من نشاء) يعنون خدم الأوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث (بزعمهم) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة (وأنعام) خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه أنعام الخ أى قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام (حرمت ظهورها) يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام) أى وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى (لا يذكرون اسم الله عليها) صفة لأنعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهة تعالى تعييناً للوصف وتمييزاً له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على أحد التفاسير كأنه قيل وأنعام ذبحت على الأصنام فإنها التى لا يذكر عليها اسم الله وإنما يذكر عليها اسم الأصنام وقيل لا يحجون عليها فإن الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن نتجوا ولا إن باعوا ولا إن حملوا (اقتراء عليه) نصب على المصدر إما على أن ما قالوه تقول على الله تعالى وإما على تقدير عامل من لفظه أى اقتروا اقتراء والجار متعلق بقالوا أو باقتروا المقدر أو محذوف هو صفة له لا باقتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا أى مقترين أو على العلة أى للاقتراء فالجار متعلق به (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أى بسببه أو بدله وفى إبهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لفن آخر من فنون كفرهم (ما فى بطون هذه الأنعام) يعنون به أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا) حلال لهم خاصة والتاء للنقل إلى الاسمىة أو للبالغة أو لأن الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف المضاف أى ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة والتذكير فى قوله تعالى (ومحرم على أزواجنا) أى جنس أزواجنا وهن الإناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ أولاً وعلى المعنى ثانياً كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أحوال ونظائره وأما العكس فقد

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

٦ الأنعام

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

٦ الأنعام

- قالوا إنه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك حياً وهو الظاهر المعتاد (وإن يكن ميتة)
- أى إن ولدت ميتة (فهم) أى الذكور والإناث (فيه) أى فيما فى بطون الأنعام وقيل المراد بالميتة ما يعم
- الذكر والأنثى فقلب الأول على الثانى (شركاء) يأكلون منه جميعاً وقرىء خالصة بالنصب على أنه مصدر
- مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذى فى الطرف لامن الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لأنه
- لا يتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرىء خالصة بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه
- بدل من ما أو مبتدأ ثان (سيجزئهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى أمر التحليل
- والتحریم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب (إنه حكيم عليم) تعليل للوعيد بالجزاء فإن الحكيم
- العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة (قد خسر الذين قتلوا ١٤٠
- أولادهم) جواب قسم محذوف وقرىء بالثشديد وهم ربعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا
- يتدون بناتهم مخافة السبى والفقر أى خسروا دينهم ودينام (سفها بغير علم) متعلق بقتلوا على أنه علة
- له أى لخفة عقلم وجهلم بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرىء
- سفها أو مصدر (وحرّموا ما رزقهم الله) من البهائم والسوايب ونحوهما (افترأ على الله) نصب
- على أحد الوجوه المذكورة وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضممار لإظهار كمال عتوم وطغيانهم
- (قد ضلوا) عن الطريق المستقيم (وما كانوا مهتدين) إليه وإن هدوا بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين
- من الأصل لسوء سيرتهم فالجمله حينئذ اعتراض وعلى الأول عطف على ضلوا (وهو الذى أنشأ جنات ١٤١
- معروشات) تمهيد لما سيأتى من تفصيل أحوال الأنعام أى هو الذى أنشأ من غير شركة لاحد فى ذلك
- بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات) وهن الملقيات
- على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبتت فى البوادي والجبال
- (والنخل والزروع) عطف على جنات أى أنشأهما (مختلفاً أكله) وقرىء أكله بسكون الكاف أى ثمره
- الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزروع داخل فى حكمه أو للزروع والباقي مقيس عليه
- أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفاً حال مقدرة إذ ليس كذلك وقت الإنشاء
- (والزيتون والرمان) أى أنشأهما وقوله تعالى (متشابهاً وغير متشابه) نصب على الحالية أى يتشابه بعض

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

٦ الأنعام

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ

عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبِّعُونِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾

٦ الأنعام

- أفرادهما في اللون والهيئة أو الطعم ولا يتشابه بعضهما (كلوا من ثمره) أى من ثمر كل واحد من ذلك (إذا أُمِر) وإن لم يدرك ولم ينع بعد وقبل فائدة رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى
- (وأتوا حقه يوم حصاده) أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فإنها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتصفية وقرى يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) أى في التصديق كما روى عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة
- ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية (لأنه لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى إسرافهم (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول أنشأ ومن متعلقة به أى وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرش اللذخ أو ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره
- وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) ماعبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية أى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى أى حلاله
- وفيه تصريح بأن إنشاءها لا جلمهم ومصلحتهم (ولا تتبعوا) في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم
- المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المقترين على الله سبحانه (خطوات الشيطان) فإن ذلك منهم بإغوائه
- ١٤٣ واستتباعه إياهم (لأنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية أزواج) الزوج ما معه آخر من جنسه يزوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الأنواع الأربعة وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والأنثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشاً منصوب بما نصبهما وجعله مفعولاً لكلوا على أن قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما أو حالاً من ما معنى مختلفة أو متعددة ياباه جزالة النظم الكريم لظهور أنه مسوق لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولاً إلى حمولة وفرش ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأولى إلى الإبل والبقر وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيهم بإظهار كذبهم وإفترائهم
- في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة واثنتين في قوله سبحانه وتعالى (من الضأن اثنتين) بدل من ثمانية أزواج منصوب بناصبه وهو العامل في من أى أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة

٦ الأنعام

وقرىء اثنتان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئنين كما مير أو جمع ضائن كئناجر ونجر
وقرىء بفتح الهمزة (ومن المعز اثنتين) عطف على مثله شريك له في حكمه أى وأنشأ من المعز زوجين
النيس والعز وقرىء بفتح العين وهو جمع ما عز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرىء ومن المعزى
وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر أصلها في الإجمال ليكون
هذين النوعين عرضة للأكل الذى هو معظم ما يتعلق به الحل والحرم وهو السرفى الاقتصار على الأمر
به فى قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه فى
السائبة وأخوانها (قل) تلون للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ لئلا يفتعل أنواع الأنعام التى
أنشأها أى قل تبكيتاً لهم وإظهار أن لا نقطاعهم عن الجواب (الذكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش
والنيس (حرم) أى الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم (أم الاثنتين) وهما النعجة والعز ونصب
الذكرين والاثنتين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى (أم
ما شملت عليه أرحام الاثنتين) أى أم ما حلت إناث النوعين حرم ذكر آكان أو أنثى وقوله تعالى (نبثونى
بعلم) الخ تكرير للإلزام وثنية للتبكيك والإفهام أى أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب
أو أخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئاً مما ذكر أو نبثونى بقية ملتبسة بعلم صادرة عنه (إن كنتم
صادقين) أى فى دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى (ومن الإبل اثنتين) عطف على قوله تعالى ١٤٤
من الضأن اثنتين أى وأنشأ من الإبل اثنتين هما الجمل والناقة (ومن البقر اثنتين) ذكر أو أنثى (قل) إلفاما
لهم فى أمر هذين النوعين أيضاً (الذكرين) منهما (حرم أم الاثنتين أم ما شملت عليه أرحام الاثنتين)
من ذينك النوعين والمعنى إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم
فى ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما فى بطونها للبالغة فى الرد عليهم بإيراد الإنكار على كل
مادة من مواد اقترائهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة
أخرى مستدين ذلك كله إلى الله سبحانه وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعى الصغار ونوعى الكبار
بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكار مع حصول التبكيك بإيراد الأمر عقيب تفصيل الأنواع
الأربعة بأن يقال قل آلد كور حرم أم الإناث أم ما شملت عليه أرحام الإناث لما فى الثنية والتكرير
من المبالغة فى التبكيك والإلزام وقوله تعالى (أم كنتم شهداء) تكرير للإفهام كقوله تعالى نبثونى بعلم
وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ ومعنى بل الإضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه

٢٥٠ - أبو السعود ٢٣٣

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

٦ الأنعام

- آخر أى بل أكنتم حاضرين مشاهدين (إذ وصاكم الله بهذا) أى حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنى فلا طريق لكم حسبما يقود إليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسمع وفيه من تركيك عقولهم والنهكهم بهم ما لا يخفى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبارؤم المفقرون لذلك أو عمرو بن لحي بن قعدة وهو المؤسس لهذا الشر أو الكل لا شترأ كههم فى الاقتراء عليه سبحانه وتعالى أى فإى فريق أظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدر فى أظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وإظهار كذبهم واقتراءهم أى هو أظلم من كل ظالم وإن كان المنفى صريحاً بالأظلمية دون المساواة كما مر غير مرة (ليضل الناس) متعلق بالاقتراء (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى وإنما وصفوا بعدم العلم بذلك مع أنهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى إيذاناً بخروجهم فى الظلم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل أى ملتبساً بغير علم بما يؤدى بهم إليه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) كأنه من كان إلى ما فيه صلاح حالهم جاهلاً أو أجلاً وإذا كان هذا حال المتصفين بالظلم فى الجملة فما ظنك بمن هو فى أقصى غاياته
- (قل) أمر رسول الله ﷺ بعد إلزام المشركين وتبكيتهم وبيان أن ما يتقولونه فى أمر التحريم افتراء بحت لا أصل له قطعاً بأن يبين لهم ما حرمه عليهم وفى قوله تعالى (لا أجد فيما أوحى إلى محرماً) إيذان بأن مناط الحل والحرم هو الوحي وأنه ﷺ قد تتبع جميع ما أوحى إليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرمات صفة لمحذوف أى لا أجد ريثما تصفحت
- ما أوحى إلى طعاماً محرماً من المطاعم التى حرموها (على طاعم) أى أى طاعم كان من ذكر أو أنثى رداً على قولهم محرم على أزواجنا وقوله تعالى (يطعمه) لزيادة التقرير (إلا أن يكون) أى ذلك الطعام (ميتة) وقرئ تكون بالناء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على أن كان تامة وقوله تعالى (أو دمًا مسفوحاً) حينئذ عطف على أن مع ما فى حيزه أى إلا وجود ميتة أو دمًا مسفوحاً أى مصبوحاً كالدماء التى فى العروق
- لا كالطحال والكبد (أو لحم خنزير فإنه) أى الخنزير (رجس) أى لحمه قدر لتعوده أكل النجاسات أو خبيث (أو فسقاً) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته (أهل لغير الله به) صفة له موضحة أى ذبح على اسم الأصنام وإنما سمي ذلك فسقاً لتوغله فى الفسق ويجوز أن يكون فسقاً مفعولاً
- له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع إلى ما رجع إليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) أى

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ٦ الأنعام

- أصابه الضرورة الداعية إلى أكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة (غير باغ) في ذلك على مضطر آخر
- مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فإن ربك غفور رحيم) مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذ به بذلك وليس
- التقييد بالحال الأول لبيان أنه لو لم يوجد القيد لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر
- هو أخذه حق مضطر آخر فإن من أخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فأكله فإن حرمة ليست باعتبار
- كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقاً للمضطر الآخر وأما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث
- عنها قطعاً فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث إنه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي
- المغفرة والرحمة إيذان بأن المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لأنها تدل على أنه
- ﷺ لم يجد فيما أوحى إليه إلى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح
- الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء التي هي غيرها إلا مع الاستصحاب
- (وعلى الذين هادوا) خاصة لأعلى من عداهم من الأولين والآخرين (حرمننا كل ذي ظفر) أي كل ١٤٦
- ماله أصبع من الإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمى الحافر ظفراً مجازاً والمسبب
- عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا أعم التحريم كلها وهذا تحقيق
- لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا
- يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا
- (ومن البقر والغنم حرمننا عليهما شحومهما) لا لحومهما فإنها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى
- والإضافة لزيادة الربط (إلا ما حملت ظهورهما) استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما
- عن حكم التحريم (أو الحوايا) عطف على ظهورهما أي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية أو حاويات كقاصعاء
- وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن (أو ما اختلط بعظم) عطف على ما حملت وهو شحم الآلية واختلاطه
- بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها (ذلك) إشارة إلى
- الجزء أو التحريم فهو على الأول نصب على أنه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان له
- أي ذلك التحريم (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربا وقد نهوا عنه
- وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما
- أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم
- فرد ذلك عليهم وأكده بقوله تعالى (وإننا لصادقون) أي في جميع أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد
- ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل
- التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يحسروا أن

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ٦ الأنعام
 سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ٦ الأنعام

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ٦ الأنعام

- ١٤٧ يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون أو وضع بيان (فإن كذبوك) قيل الضمير لليهود لا أنهم أقرب ذكر أو ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراف وقيل للمشركين فالعنى على الأول إن كذبتك اليهود في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لا يؤاخذكم بكل ما أتونه من المعاصي ويملككم على بعضها (ولا يرد بأسه) بالكلية (عن القوم المجرمين) فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديداً وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه لإمهال لا إهمال وقيل ذو رحمة للطيبين وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلاً (سيقول الذين أشركوا) حكاية لفن آخر من كفرهم وإخباره قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما أخبر به بما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله (لو شاء الله ما أشركنا) أى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء
- لما فعلنا الإشراف نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضى عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى يذهب ذمهم به دليلاً للمعتزلة ألا يرى إلى قوله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذبك هؤلاء في أنه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدم وهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) أى فظهره لنا (إن تتبعون إلا الظن) أى ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئاً (وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعى (قل لله الحجة البالغة) الفاء جواب شرط محذوف أى وإذا قد ظهر أن لا حجة لكم فله الحجة البالغة أى البيئة الواضحة التى بلغت غاية المنانة والثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهى من الحجج بمعنى القصد كأنها تقصد لإثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء) هدايتكم جميعاً (لهداكم أجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
-

قُلْ هَلْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ٦ الانعام
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ٦ الانعام

لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين مهمهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا
اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم (قل هل شهداءكم) أى أحضروهم ١٥٠
وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل بؤث ويجمع على لغة بنى تميم على رأى الجمهور وقد
خالفهم البعض فى فعليته وليس بشئ. وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد حذف الألف لتقدير
السكون فى اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما فى الآية ولازماً كما فى قوله تعالى هل إلينا (الذين يشهدون
أن الله حرم هذا) وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على
أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم (فإن شهدوا) بعد ما حضروا بأن الله حرم هذا
(فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فسادهم فإن تسليمهم منهم موافقة
لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على
أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا
مصدقاً بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف
الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما فى قوله [إلى الماجد القرم وابن إلهاه م وليث الكتاب فى المزدحم]
فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس (وهم برههم يعدلون) أى يجعلون له عدلاً عطف
على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين
الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهى الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون
بكلها (قل تعالوا) لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرمه بأمر الله
تعالى ومشيتته بظهور عجزهم عن إخراج شئ يتمسك به فى ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا فى
أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيننا أمر رسول الله ﷺ بأن يبين لهم من المحرمات ما
يقضى الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الاطعمة
المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا أجد الآلة وتعالى أمر من تعالى والأصل فيه أن يقوله من فى مكان

- عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كأن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة (أتل) جواب الأمر وقوله تعالى (ما حرم ربكم) منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو يحرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم على كل حال وقيل بآتل والاول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السرف في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى رباً لهم ومالكاً لا مرمم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهى الله عنه أشد انتهاء وأنه في قوله تعالى (أن لا تشركوا به) مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبغي عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسير تلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به فإن الأمر بالشئ مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكانه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهين المكتنفين له للبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشرار الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعلينكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لازمته وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن لا تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لأن أمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى (شيئاً) نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشرار أو شيئاً من الأشياء (وبالوالدين) أي واحسنوا بهما (إحساناً) وقد مر تحقيقه (ولا تقتلوا أولادكم) تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوا بالوآد (من إملاق) أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذافي المتوقع وقوله تعالى (نحن نرزقكم وإياهم) استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهى عنه وضمنان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لأنهم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش) كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جرى ههنا بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى (ما ظهر منها وما بطن) أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للبالغة في الزجر

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ ۖ وَصَلَّوْا إِلَيْكُمْ بِحَبْلِ الْوَدَىٰ ۖ وَكُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَلَا تَقْنَطُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ۚ وَذَلِكُم مَّا كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۚ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾

٦ الأنعام

- عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقاً كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في حق العزل إن ذاك وأدخني ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقاً وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أي حرم قتلها •
- بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحرب وقوله تعالى (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلونها في حال من الأحوال إلا حال ملاستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعضومة أو من أعم الأسباب أي لا تقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلونها قتلاً ما إلا قتلاً كانت بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من التكليف الخمسة •
- وما في ذلك من معنى البعد للإبذان بعلو طبقاتها من بين التكليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى (وصاكم به) أي أمركم به ربكم أمراً مؤكداً خبره والجملة استئناف جيء به تعجيداً للهدوء تأكيداً للإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهى عنها مما تقضى بديمه العقول بقبولها فصارت الآية الكريمة بقوله تعالى (علمكم تعقلون) أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة (ولا تقرّبوا مال اليتيم) توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله وإخراج ١٥٢
- القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه (إلا بالتي هي أحسن) •
- إلا بالحصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتميز ونحو ذلك والخطاب الأولياء والأوصياء لقوله تعالى (حتى يبلغ أشده) فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغاً •
- رشيداً فحينئذ سلوه إليه كما في قوله تعالى فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم والأشدد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كلب أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد كأنك (وأوفوا السكيل والميزان بالسقط) أي بالعدل والتسوية (لا تكلف نفساً إلا وسعها) إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإبذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم (وإذا قلتم فاعدلوا) قولاً في حكومة أو شهادة أو نحوهما (فاعدلو) فيه (ولو كان) أي المقول له أو عليه (ذا قرين) أي ذا قرابة منكم ولا تملوا انخوم أصلاً وقد مر تحقيق معنى لوفى مثل هذا الموضع •
- مراراً (وبعهد الله أوفوا) أي ما عهد إليكم من الأمور المحدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر •

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

٦ الأنعام

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
يُلْقِئَ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَانُونَ ﴿١٥٤﴾

٦ الأنعام

- دخولاً أولاً أو ما عاهدتم الله عليه من الإيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه (ذلكم) إشارة إلى
- ما فصل من التكليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل (وصاكم به) أمركم به أمر مؤكداً (لعلكم تذكرون)
- تذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف
- الأمم والأعصار . عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم يفسخن شيء من جميع الكتب
- وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
- كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل
- ١٥٣ تعالوا الآيات (وأن هذا صراطي) إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى
- ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الپاء
- ومعنى إضافته إلى ضميره ﷺ انتسابه إليه ﷺ من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله
- والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به ﷺ أيضاً وأنه ﷺ
- مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى (مستقيماً) حال مؤكدة ومحل أن مع ما في حيزها الجرح بحذف
- لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيماً (فاتبعوه) كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا
- مع الله أحداً وتعليل اتباعه بكونه صراطه ﷺ لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من
- حيث أن سلوكه ﷺ فيه داع للخلق إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ
- بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف
- وقرئ صراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا
- السبل) الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات (فتفرق بكم) محذوف إحدى التاءين والباء للتجديده
- أي فتفرقكم حسب تفرقها أبداً سباً فو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من
- الدلالة على الاستصحاب أباح من أذهب (عن سبيله) أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو
- دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي وإقفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه
- ﷺ عين سبيل الله تعالى (ذلكم) إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل (وصاكم
- ١٥٤ به لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلالة (ثم آتينا موسى الكتاب) كلام مسوق من جهته تعالى
- تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبي عنه تغيير الأسلوب
- بالانفغات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم

وَهَذَا كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

٦ الأنعام

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ٦ الأنعام

- وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقاً له وتقريراً لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أو لم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور فيما لا يليق بجزالة النظم الكريم فندبر وشم لازاخي في الأخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتماوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أما آتينا موسى النوراة فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من التوصية بها فقط (تماماً) للكرامة والنعمة أي إتماماً ● لها على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد (على الذي أحسن) أي على من أحسن القيام به كأننا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا وتماماً على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماماً على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على أحسن ما يكون عليه الكتاب (وتفصيلاً لكل شيء) وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماماً ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى (وهدي ورحمة) وضمير (لعلمهم) لبي إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب ● والباء في قوله تعالى (بلقاء ربهم) متعلقة بقوله تعالى (يؤمنون) قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب (وهذا) أي الذي نليت عليكم ١٥٥ أو أمره ونواهيته أي القرآن (كتاب) عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى (أنزلناه مبارك) أي كثير المنافع ديناً ودنياً صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكره أو خبر أن آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملاً على فنون الفوائد الدينية والدينية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى (فاتبعوه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه ● وكونه منزلاً من جنابه عز وجل مستقباً للنفاع الدينية والدينية موجب لا تباعه أي إيجاب (واتقوا) ● مخالفته (لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه والعمل بموجبه (أن تقولوا) علة لأنزلناه المدلول عليه بالماذكور ١٥٦ لا لنفسه لازوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفاً كان أو خبراً أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لولم ننزله (إنما أنزل الكتاب) الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم ● (على طائفتين) كائنتين (من قبلنا) وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتائيهما لأنهما الذي ● اشتهر حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتغال على الأحكام لاسيما الأحكام المذكورة (وإن كنا) ●

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُم مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا
سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

٦ الأنعام

- إن هي المخففة من إن واللام فارقة بينهما وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم يعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنا (عن دراستهم لغافلين) لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلاً عليهما وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتغالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإزالة القرآن لاشتغاله أيضاً عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط (أو تقولوا) عطف على تقولوا وقرىء كلاهما بالياء على الالتفات
- ١٥٧ من خطاب فاتبعوه واتقوا (لو أنما أنزل علينا الكتاب) كما أنزل عليهم (لكننا أهدى منهم) إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا من فنون العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفاً صالحاً ونحن أميون وقوله تعالى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف يبنى عنه الفاء الفصيحة إما معتل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم (بينه) وأي بينة أي حجة واضحة لا يكتننه كنهها وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأياً ما كان فقيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفيخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع
- (وهدى ورحمة) عطف على بينة وتنوينهما أيضاً تفيخيمي عبر عن القرآن بالبينة لإدناها بكال تمسكهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيهاً على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة (فمن أظلم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم (من كذب بآيات الله) وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيهاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعملة الحكم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبب التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أولاً أفضل منه فالمراد به حتماً بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وقد مر مراراً (وصدَفَ عنها)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

٦ الأنعام

- أى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال (سنجزى الذين يصدفون) الناس (عن آياتنا) وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً ووضع الموصول موضع المضمر
- لتحقيق مناط الجزاء (سوء العذاب) أى العذاب السيئ الشديد النكابة (بما كانوا يصدفون) أى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من عليه ما فى حيز الصلة (هل ينظرون) استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإزال ١٥٨
- ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرفعون عن التماذى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلاً مبالغة فى التبليغ والإيذار وإزاحة العلل والأعذار أى ما ينتظرون (إلا أن تأتيمهم الملائكة أو يأتى ربك) حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو تأتى بالله والملائكة قبلاً وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيمهم ملائكة العذاب أو يأتى أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجىء وقرىء
- يأتيمهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقى (أو يأتى بعض آيات ربك) أى غير ما ذكرنا اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظام الآيات التى علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتحويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات فى الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره ﷻ للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على أن المراد به أشرط الساعة التى هى الدخان ودابة الأرض وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور ما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعليق إيمانهم بإتيانها انتظار منهم له ظاهر أحمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم فى الإصرار على الكفر والتماذى فى العناد إلى أن تأتيمهم تلك الأمور الهائلة التى لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم بسبباقه المنبئ عن تماديهم فى تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعى أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن تكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناباتهم كإتيان ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سياتى من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ما ذكر من إتيان ملائكة الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشرط الساعة مع شمول إتيانها

لكل بروفاجر واشتغال غائلتها على كل مؤمن وكافر فيما لا يساعده المقام على أن بعض أشرط الساعة ليس
 ● مما يفسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وجل (يوم يأتي بعض آيات
 ربك) على ما يعم مقتضياتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف
 فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقریب عند وقوعها بدخول ما ينتظر ونه في ذلك دخولا أولياً
 ● ويوم منصوب بقوله تعالى (لا ينفع) فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ
 ● يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أى لا ينفع فيه (نفساً) من النفوس (إيمانها)
 حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عياناً ومعلوم قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك
 ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لا اكتساب الإيمان من ملازمة المضاف إليه
 ● تأنيثاً وقوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل) أى من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفساً فصل بينهما
 ● بالفاعل لا شتاله على ضمير الموصوف ولا ضمير فيه لأنه غير أجنبي منه لا اشتراكهما في العامل (أو كسبت
 في إيمانها خيراً) عطف على آمنت بإيراد التريديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع
 والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيراً ومن ضرورته
 اشتراط النفع بتحقيق الأمرين أى الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى أن النافع هو تحققهما
 والإيمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا أنه هو النافع وتحقيقهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير
 المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعانه عند وقوعهما
 بعد الإيمان وقد استدلل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض
 ضرورة صحة حمله على نفي التريديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين
 معاً وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقيق أحدهما بطريق منع الخلود دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع
 الإيمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد أو الخير المكسوب فيه فيتحقق
 النفع بأيهما كان حسبما تنطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل من أن عدم الإيمان
 السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على أن الموجب للخلود
 في النار هو عدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب
 الخلود لغواً من الكلام - لغو من الكلام مبنى على توهم أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين
 مجرد بيان إيجابهما للخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إيجابها عنه وليس كذلك وإلا لكفى في البيان
 أن يقال لا ينفع نفساً إيمانها الحادث بل المقصد الأصلي من وصفها بذنوبك العدمين في أثناء بيان عدم نفع
 الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه بما
 ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم
 الأول مستقل في إيجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في إيجاب الخلاص
 عنها فيكون ذكر الثاني لغواً لما أنه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل
 وأما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الإيمان وبعضها على فروعه

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

٦ الأنعام

المتفاوتة كما وكيفاً وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلاً أعنى الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد أيضاً إرشاداً إلى تحرى الأعلى وتنبيهاً على كفاية الأدنى وإقناطاً للكفرة عما علقوا به أطباعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفك العنائة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحث لا يثبتانه على غير أساس حسبي نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تدمرهم وتفریطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكال طغيانهم وإبذناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المواخذة كما ينبي عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديرى أى لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديرى أن يكون المقدر من متمات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فإنه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بأبناء التفصيل عنه أعنى قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدره هنا ليس بما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس بما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاء على السلامة وزماناً يأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفضيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه آخر قصارى أمرها إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المانوية القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا وإلى لما تقرر من أن الظنى بمعزل من معارضة القطعى (قل) لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد (انتظروا) ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أى شئ تنتظرون (إنا منتظرون) لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله ﷺ والمؤمنين بمعابنتهم لما يحق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذى شاهدوه يوم بدر والله سبحانه أعلم (إن الذين فرقوا دينهم) استئناف ١٥٩

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ ٦ الأنعام

قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٧﴾ ٦ الأنعام

- لبیان أحوال أهل الكتابین إثر بیان حال المشرکین أى بددوه وبعضوه فتمسک بكل بعض منه فرقة
 ● منهم وقرىء فارقوا أى باينوا فإن ترک بعضه وإن كان بأخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له (وكانوا
 شیعاً) أى فرقا تشیع كل فرقة إماماً لها قال ﷺ افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية
 إلا واحدة وافرقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتى على ثلاث
 وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابین إنما هو بالنظر
 إلى العصر الماضى قبل الذبح وأما بعده فالكل فى الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم فعنى قوله تعالى
 ● (لست منهم فى شيء) لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذه وقيل
 من قتالهم فى شيء سوى تبليغ الرسالة وإظهار شعائر الدين الحق الذى أمرت بالدعوة إليه فيكون
 منسوخاً بآية السيف وقوله تعالى (إنما أمرهم إلى الله) تعليل للنفي المذكور أى هو يتولى وحده أمر أولام
 وأخراهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم فى الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم إذا أراد
 وقيل المفرقون أهل البدع والآهواء الزائغة من هذه الأمة ويرده أنه ﷺ مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار
 بأن معنى لست منهم فى شيء حينئذ أنت برىء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور
 ● (ثم ينبئهم) أى يوم القيامة (بما كانوا يفعلون) عبر عن إظهاره بالنبذة لما بينهما من الملازمة فى أنهما
 سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أى يظهر لهم على رموس
 الأشهاد ويعلمهم أى شيء شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء
 ١٦٠ وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) استئناف مبين لمقادير أجزية العاملين وقد صدر ببيان
 أجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر أعدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم يريد من عمل
 من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات أى من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ
 لا حسنة بغير إيمان فله عشر حسنات أمثالها تفضلاً من الله عز وجل وقرىء عشر بالتنوين وأمثالها بالرفع
 على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك
 ● قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص (ومن جاء بالسئنة) أى بالأعمال السيئة
 ● كائناً من كان من العاملين (فلا يجزى إلا مثلاً) بحكم الوعد واحدة بواحدة (وهم لا يظلمون) بنقص
 ١٦١ الثواب وزيادة العقاب (قل إننى هداني ربى) أمر رسول الله ﷺ بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق
 الذى يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها
 والتعرض لعموان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لما بدت تشرىفه أى قل لأولئك المفرقين أرشدنى ربى
 ● بالوحى وبما نصب فى الآفاق والآنفس من الآيات التكوينية (إلى صراط مستقيم) موصل إلى الحق

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ٦ الأنعام

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ٦ الأنعام

- وقوله تعالى (ديناً) بدل من إلى صراط فإن محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطاً مستقيماً أو
- مفعول لفعل مضممر يدل عليه المذكور (قيماً) مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لإعلال فعله كالقيام وقرىء قيماً وهو فاعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة وإن كان هو أبلغ منه باعتبار الصيغة (ملة إبراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفاً) حال من إبراهيم أى ما تلا عن الأديان الباطلة وقوله تعالى (وما كان من المشركين) اعتراض مقرر لنزاهته ﷺ عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل أى ما كان منهم فى أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً صرح بذلك رداً على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزيز ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله (قل إن صلاتي ونسكي) أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق ١٦٢
- أصولها أى عبادتى كلها وقيل وذبحى جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجى (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الإيمان والطاعة أوطاعات الحياة والخيرات المضافة إلى المهمات كالوصية والتدبير وقرىء محياى بسكون الياء لإجراء اللوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين) (لا شريك له) خالصة له لا أشرك فيها غيره (وبذلك) إشارة إلى الإخلاص ١٦٣
- وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته فى الفضل أى بذلك الإخلاص (أمرت) لا بشئ غيره وقوله تعالى (وأنا أول المسلمين) لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدى به عليه السلام من أسلم منهم (قل أغير ١٦٤
- الله أبغى رباً) آخر فأشركه فى العبادة (وهو رب كل شئ) جملة حالية مؤكدة للإنكار أى والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور أن يكون شريكاً له فى العبودية (ولا تكسب كل نفس إلا عليها)
- كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليس كتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أى لا تكون جنابة نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأنى ما ذكرتم وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) رد له بالمعنى الثانى أى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم (ثم إلى ربكم مرجعكم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد أى إلى مالك أموركم ورجوعكم يوم القيامة (فينتكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون)
- ببيان الرشد من الغى وتمييز الحق من الباطل .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

٦ الأنعام

- ١٦٥ (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) حيث خلفتم الأمم السالفة أو يخلف بعضكم بعضاً أو جعلكم خلفاء الله تعالى فى أرضه تنصرفون فيها على أن الخطاب عام (ورفع بعضكم) فى الشرف والغنى (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة (ليبلوكم فيما آتاكم) من المال والجاه أى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده (إن ربك) تجريد الخطاب لرسول الله ﷺ مع إضافة اسم الرب إلى ضميره ﷺ لإبراز مزيد اللطف به ﷺ (سريع العقاب) أى عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند إرادته لتعالیه عن استعمال المبادئ والآلات (وإنه لغفور رحيم) لمن راعاها كما ينبغي وفى جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكداً باللام مع جعل خبر الأولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مساح فيها ما لا يخفى والله أعلم . عن رسول الله ﷺ أنزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة والله تعالى أعلم .

٧ - سورة الأعراف

(مكية وآياتها مائتان وخمس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ الأعراف

الْمَصِّ

كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ ٧ الأعراف

(سورة الأعراف)

- (مكية غير ثمانى آيات من قوله واسألهم إلى قوله وإذ نتقنا الجبل وآياتها مائتان وخمس)
- (بسم الله الرحمن الرحيم) (المص) إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أى مسمى به وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث المسمى لما أن الإشارة إليه من حيث إنه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث أنه مسمى بالسورة وإنما صححت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل (كتاب) على الوجه الأول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبنى عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراداً به السورة كتاب الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف أى هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر جىء به لإثبات كونه مترجماً باسم بديع منبىء عن غرابته فى نفسه إبانة لجلالة محله ببيان كونه فرداً من أفراد الكتب الإلهية حائزاً للكلمات المختصة بها وقد جوز كونه خبراً أو المص مبتدأ أى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل عنواناً للوضع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية قبل لحقهم الإخبار بها (أنزل إليك) أى من جهته تعالى بنى الفعل للفعول جرياً على سنن الكبرياء وإذناً بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعيينه وهو السر فى ترك ذكر مبدأ الإنزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل إليه وجعله خبراً له على معنى كتاب عظيم الشأن أنزل إليك خلاف الأصل (فلا يكن فى صدرك حرج) أى شك كما فى قوله تعالى فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتربه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتربه انشراحه وانفساحه مبالغة فى تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عن نسبة الشك إليه ولو فى ضمن النهى فإنه من الأحوال القلبية التى يستحيل اعتراؤها إياه ﷺ وما قد يقع من نسبته إليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهيج والإلهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
- ٢٧٥ - تفسير أبى السعود ج ٢

اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ الأعراف

- أصلاً فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى (منه) متعلق بخرج يقال خرج منه أى ضاق به صدره أو بمحذوف وقع صفة له أى خرج كائن منه أى لا يكن فيك شك ما فى حقيقته أو فى كونه كتاباً منزلاً إليك من عنده تعالى فالفاء على الأول لترتيب النهى أو الانتهاء على مضمون الجملة فإنه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعاً وأما على الثانى فهى لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه الصلاة والسلام عنه إما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن الشك فيما ذكر فإن النهى عن الشئ مما يورم إمكان صدور المنهى عنه عن المنهى وإما للمبالغة فى النهى فإن وقوع الشك فى صدره عليه الصلاة والسلام سبب لا تصافه عليه الصلاة والسلام به والنهى عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهاني ونفى له من أصله بالمرّة كما فى قوله تعالى ولا يجرمكم شأن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرى نك ههنا فإن النهى هناك وارد على المسبب مراداً به النهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه الصلاة والسلام عن تعاطى ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته أى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وأن تقصر فى القيام بحقه فإنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا يندسط له فآمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ لترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به فإن كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعاً وإن كان إيجابه الثانى بواسطة الأول وقوله تعالى (لتنذر به) أى بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وحسباً لتوهم أن مورد الشك هو الإنزال للإنذار وقيل متعلق بالنهى فإن انتفاء الشك فى كونه منزلاً من عنده تعالى موجب للإنذار به قطعاً وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وأنت خير بأنه لا يتأتى التفسير الأول لأن تعليل النهى عن الشك بما ذكر من الإنذار والتذكير مع إيهامه بإمكان صدوره عنه عليه الصلاة والسلام مشعر بأن المنهى عنه ليس محذوراً لذاته بل لإفضائه إلى فوات الإنذار والتذكير لا أقل من الإيذان بأن ذلك معظم غائلته ولاريب فى فساده وأما على التفسير الثانى فإنما يتأتى التعليل بالإنذار ● لا بتذكير المؤمنين إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لا تنفائه وقوله تعالى (وذكرى للمؤمنين) فى حيز النصب يا ضمير فعلة معطوفاً على تنذر أى وتذكر المؤمنين تذكيراً أو الجر عطفاً على محل أن تنذر أى الإنذار والتذكير وقيل مرفوع عطفاً على كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين الإيذان باختصاص الإنذار بالكفرة أى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الإنذار لأنه أهم بحسب المقام (اتبعوا ما أنزل إليكم) كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلويح وأمرهم باتباع ما أمر النبي ﷺ قبله بتبليغه بطريق الإنذار والتذكير وجعله منزلاً إليهم بواسطة إنزاله إليه عليه الصلاة والسلام أثر ذكر ما يصححه من الإنذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى

٧ الأعراف

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾

- (من ربكم) متعلق بأنزل على أن من لا ابتداء الغاية مجازاً أو بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيده لوجوبه وجعل ما أنزل ههنا عاماً للسنة القولية والفعلية بعيد نعم بمعناها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما أنزله الله تعالى اتباعاً له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقليل (ولا تتبعوا من دونه) أي من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من فاعل فعل النهي أي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى (أولياء) من الجن والإنس بأن قبلوا منهم ما يلقونه إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوا عن الحق ويحملواكم على البدع والأهواء الزائفة أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير الموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرىء ولا تتبعوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً وقوله تعالى (قليلاً ما تذكرون) بحذف إحدى التامين وتخفيف الذال وقرىء بتشديدها على إدغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرىء يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلاً نصب إما بما بعدهم على أنه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر أو لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي تذكر أ قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون لا كثيراً حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتركون دين الله تعالى وتنبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى قليلاً ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالأمر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناباتهم لغيرهم بطريق المبالغة وإما نصب على أنه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً تذكركم لكن لا على توجيه النهي إلى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى بل إلى المقيد والمقيد جميعاً وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين (وكم من قرية أهلكناها) ٤ شروع في إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن اتباع دين الله تعالى وإصرارهم على اتباع دين أوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها راجع إلى معنى كم أي كثير من القرى أهلكناها أو في موضع نصب بأهلكناها كما في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر والمراد بإهلاكها إزادة إهلاكها كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة أي أردنا إهلاككم (لجأها) أي لجأ أهلها (بأسنا) أي عذابنا (بياتاً) ٥ مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أي بائتين كقوم لوط (أوم قائلون) عطف عليه أي أوقائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذف الواو من الحال المعطوفة على أختها استئقلاً لاجتماع العاطفين فإن واو الحال خرف عطف قد استعيرت للوصول لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس

فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ ٧ الأعراف

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ٧ الأعراف

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ ٧ الأعراف

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ٧ الأعراف

فإنه غير فصيح وتخصيص الحاليتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفضح وحكايته للسامعين أزر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقبولة مع أن بعض المهلكين بمعزل منهما لاسيما القبولة للإيدان بكال غفلتهم وأمنهم (فما كان دعواهم) أى دعاؤهم واستغاثتهم ربهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا وطاينوا أمارته (إلا أن قالوا) جميعاً (إنا كنا ظالمين) أى إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطالانه تحسراً عليه وندامة وطمعاً فى الخلاص وهيات ولات حين نجاة (فلنسألن الذين أرسل إليهم) بيان لعذابهم الآخرى إثر بيان عذابهم الدنيوى خلا أنه قد تعرض لبيان مبادئ أحوال المكلفين جميعاً لكونه أدخل فى التحويل والفاء لترتيب الأحوال الآخروية على الدنيوية ذكرها حسب ترتبها عليها وجوداً أى لنسألن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسألن المرسلين) عما أجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريرهم والذى نفى بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب (فلنقصن عليهم) أى على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أو عليهم وعلى المرسل إليهم جميعاً ما كانوا عليه (بعلم) أى عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فى حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أعمالهم وأحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها (والوزن) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيضا وجيدها وورديها ورفعها على الابتداء وقوله تعالى (يومئذ) خبره وقوله تعالى (الحق) صفة أى والوزن الحق ثابت يوم إذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق أى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الأعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلاق إظهاراً للمعادلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والشهاد وكما ثبتت فى صحائفهم فيقرءونها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتنقل البطاقة وقيل يوزن الأشخاص لما روى عنه عليه الصلاة والسلام إنه لياتى العظيم السميين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِإِيَابِنَا يُظَلِّمُونَ ﴿٩﴾ ٧ الأعراف

- الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا إن الميزان إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادير الشيء ومقادير أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك لأنها أعراض قد فُتت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى أن الذنوب والمعاصي تنجسم هناك وتنصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من إماء الذهب والفضة إنما يجر جراً في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على سورة اللين كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فوضع في الميزان . إن قيل إن المكلف يوم القيامة إما مؤمن بأنه تعالى حكيم منزّه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الأعمال وكمياتها وإما منكر له فلا يسلم حينئذ أن رجحان بعض الأعمال على بعض الخصوصيات راجعة إلى ذوات تلك الأعمال بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه فالفائدة في الوزن أجيب بأنه ينكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الأشياء بمقائمه على ما هي عليه وبأوصافها وأحوالها في أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لأحد من يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها وإن كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى أعلم (فن ثقلت موازينه) ●
- تنصيص للأحكام المترتبة على الوزن والموازين إما جمع ميزان أو جمع موازن على أن المراد به ماله وزن وقدر وهو الحسنات فإن رجحان أحدهما مستلزم لرجحان الآخر أي فن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته أو أعماله التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يشقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بشقل الميزان ● والجمعية باعتبار معناه كما أن جمع الموازين لذلك وأما ضمير موازينه فراجع إليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقته وبعد منزلتهم في الفضل والشرف (هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب وهم إما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحون الدلالة على أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم (ومن خفت موازينه) أي موازين أعماله أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي أعماله السيئة (فأولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفاً في نظيره وهو مبتدأ خبره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنْ

السَّاجِدِينَ ﴿٨﴾ ٧ الأعراف

- (الذين خسروا أنفسهم) أى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد أيدت بالآيات البينة وقوله
- تعالى (بما كانوا بآياتنا يظلمون) متعلق بخسر وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين (ولقد مكناكم فى الأرض) لما أمر الله سبحانه أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيباً فى الامتثال بالأمر والهى إثر ترهيب أى جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً
- أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) المعاش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه فى قراءته لإخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزة تشبيهاً له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أى أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً يعيشون بها وكل واحد من الطرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة له وتقديماً على المفعول مع أن حقهما التأخير عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم منبثاً عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأما تقديم اللام على فلما أنه المنبث عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسايرة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعدي إلى مفعولين ثانيهما أحد الطرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر إما لغو متعلق بالجعل أو بالمحذوف الواقع حالاً من المفعول الأول كما مروا أنت خير بأنه لا فائدة معتد بها فى الإخبار بجعل المعاش حاصله لهم أو حاصلة فى الأرض وقوله تعالى (قليلًا ما تشكرون) أى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر فى تفسير قوله تعالى قليلًا ما تذكرون
- (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التمكن فى الأرض إما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيدان بأن كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعى ربما تودى إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة البقرة وتصدير المجلتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال العناية بهما ونسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتماً توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيذاً لوجوب الشكر عليهم

بالرّض إلى أن لهم حظاً من خلقه عليه السلام وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شكلته فكأنهم الذي تعلق به خلقه وتصويره أى خلقنا أبائكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه الصلاة والسلام وتسويته ونفخ الروح فيه أمر منجز غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بنى إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقه بالإخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضاً من جملة ما ينط به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما أن عدم ذكر الأمر المعلق عند حكاية الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيه به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيه المقام ليست بميزة في الكلام العزيز فلعله قد ألقى إلى الملائكة عليهم السلام أولاً جميع ما يتوقف عليه الأمر المنجز إجمالاً بأن قيل مثلاً إني خالق بشرأ من طين وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقوه فسواه فنفخ فيه من روحي فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إثر نفخ الروح إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأبده الله تعالى بتعليم الأسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وإيداناً بوقته وقد حكى بعض الأمور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله إذ يخضعون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يخضعون أى بكلامهم عند اختصاصهم ولا ريب في أن المراد بالملا الأعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين وباختصاصهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البداية وقوع الاختصاص المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلاً من الأمر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصاص بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس وطرده من البين لما عرفت من أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين والله تعالى أعلم (فسجدوا) أى الملائكة عليهم السلام بعد الأمر من غير تلثم (إلا إبليس) استثناء متصل

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ٧ الأعراف

- لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بالوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى (لم يكن من الساجدين) أي من سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
- ١٢ بما بعده أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين (قال) استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فإذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير (ما منعك أن لا تسجد) أي أن تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب منهية على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف إلى خلافه فالمعنى ما صرفك إلى أن لا تسجد (إذ أمرتك) قيل فيه دلالة على أن مطلق الأمر للوجوب والفور وفي سورة الحجر بإبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشماراً بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه (قال) استئناف كما سبق مبنى على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كأنه قيل فإذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال (أنا خير منه) متجانفاً عن تطبيق جوابه على السؤال بأن يقول منعني كذا مدعياً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعراً بأن من شأنه هذا لا يحسن أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن أن يقوم به كما ينبغي عنه مافي سورة الحجر من قوله لم أكن لا أسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون فهو أول من أسس ببيان التكبر واختراع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملك الأمر ولذلك أمر الملائكة بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وأن له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق البشر إلى الطين والشياطين إلى النار باعتبار الجزء الغالب .

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ٧ الأعراف

٧ الأعراف

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾

٧ الأعراف

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

- (قال) استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى (فاهبط منها) لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من مخالفة ١٣
الأمر وتعليقه بالأباطيل وإصراره على ذلك أي فاهبط من الجنة والإضمار قبل ذكرها للشهرة كونه من
سكانها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين
فإن الخروج من زمرة هم هبوط وأي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها وأما ما قيل من أن المراد الهبوط
من السماء فيرده أن وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد أن يحمل على أحد الوجهين
قطعا وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصري وقوله
تعالى (فما يكون لك) أي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك (أن تتكبر فيها) أي في الجنة أوفى ●
زمرة الملائكة تعليل الأمر بالهبوط فإن عدم صحة أن يتكبر فيها علة للأمر المذكور فإنها مكان المطيعين
الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه تعالى
إنما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى (فاخرج) تأكيد الأمر بالهبوط متفرع على علته وقوله ●
تعالى (إنك من الصاغرين) تعليل للأمر بالخروج مشعر بأنه لتكبره أي من الأذلاء وأهل الهوان على ●
الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك
الله ومن تكبر وعدا طوره وهسه الله إلى الأرض (قال) استئناف كما مر مبنى على - والانشاء مما قبله ١٤
كانه قيل فإذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقل قال (أنظرنى) أي أمهلنى ولا تمتنى (إلى يوم
يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وهو وقت النفخة الثانية وأراد اللعين بذلك أن يجد فسمة من
إغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث (قال) استئناف كما سلف (إليك من ١٥
المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله لآخرين على وجه يشعر بأن السائل
تبع لهم في ذلك صريح في أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم ألا لا إنشاء لإنظار خاص به لإجابة لدعائه وأن
استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملة من لا تأخير العقوبة كما قيل أي إنك من
جملة الذين أخرت آجالهم ألا حسبا تقتضيه الحكمة التكوينية إلى وقت فناء غير ما استثناء الله تعالى
من الخلائق وهو النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذى هو المسئول وقد ترك التوقيت للإيجاز ثقة بما
وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلا على ما ذكر
فيهما بقوله عز وجل رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وفي
إنظاره ابتلاء للمباد وتعرض للثواب إن قلت لا ريب في أن الكلام المحكى له عند صدوره عن المتكلم حالة
٢٨٠ - أبو السمود ج ٢

مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو أدخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البنية فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى إن اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه إذا تم هذا فنقول لا يخفى أن استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير فقامه إن اقتضى إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرده على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فأظنني حسبها حكى عنه في السورتين فاحكى ههنا يكون بمعدل من المطابقة لمقتضى الحال فعلا عن العروج إلى معارج الإعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرود والرجم وكذا مقام الإنظار مقتض لترتيب الإخبار بالإنظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تنك السورتين وفي كل واحد من مقامى الحكاية والمحكى جميعاً حظه وأما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الإخبار بالاستنظار والإنظار سبقت الحكاية على نهج الإعجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند مخاطبة والحوار إل قلت فإذا لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه ولا مطابقاً لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيد وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البنية بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في أصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كصفات وخصوصات لم يراعها المتكلم أصلاً ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى ألا يرى أن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً وإلا لا يمكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما إذا كان المحكى كلاماً وأما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنشوه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الأحوال فإن ملاك الأمر هو مقام الحكاية وأما مقام وقوع المحكى فإن كان مقتضاه موافقاً لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فإن مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضياً لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعى حق المقامين معاً وأما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الإعجاز روعى جانبه ألا يرى أن المخاطب المنكر إذا كان ممن لا يفهم إلا أصل المعنى وجب على المتكلم أن يجرّد كلامه عن النأ كيدوسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لئلا يجرّد ذلك يجب أن يقصد معنى زائداً يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فإذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع إفضائها إلى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرّة فاطنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا أخر يرتقى إلى رتبة الإعجاز لا سيما إذا وفي حق مقام وقوع المحكى في السورتين الكريمتين وكان هذا الإعجاز مبدياً عليه وثقة به (قال) استئنافاً كأمثاله (فبما أغويتني) الباء للقسمة كما في قوله تعالى

ثُمَّ لَا تَبْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

٧ الأعراف

وَيَتَشَادَمُ أَكْثَرُكُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

٧ الأعراف

- فبعض تك لا غوينهم فإن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته عز وجل وحكم من أحكام سلطانه تعالى فقال
الإقسام بهما واحداً فعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الإنظار وما مصدرية أى فأقسم يا غواثك إياي (لأقعدن لهم) أول للشيئية على أن الباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا بقوله لأقعدن لهم كافي الوجه الأول فإن اللام تصد عن ذلك أى فبسبب إغواثك
إياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته ترصداً بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة (صراطك
المستقيم) الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في
قوله [كما غسل الطريق الثعلب] وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطان
(ثم لا تبنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) أى من الجهات الأربع التى يعتاد هجرهم ١٧
العدو منها مثل قصده إياهم للتسويل والإضلال من أى وجه يتيسر بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك
لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من
جهة الدنيا وعن أيمنهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسبائهم وقيل من بين أيديهم من حيث يعلمون
ويقدر على التحرز منه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدر على التحرز عنه وعن أيمنهم وعن شمائلهم من
حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم
ذلك وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة
فإن الآتى منهما كالمحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه (ولا تجد أكثرهم
شاكرين) أى مطيعين وإنما قاله ظناً لقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى منهم مبدأ الشر
متعدداً ومبدأ الخير واحداً وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام (قال) استئناف كما سلف سراراً (أخرج
منها) أى من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة (مذموماً) أى مذموماً من ذامه إذا ذمه وقرئ
مذموماً كسول فى مسئول أو كسول فى مكيل من ذامه يذمه ذمماً (مدحوراً) مطروداً (لمن تبعك منهم)
اللام موطنه للقسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
تبعك بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لأخرج ولأملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب (ويا آدم) أى وقلنا كما وقع فى سورة البقرة ١٩

فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾

٧ الأعراف

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

٧ الأعراف

فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

٧ الأعراف

- وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلق الأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام بالإيدان بأصانته في تلقى الوحى وتعاطى الأمور به (اسكن أنت وزوجك الجنة) هو من السكن الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والإقامة لا من السكون الذى هو ضد الحركة وأنت ضمير أكده المستكن لبصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى (فكلام من حيث شئتما) لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من أن ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم النشر يف والإيدان بقساوئيهما في مباشرة الأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام في حق الكل بخلاف السكن فإنها تابعة له فيه ولتعليق النهى بها صريحا في قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) وقرىء هذى وهو الأصل لتصغيره على ذبا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) إما جزم على العطف أو نصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) أى فعل الوسوسة لأجلهما أو تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهى في الأصل الصوت الخفى كالهمهمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان كيفية وسوسه في سورة البقرة (ليبدى لهما) أى ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع (ماوروى عنهما من سوء آتئهما) ما غطى وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمرمة همزة في المشهورة كما قلبت في أو يصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرىء سواتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركاتها على الواو وقلبا واو وإدغام الواو الساكنة فيها (وقال) عطف على وسوس بطريق البيان (مانها كما يبكا عن هذه الشجرة) أى عن أكلها (إلا أن تكونا ملكين) أى إلا كراهة أن تكونا ملكين (أو تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية الملائكة عليهم السلام لما أن من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه (وقاسمهما إني لكألمن الناصحين) أى أقسم لهما وصيغة المغالبة للبالغة
- ٢١ وقيل أقسما له بالقبول وقيل قال له أنقسم بالله إنك لمن الناصحين وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما)
- ٢٢

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ٧ الأعراف

قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ٧ الأعراف

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ٧ الأعراف

- فترى لها على الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية فإن التدلية والإدلاء
- لإعمال الشيء من الأعلى إلى الأسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحداً لا يقسم بالله كاذباً ●
- أو ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) أى فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها ●
- أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية قهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نوراً أو ظمراً (وطافقا بخصفان) طفق من أفعال الشروع والتلبس كأنه أخذ وجعل وأنشأ وعلق وهب وانبرى أى أخذاً يرقدان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما ●
- من ورق الجنة) قيل كان ذلك ورق التين وقرى بخصفان من أخصف أى بخصفان أنفسهما وبخصفان من النخصيف وبخصفان أصله بخصفان (وناداهما ربهما) مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ (ألم أنهما) ●
- وهو تفسير للنداء فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف أى وقال أو قائل ألم أنهما (عن تلكا ●
- الشجرة) ما في اسم الإشارة من معنى البعد لما أنه إشارة إلى الشجرة التي نهى عن قربانها (وأقل لك) عطف ●
- على أمهما أى ألم أقل لك (إن الشيطان لكما عدو مبين) وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما أن ●
- الأول عتاب على مخالفة النهى قيل فيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل أو بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكى في سورة طه بقوله تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك الآية . روى أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال ●
- بلى وعزت لك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يخالف بك كاذباً قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدأفاً هبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث لحرث وسقى وحصد ودرس وذرى ويعجن ●
- وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أى ضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة (وإن لم تغفر لنا) ٢٣
- ذلك (وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهو دليل على أن الصغار يعاقب عليهما إن لم تغفر وقال المعتزلة ●
- لا يجوز المعاقبة عليهما مع اجتناب الكبار ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقرين في استعظام الصغير
- من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات (قال) استئناف كما مر مراراً (أهبطوا) خطاب لآدم ٢٤
- وحوا وذريتهما أولهما وإلا بليس كرراً لا أمر له تبعاً لهما ليعلم أنهم قرناه أبداً أو أخبرهما قال لهم مفراً كما
- في قوله تعالى يأها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع
- (بعضكم لبعض عدو) جملة حالية من فاعل أهبطوا أى متعادين (ولكم في الأرض مستقر) أى استقرار ●
- أو موضع استقرار (ومتاع) أى تمتع وانتفاع (إلى حين) هو حين انقضاء آجالكم (قال) أعيد الاستئناف ٢٥
- إما للإيدان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون إثر قوله تعالى قال ومن

يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِيْ سَوْءَ تِكْرٍ وَّرِيْشًا وَلِبَاسٌ اَلْتَقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ
ءَايٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢٦﴾

٧ الأعراف

يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبُوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْءَ تِيْمًا اِنَّهٗ يَرِيْكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا
يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾

٧ الأعراف

- يقطع من رحمة ربه إلا الضالون وقوله تعالى قال أرايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال أجد
● لمن خلقت طيناً وإما لإظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى (فيها تحبون وفيها تموتون ومنها
٢٦ تخرجون) أي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يابني آدم)
● خطاب للباس كافة وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره (قد أنزلنا عليكم لباساً) أي خلقناه لكم بتدبيرات
● سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره وأنزل لكم من الأنعام الخ وقوله تعالى وأنزلنا الحديد (يوارى سوا أنكم)
التي قصد إلبس إبداءها من أوبىكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق وأنتم مستغنون عن ذلك وروى
أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عرايا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فزلت ولعل ذكر
قصة آدم عليه السلام حينئذ للإيدان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من قبل الشيطان
● وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم (وريشاً) ولباساً تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه
● تريش الرجل أي تمول وقرى ريشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) أي خشية الله
● تعالى وقيل الإيمان وقيل السمات الحسن وقيل لباس الحرب ورفع بالابتداء خبره جملة (ذلك خير) أو
خبر وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرى ولباس التقوى بالنصب عطفاً على
● لباساً (ذلك) أي إنزال اللباس (من آيات الله) دالة على عظيم فضله وعميم رحمته (لعلمهم يذكرون)
٢٧ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابني آدم) تكرير النداء للإيدان بكال الاعتناء
● بمضمون ما صدر به وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه (لا يفتننكم الشيطان) أي لا يوقعنكم في الفتنة
● والجنة بأن يمنعكم من دخول الجنة (كما أخرج أوبىكم من الجنة) نعت لمصدر محذوف أي لا يفتننكم فتنة
مثل إخراج أوبىكم وقد جوز أن يكون التقدير لا يخرج جنكم بفتنته إخراجاً مثل إخراج أوبىكم والنهي
وإن كان متوجهاً إلى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه إلى المخاطبين كما في قولك لا أرايتك ههنا وقد مر
● تحقيقه مراراً (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوا أنهما) حال من أوبىكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزاع إليه
● للنسيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله) أي جنوده وذريته استئناف
● لتعليل النهي وتأكيده التحذير منه (من حيث لا ترونهم) من لا ابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء
الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ورويتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

٧ الأعراف

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

٧ الأعراف

- لهم مطلقاً واستحالة تعلمهم لنا (إنا جعلنا الشياطين) جعل قبيله من جملته لجمع (أولياء الذين لا يؤمنون) أى جعلناهم بما وجدنا بينهم من المناسبة أو يارسا لهم عليهم وتمكينهم من لغوهم وحملهم على ما-ولوا لهم أولياء أى قرناء مسلمين عليهم والجملة تعليل آخر لانهى وتأكيد للتحذير إثر تحذير (وإذا فعلوا فاحشة) ٢٨ جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعل المتناهية في القبح والتناء لانها مجرأة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية والمراد بها عبادة الأصنام وكشف المورة في الطراف ونحوهما (قالوا) جراباً للناهين عنها (وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) محتجين بأمرين تفادى الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للإبذان منهم بأن آباءهم إنما كانوا يفلونها بأمر الله تعالى بها على أن ضمير أمرنا لهم ولا باتهم لخبثت يظهر وجه الإعراض عن الأول في رد مقالهم بقوله تعالى (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال والحث على مرضى الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلاً والعقاب آجلاً على فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستقصه العقل المستقيم وقبلهما جوابا لسؤالين مترتين كأنه قيل لما فعلوا لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل بخلافه لا مطلقاً (أتقولون على الله ما لا تعلمون) من تمام القول بالمأمر به والهمزة لأنكار الواقع واستقبحه وتوجيه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في إنكار تلك الصورة فإن إسناد ما لم يعلم صدوره عنه تعالى إليه تعالى إذا كان منكر أفاستناد ما علم عدم صدوره عنه إليه عز وجل أشد قبحاً وأحق بالإنكار (قل) ٢٩ أمر ربى بالقسط بيان للمأمر به إثر نفي ما أسند أمره إليه تعالى من الأمور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ. المنجاني عن طرفي الإفراط والتفريط (واقموا وجوهكم) وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقموا وجوهكم نحو القبلة (عند كل مسجد) في كل وقت وسجود أو مكان - سجود وهو الصلاة أو في أى مسجد حضرتم الصلاة عنده ولا تؤخروا حتى تعودوا إلى مساكنكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة (كما بدأكم) أى أنشأكم ابتداء (تعودون) إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالإبداة تقريراً لمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل حفاة عراة غر لا تعودون إليه وقبل كما بدأكم مؤمنًا وكافرًا يعيدكم

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

٧ الأعراف

يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

٧ الأعراف

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

٧ الأعراف

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

٧ الأعراف

٣٠ (فريقاً هدى) بأن وفقهم للإيمان (وفريقاً حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق التابع للشبهة

● المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أى وخذل فريقاً (إنهم اتخذوا الشياطين

● أولياء من دون الله) تعليل لخذلانه أو تحقيق اضلالهم (ويحسبون أنهم مهتدون) فيه دلالة على أن

٣١ الكافر المخطئ والمعادن سواء في استحقاق الذم وللإفراق أن يحمله على المقصر في النظر (بابى آدم خذوا

● زينتكم) أى ثيابكم لمواراة عورتكم (عند كل مسجد) أى طواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل

● أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة (وكلوا واشربوا) بما طاب لكم .

● روى أن نبي عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم

● فهم المسلمون بمثله فزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعدى إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام

● والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف

● وخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (لأنه

٣٢ لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وما يتجمل به (التي أخرج

● لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدرع (والطيبات من

● الرزق) أى المستلذات من المأكول والمشرب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع

● التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من إنكارى (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) بالأصالة والكفرة

● وإن شاركهم فيها بالتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابه على الحالية وقرئ بالرفع

● على أنه خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الأحكام

٣٣ لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة (قل إنما حرم ربى الفواحش) أى ما تفاحش قبحه من

● الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج (ما ظهر منها وما بطن) بدل من الفواحش أى جهرها وسرها (والإثم)

● أى ما يوجب الإثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر (والبغى) أى الظلم أو الكبر أو فرد بالذكر

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٤﴾
يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ يَقْضُونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾

٧ الأعراف

- للبالبغة في الزجر عنه (بغير الحق) متعلق بالبغي مؤكداً له معنى (وأن تشركو بالله ما لم ينزل به سلطاناً)
- تهكم بالمشركون وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره (ولكل أمة) من الأمم المملوكة (أجل) حد معين من الزمان مضروب ٣٤ لمهلكهم (فإذا جاء أجالهم) إن جمل الضمير للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل مضافاً إليه لإفادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب الأجل بالإضافة عمر ما يفيد معنى الجمية كأنه قيل إذا جاءهم آجالهم بأن يجيء كل واحدة من تلك الأمم أجلها الخاص بها وإن جمل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى الضمير لإفادة اكتمال التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها (لا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلاً وصيغة الاستفعال للإشعار بتعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون
- ليكن لا لبيان انتفاء التقديم مع إمكانه في نفسه كالتأخير بل للبالبغة في انتفاء التأخير بنظمه في سلك المستحيل عقلاً كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبه له رأساً قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها إلى حضور الموت إيذاناً بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالجمية الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كجىء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذلك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب وأما ما في قوله تعالى ما تنسب من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبي عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فلا هم هناك بيان انتفاء السبق (بابني آدم) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اهتماماً بشأن ما في حيزه (إما ٣٥ يأتبكم) هي إن الشرطية ضمت إليهما لما لنا كيد معنى الشرط ولذلك لزم فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر حائز لا واجب عقلاً (رسل منكم) الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسول
- أي كائنون من جنسكم وقوله (يقضون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول أي يبينون لكم أحكامي
- وشرائعي وقوله تعالى (فمن آتق وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) جملة شرطية وقعت جواباً

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ٧ الأعراف
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايِنِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا
 عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ٧ الأعراف

- ٣٦ للشرط أى فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى (والذين كذبوا
 بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى والذين كذبوا منكم بآياتنا وإيراد
 الاتقاء فى الأول للإبذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه
 ٣٧ وإدخال الغاء فى الجزء الأول دون الثانى للبالغة فى الوعد والمساحة فى الوعيد (فمن أظلم ممن افترى على
 الله كذباً أو كذب بآياته) أى تقول عليه تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أى هو أظلم من كل ظالم وقد مر
 ● تحقيقه مراراً (أولئك) إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن أفراد الفعلين باعتبار لفظه وما
 فيه من معنى البعد للإبذان بهما في سوء الحال أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب
 ● (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار وقيل الكتاب اللوح أى ما أنبت
 لهم فيه وأياً ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أى ينالهم نصيبهم كائناتاً من
 الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما
 كتب لمن يفترى على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
 ● وقوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (يتوفونهم) أى حال كونهم متوفين
 لأرواحهم يؤيد الأول فإن حتى وإن كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن يكون
 نصيبهم مما يتمنون بها إلى حين وفاتهم أى ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن يأتيتهم ملائكة الموت فإذا
 ● جاءتهم (قالوا) لهم (أينما كنتم تدعون من دون الله) أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت
 ● مرصولة بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال
 ● ناساً من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (ضلوا عنا) أى غابوا عنا أى لا ندرى
 ● مكانهم (وشهدوا على أنفسهم) عطف على قالوا أى اعترفوا على أنفسهم (أنهم كانوا) أى فى الدنيا
 ● (كافرين) عابدين لما لا يستحق العبادة أصلاً حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله أريد بوقت مجيء
 الرسل وحال التوفى الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفى إلى انتهائه يوم الجزاء بآء على تحقق المجيء
 والتوفى فى كل ذلك الزمان بقاء وإن كان حدوثهما فى أوله فقط أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث
 والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبى عنه قوله يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ من مات فقد قامت قيامته وإلا
 فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

٧ الأعراف

وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَحْمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

٧ الأعراف

- والنقاول إنما يكون بعد البعث لا محالة (قال) أى الله عز وجل يوم القيامة بالذات أو بواسطة الملك ٣٨
- (ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم) أى كائنين من جملة أمم مصابين لهم (من الجن والإنس)
 - يعنى كفار الأمم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بقوله ادخلوا (كلما دخلت أمة) من الأمم
 - السابقة واللاحقة فيها (لعنت أختها) التى ضلت بالافتدائها (حتى إذا آداركوا فيها جميعاً) أى تداركوا
 - وتلاحقوا فى النار (قالت أخراهم) دخولاً أو منزلة وهم الاتباع (لا ولاهم) أى لأجلهم إذ الخطاب
 - مع الله تعالى لا معهم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لنا الضلال فافتدنا بهم (فأتهم عذاباً ضعفاً) أى
 - مضاعفاً (من النار) لأنهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فلما ذكر من الضلال والإضلال
 - وأما الاتباع فلكفرهم وتقليدكم (ولكن لا تعلمون) أى مالكم وما لسل فریق من العذاب وقرىء
 - بالياء (وقالت أولاهم) أى مخاطبين (لا أخراهم) حين سمعوا جواب الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا
 - ٣٩ من فضل) أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا ولنا وإياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب
 - (فذوقوا العذاب) أى العذاب المعهود المضاعف (بما كنتم تكسبون) من قول القادة (إن الذين
 - ٤٠ كذبوا بآياتنا) مع وضوحها (واستكبروا عنها) أى عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها (لا تفتح لهم
 - أبواب السماء) أى لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تخرج إليهم أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين
 - وأعمالهم وأرواحهم والناء فى تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرىء بالتخفيف وبالتخفيف
 - والياء وقرىء على البناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل الآيات والياء على أنه لله تعالى (ولا
 - يدخلون الجنة حتى يبلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما علم فى ضيق
 - المسلك وهو ثقبه الإبرة وفى كون الجمل مالىس من شأنه الولوج فى سم الإبرة مبالغة فى الاستبعاد وقرىء
 - الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالخيل وهى الخيل الغليظ من القنب وقيل
 - جمل السفينة وسم بالضم والكسر وقرىء فى سم الخياط وهو الخياط أى ما يخاط به كالخزام والمحزم (وكذلك)
 - أى ومثل ذلك الجزء الفظيع (نجزي المجرمين) أى جنس المجرمين وهم داخلون فى زميرتهم دخولاً أو بآياً

لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
يَخْلُدُونَ ﴿٤٢﴾

٧ الأعراف

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا
كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٧ الأعراف

- ٤١ (لهم من جهنم مهاد) أى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية (ومن فوقهم غواش) أى أغطية
والتنوين للبدل عن الإعلال عند سيوييه وللصرف عند غيره وقرىء غواش على إلغاء المحذوف كما فى
● قوله تعالى وله الجوار المنشآت (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الشديد (نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذنوب الوصفين القبيحين
ونذكر الجرم مع الحرمان من دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على أنه أعظم الجرائم والجرائر
٤٢ (والذين آمنوا) أى بآياتنا أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا أولياً وقوله تعالى
● (وعملوا الصالحات) أى الأعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها (لا تكلف
● نفساً إلا وسعها) اعتراض وسط بين المبتدأ الذى هو الموصول والخبر الذى هو جملة (أولئك أصحاب
الجنة) للترغيب فى اكتساب ما يؤدى إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرىء لا تكلف
نفساً وأعم الإشارة بمبتدأ وأصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول أو اسم الإشارة بدل من المبتدأ
الأول الذى هو الموصول والخبر أصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل
● والشرف (هم فيها خالدون) حال من أصحاب الجنة وقد جوز كونه حالاً من الجنة لاشتراكه على ضميرها
والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو خبر ثان لا وثلك على رأى من جوزوه وفيها متعلق بخالدون
٤٣ (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نظهرها منه حتى لا يكون بينهم
إلا التواد وصيغة الماضى الإيذان بتحقيقه وتقرره وعن على رضى الله تعالى عنه إنى لا أرجوا أن أكون
● أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الأنهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من
الضمير فى صدورهم والعامل إما معنى الإضافة وإما العامل فى المضاف أو حال من فاعل نزعنا والعامل
● نزعنا وقيل هى مستأنفة للإخبار عن صفة أحوالهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى لما جزاؤه هذا
● (وما كنا لنهتدى) أى لهذا المطلب الأعلى أو لمطلب من المطالب التى هذا من جهلتنا (لولا أن هدانا الله)
ووقفنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى وهدانا الثانى

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

٧ الأعراف

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴿٤٥﴾

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

٧ الأعراف

- محذوف لظهور المراد أو لإرادة التعميم كما أشير إليه والجملة مستأنفة أو حالية وقرئ ما كنا لنهتدى الخ بغير واو على أنها مبينة ومفسرة للأولى (لقد جاءت رسل ربنا) جواب قسم مقدر قالوه تبجحاً واعتباطاً ● بما نالوه وابتهاجا بإيمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى (بالحق) إما للتعدينية فهي متعلقة بجاءت أو لللابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل أى والله لقد جاءوا بالحق أو لقد جاءوا ملتبسين بالحق (ونودوا) أى نادتهم الملائكة عليهم السلام (أن تلکم الجنة) أن مفسرة لما في النداء من معنى القول أو مخففة من أن وضمير الشأن محذوف ومعنى البعد في اسم الإشارة إما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد وإما لرفع منزلتها وبعد رتبته وإما للإشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا (أورتتموها بما كنتم تعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة أى أعطيتمرها بسبب أعمالكم أو بمقابل أعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الإشارة على أن تلکم الجنة مبتدأ وخبر أو الجنة صفة والخبر أورتتموها (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجحاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيراً لهم ٤٤ ● لا لجرود الإخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) حيث نلنا هذا المال الجليل (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) حذف المفعول من الفعل الثانى إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لأن ما ساءهم من الموعد لم يكن بأسره مخصوصاً بهم وعداً كالبعث والحساب ولعیم أهل الجنة فإنهم قد وجدوا جميع ذلك حقاً وإن لم يكن وعده مخصوصاً بهم (قالوا نعم) ● أى وجدناه حقاً وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) أى بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) بأن المخففة أو المفسرة وقرئ بأن المشددة ونصب لعنة وقرئ ● إن بكسر الهمزة على إرادة القول أو لإجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة ٤٥ ● مقررة للظالمين أوقف على الذم أو نصب عليه (ويبغونها عوجاً) أى يبغونها لها عوجاً بأن يصفوها بالزيف والميل عن الحق وهو أبعد شئ منهما والعوج بالكسر فى المعانى والأعيان ما لم يكن منتصباً وبالفتح ما كان فى المنتصب كالرُح والحائط (وهم بالآخرة كافرون) غير معترفین (وبينهما حجاب) ٤٦ ● أى بين الفريقين كقوله تعالى فضرَبَ بينهم بسور أو بين الجنة والنار لينع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى (وعلى الأعراف) أى على أعراف الحجاب وأعالیه وهو السور المضروب بينهما جمع ●

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ٧ الأعراف
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ٧ الأعراف
أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخْرُفُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ٧ الأعراف

- عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه بظهوره أعرف من غيره (رجال)
- طائفة من الموحدین قصرُوا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والاختيار والعلماء من المؤمنين أو ملائكة يرون في صور الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
- فعل من سام إليه إذا أرسلها في المرعى معللة أو من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أو بتعليم الملائكة (ونادوا) أي رجال الأعراف (أصحاب الجنة) حين رأوهم (أن سلام عليكم) بطريق الدعاء والتحية أو بطريق الإخبار بنجاتهم من المكارة (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا أو من مفعوله وقوله تعالى (وهم يطعمون) حال من فاعل يدخلوها أي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له أي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون (وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) أي إلى جهنم وفي عدم التعرض لتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل الثاني بخلافه (قالوا)
- متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أي في النار وفي وصفهم بالظلم دون مأم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأن المحذور عندهم ليس نفي العذاب فقط بل مع ما يوجب به ويؤدي إليه من الظلم (ونادى أصحاب الأعراف) كرر ذكرهم مع كفاية الإضمار لزيادة التقرير (رجالاً) من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين أصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم)
- الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا (قالوا) بدل من نادى (ما أغنى عنكم) ما لا الاستفهامية للتوبيخ والتفريع أو نافية (جمعكم) أي أتباعكم وأشياعكم أو جمعكم للدال (وما كنتم تستكبرون) ما مصدرية أي ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق أو على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكبرون من الكثرة أي من الأموال والجنود (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تنمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحاً أنهم لا يدخلون الجنة أو يفعلون ما ينبغي عن ذلك كما في قوله تعالى أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (ادخلوا الجنة) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى أولئك المذكورين أي ادخلوا الجنة على رغم

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

٧ الأعراف

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسُّهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ

هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

٧ الأعراف

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

٧ الأعراف

- أنوفهم (لاخوف عليكم) بعد هذا (ولا أنتم تحزنون) أو قيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والأظهر أن لا يكون المراد بأصحاب الأعراف المقصرين في العمل لأن هذه المقالات وما تنفرع هي عليه من المعرفة لا يطبق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عبروا أصحاب النار أفسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى أو الملائكة رداً عليهم أهؤلاء هم الذين ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولاً في حقهم لاخوف عليكم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعد أن استقر بكل من الفريقين ٥٠ القرار واطمأنت به الدار (أن أفيضوا علينا من الماء) أي صبروه وفيه دلالة على أن الجنة فوق النار (أو بما رزقكم الله) من سائر الاثربة ليلائم الإضافة أو من الاطعمة على أن الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قالوا فقيل قالوا (إن الله حرّمهما على الكافرين) أي منعهما منهم منعاً كلياً فلا سبيل إلى ذلك قطعاً (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) كتحريم البحيرة ٥١ والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن يصرف إليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب (وغرّتهم الحياة الدنيا) بزخارفها العاجلة (فالיום ننسّاهم) نفعل بهم ما يفعل الناسى بالنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً والفاء في فالיום فصيحة وقوله تعالى (كما نسوا لقاء يومهم هذا) في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ننسّاهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى (وما كانوا بآياتنا يمجحدون) عطف على مانسوا أي وكما كانوا منكبين بأنهم عند الله تعالى إنكاراً مستمراً (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) أي ٥٢ بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس أو للأعاصير منهم والكتاب هو القرآن (على علم) حال من فاعل فصلناه أي عالين بوجه تفصيله حتى جاء حكماً أو من مفعوله أي مشتملاً على علم كثير وقرىء فصلناه أي على سائر الكتب عالين بفضل (هدى ورحمة) حال من المفعول (لقوم يؤمنون) لأنهم المغتصمون لأنارهم المقتبسون من أنواره .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

٧ الأعراف

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

٧ الأعراف

- ٥٣ (هل ينظرون إلا تأويله) أى ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يتول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه من قبل) أى تركوه ترك المنسى من قبل (إنيان تأويله) (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين أنهم قد جاءوا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم ويدفعوا عنا العذاب (أو نرد) أى هل نرد إلى الدنيا وقرىء بالنصب عطفاً على فيشفعوا أو لأن أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المستعمل أحد الأمرين إما الشفاعة لدفع العذاب أو الرد إلى الدنيا وعلى الثانى أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد هو الرد (فنعمل) بالنصب على أنه جواب الاستفهام الثانى وقرىء بالرفع أى فنحن نعمل (غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا (قد خسروا أنفسهم) بصرف أعمارهم التى هى رأس ما لهم إلى الكفر والمعاصى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) شروع فى بيان مبدأ الفطرة إثر بيان مبادى الكفرة أى إن خالقكم ومالككم الذى خلق الأجرام العلوية والسفلية فى ستة أوقات كقوله تعالى ومن يومئذ دبره أو فى مقدار ستة أيام فإن المتعارف أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن هى حينئذ وفى خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إبداءها دفعة دليل على الاختيار
- ٥٤ ● واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الأمور (ثم استوى على العرش) أى استوى أمره واستولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) أى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به أو لأن اللفظ يحتملها ولذلك قرىء بنصب الليل ورفع النهار وقرىء بالتشديد ● الدلالة على التكرار (يطلبه حثيثاً) أى يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفضل بينهما شئ، والحديث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل أو من المفعول بمعنى حاثاً أو محثوئاً (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وأمره يقرىء كلها بالرفع على

٧ الأعراف

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

٧ الأعراف

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

- الابتداء والخبر (ألا له الخلق والأمر) فإنه الموجد للكل والمتصرف فيه على الإطلاق (تبارك الله رب العالمين) أى تعالى بالوحدانية فى الألوهية وأعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله تعالى أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فين لهم أن المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لأنه الذى له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد إلى الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها لصور نوعية متباينة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله تعالى وخلق الأرض فى يومين أى مافى جهة السفلى فى يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً كما قال بمد قوله تعالى خلق الأرض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام أى مع اليومين الأولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمداً إلى تديره كالمملك الجالس على سريرته فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والأيام ثم صرح بما هو فذلك التقرير ونتيجته فقال تعالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم أمر بأن يدعوه مخلصين متذللين فقال (ادعوا ربكم) الذى قد عرفتم شئونه الجليلة ٥٥
- (تضرعاً وخفية) أى ذوى تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص (إنه لا يحب المعتدين) أى لا يحب دعاء المجاوزين لما أمروا به فى كل شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولاً أولاً وقد نبه به على أن الداعى يجب أن لا يطلب مالا يلبق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والإسهاب فيه وعن النبى ﷺ سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا فى الأرض) بالكفر والمعاصى (بعد إصلاحها) يبعث الأنبياء عليهم السلام ٥٦
- وشرع الأحكام (وادعوه خوفاً وطمعاً) أى ذوى خوف نظراً إلى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظراً إلى سعة رحمته ووفور فضله وإحسانه (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فى كل شئ ومن الإحسان فى الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة لمخدوف أى أمر قريب أو على تشبيهه بفعل الذى هو بمعنى مفعول أو الذى هو مصدر كالنقيض والصهيل أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره أو لا كتسا به التذكير من المضاف إليه كما أن المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه .

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ جَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَتْهُ لِبَلَدٍ
مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٧ الأعراف

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ ۖ وَيَاذَنْ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

٧ الأعراف

- ٥٧ (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على الجملة السابقة وقرئ (بشراً) تخفيف بشر جمع بشير أى
مبشرات وقرئ بفتح الباء على أنه مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وقرئ نشرأ بالنون المضمومة
جمع نشور أى ناشرات ونشرأ على أنه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال
والنشر متقاربان (بين يدي رحمة) قدام رحمة التى هى المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعها
والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى إذا أقلت) أى حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشيء يستقله
(سحاباً ثقالاً) بالما جمع لأنه بمعنى السحاب (سقناه) أى السحاب وإفراد الضمير لإفراد اللفظ (بلد
ميت) أى لاجله ولمنفعة أو لإحيائه أو لسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به الماء) أى بالبلد أو بالسحاب أو
بالسوق أو بالريح والتذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تعالى (فأخرجنا به) ويحتمل أن يعود الضمير
إلى الماء وهو الظاهر وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق فى الأول والظرفية فى الثانى وإذا كان لغيره فهى للسببية
(من كل الثمرات) أى من كل أنواعها (كذلك نخرج الموتى) الإشارة إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء
البلد الميت أى كما نحياه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من
الأحداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون)
٥٨ بطرح إحدى التامين أى تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة (والبلد الطيب)
أى الأرض الكريمة التربة (يخرج نباته ياذن ربه) بمشيشته وتيسيره عبره عن كثرة النبات وحسنه ووزارة
نفعه لأنه أوقعه فى مقابلة قوله تعالى (والذى خبت) من البلاد كالسبخة والحررة (لا يخرج إلا نكداً)
قليلاً عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبت لا يخرج نباته إلا نكداً لحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً وقرئ لا يخرج إلا نكداً أى لا يخرج منه البلد إلا نكداً
● فىكون إلا نكداً مفعوله وقرئ نكداً على المصدر أى ذا نكد ونكداً بالإسكان للتخفيف (كذلك)
● أى مثل ذلك النصريف البديع (نصرف الآيات) أى زردها ونكرها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كاترى مثل لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة
القلوب إلى المكلفين المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغايم آثارها وقد عقب ذلك
بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستئناف فقيل .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

٧ الأعراف

قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

٧ الأعراف

- (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) هو جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام ٥٩ مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فإن الجملة القسمية إنما تساق لنا كيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو لإدريس النبي عليهما السلام . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعين سنة وخمسين سنة (فقال يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده وترك التقييد به للإيدان بأنها العبادة حقيقة وأما العبادة بالإشراك فليست من العبادة فى شىء . وقوله تعالى (ما لكم من إله غيره) أى من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة أو الأمر بها وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد إلا أى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما فى الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد فمن إله إن جعل مبتدأ فلكم خبره أو خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أى ما لكم فى الوجود أو فى العالم إله غير الله (إني أخاف عليكم) أى إن لم تعبدوه حسبما أمرت به (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها ببيان الداعى إليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الإنذار (قال الملأ من قومه) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام ٦٠ فى مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والأشراف الذين يماثلون صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والأبصار بجمالهم وأبهتهم (إنا لنراك فى ضلال) أى ذهب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولها الضمير والظرف (مبين) بين كونه ضلالاً (قال) استئناف كما سبق (يا قوم) ٦١ ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (ليس بى ضلالة) أى شىء مامن الضلال قصد عليه الصلاة والسلام تحقيق الحق فى نفي الضلال عن نفسه رداً على الكفرة حيث بالغوا فى إثباته له عليه الصلاة والسلام حيث جعلوه مستقر أنى الضلال الواضح كونه ضلالاً وقوله تعالى (ولكنى رسول رب العالمين) استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى أقصى مراتب الهداية فإن رسالة رب العالمين مستلزمة

أَبْلَغَكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ٧ الأعراف

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ٧ الأعراف

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ٧ الأعراف

- له لا محالة كأنه قيل ليس بشيء من الضلال ولكن في الغاية القاصية من الهداية ومن لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيد التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى رسول وأى رسول كائن من رب العالمين (أبلغكم رسالات ربى) استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وأحوالها وقيل صفة أخرى لرسول على طريقة أنا الذى سمتنى أمى حيدر وقرىء أبلغكم من الإ بلاغ وجمع رسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها أو لأن المراد بها ما أوحى إليه وإلى النبيين من قبله وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه الصلاة والسلام بعد بيان عموم العالمين للإشعار بعلو الحكم الذى هو تبليغ رسالته تعالى إليهم فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات امتثاله بأمره تعالى بقبليغ رسالته تعالى إليهم (وأنصح لكم) عطف على أبلغكم مبين لكيفية أداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه للدلالة على إحاطة النصيحة لهم وأنها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب إني دعوت قوماً ليلاً ونهاراً وقوله تعالى (وأعلم من الله ما لا تعلمون) عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه الصلاة والسلام أى أعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الأمور الآتية أو أعلم من شئونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما عليه نوح عليه السلام بالوحي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم إنا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا وقولهم لو شاء الله لآنزل ملائكة والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أستبعدتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أى وحي أو موعدة من مالك أموركم ومريكم (على رجل منكم) أى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقتلنا ذلك ما قلتم من أن الله تعالى لو شاء لآنزل ملائكة (لينذركم) علة البجى أى لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) عطف على العلة الأولى مترتبة عليها (ولعلكم ترحمون) عطف على العلة الثانية مترتبة عليها أى ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وقائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وأن التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وأن المتقى ينبغى أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل (فكذبوه) فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذى بلغه إليهم وأنذرهم بما فى

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ٧ الأعراف

- لضعافه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه الصلاة والسلام عليهم الدعوة مراراً فلم يزدحم دعاؤه إلا فراراً حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلاً ونهاراً الآيات إذ هو الذي يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب (فأنجيئناه والذين معه) من المؤمنين قيل كانوا أربعين رجلاً ● وأربعين امرأة وقيل تسعة أبناء الثلاثة وستة من آمن به وقوله تعالى (في الفلك) متعلق بالاستقرار ● في الظرف أي استقروا معه في الفلك أو صحبوه فيه أو بفعل الإنجاء أي أنجيئناهم في السفينة ويجوز أن يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الظرف (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المنتهدين للجواب فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارة إلى الإخبار به والإيدان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم (لأنهم كانوا قوماً عمين) ● عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرىء عامين والاول أدل على الثبات والقرار (وإلى عاد) متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ٦٥ أرسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى (أخاهم) أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحداً منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا أخا العرب وقيل العامل فيه ما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاول وأياً ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للتحذار عن الإضمار قبل الذكر يرشدك إلى ذلك ما سياتى من قوله تعالى ولو طأ الخ فإن قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافاً إليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولاف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى (هوداً) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص ابن أرم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية لإرساله عليه السلام إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال (قال) يا قوم اعبدوا الله أي وحدوه كما يعرب عنه قوله (ما لكم من إله غيره) فإنه استئناف جار مجرى البيان البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً إذ ليس لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محلّه وقرىء بالجر حملاً له على لفظه (أفلا تتقون) ● إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفناء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معاً أو أتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى إن أتم إلا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل

قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّسُولُ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ٧ الأعراف

قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ٧ الأعراف

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ٧ الأعراف

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ

بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ٧ الأعراف

- ٦٦ حال نظائره في سائر القصص لاسيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله أعلم (قال الملائكة الذين كفروا من قومه) استئناف كما مر وإنما وصف الملائكة بالكفر إذ لم يكن كلمهم على الكفر كلاً قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان يكتفئ لإيمانه كمرئيين سعد وقيل وصفوا به ليجرد الذم (إنا لراك في سفاهة) أى متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين آبائك ألا إنهم هم السفاهة ولكن لا يعلمون (وإنا لنظنك من الكاذبين) أى فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح (قال) مستعطفاً لهم ومستميلاً لقلوبهم مع ماسمع منهم ماسمع من الكلمة الشنعاء
- ٦٧ الموجبة لتغليب القول والمشافهة بالسوء (يا قوم ليس بي سفاهة) أى شيء منها ولا شائبة من شوائبها (ولكني رسول من رب العالمين) استدراك لما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والائتانة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتماً كما أنه قيل ليس بي شيء مما نسبتموني إليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين
- ٦٨ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى (أبلغكم رسالات ربي) استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل أحواله وقبل صفة أخرى لرسول والكلام في إضافة الرب إلى نفسه عليه السلام بعد إضافته إلى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرىء أبلغكم من الإبلاغ (وأنا لكم ناصح أمين) معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك وإنما جرى بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وإذناً بأن من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام (على رجل منكم) أى من جنسكم (لينذركم) ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبتموني إلى السفاهة والكذب وفي إجابة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من يشافهم بما لا خير فيه من أمثال تلك الأباطيل بما حكى عنهم من المقالات الحقيرة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكما لشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدر الممل من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء) شروع في بيان ترتيب أحكام النصيح

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ٧

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ

٧ الأعراف

مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٧١

- والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضرت كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك أو تدبروا في أسركم واذكروا وقت جمعه تعالى إياكم خلفاء (من بعد قوم نوح) أي في مساكنهم أو في الأرض بأن
- جعلكم ملوكاً فإن شدد ابن عاد من ملك معمورة الأرض من رمل عاج إلى شجر همان (وزادكم في الخلق)
 - أي في الإبداع والتصوير أو في الناس (بسطة) قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم مثلم في عظم الأجرام
 - قال الكسبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً (فاذكروا آلاء الله)
 - التي أنعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم أثر تخصيص (لعلكم تفلحون) كي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدى إلى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
 - (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة (أجئتنا لنعبد الله وحده) أي لنخصه بالعبادة (ونذر ما كان
 - ٧٠ يعبد آباؤنا) أنذكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والإعراض عن عبادة الآؤنان
 - انهما كافي التقليد وحباً لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى المجيء إما مجيئه عليه السلام من متعبده ومنزله وإمامان السماء على التمكروا إما القصد والتصدي مجازاً كما يقال في مقابله ذهب يشتمنى من غير إرادة
 - معنى الذهاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون (إن كنت من الصادقين)
 - أي في الإخبار بنزول العذاب وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به (قال قد وقع
 - ٧١ عليكم) أي وجب وحق أو نزل بإصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله (من ربكم) أي من جهته تعالى وتقديم الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء متقدم على
 - انتهاء للسرعة إلى بيان إصابة المكروه لهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى (رجس)
 - مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى (وغيض) فربما يخل
 - تقديمهما بتجاوب النظم الكريه والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة
 - الانتقام وتنوينهما للتفخيم والنهويل (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (سميتموها) أي سميتم بها
 - (أنتم وآباؤكم) إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه عليه السلام داعياً لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ الأعراف

عبادة الأصنام أى أتعبدوننى فى أشياء سميتوها آلهة ليست هى إلا محض الأسماء من غير أن يكون فيها من مصداق الإلهية شيء مالا أن المستحق للمعبودية بالذات ليس إلا من أوجد الكل وأنها لو استحققت لكان ذلك يجعله تعالى إما يازال آية أو نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى (ما نزل الله بها من سلطان) وإذ ليس ذلك فى حيز الإمكان تحقق بطلان مأم عليه (فانتظروا) مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم أى فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فانتظروا بما تعدنا الخ (إنى معكم من المنتظرين) لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى (فأنجيناه) فصيحة كما فى قوله تعالى فأنفجرت أى فوقع ما وقع فأنجيناه (والذين معه) أى فى الدين (برحمة) أى عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (منا) أى من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعمت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفصلة من تنكيرها بالفخامة الإضافية (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم بالكلية ودرناهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة أى أصرروا على الكفر والتكذيب ولم يرعوا عن ذلك أبداً وتقديم حكاية الإنجاء على حكاية الإهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على أن مناط النجاة هو الإيمان بالله تعالى وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم أن عاداً قوم كانوا باليمن بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صمداً وصموداً لعلها فيبعث الله تعالى إليهم هوذا نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبوا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشرِكهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق ابن لاوذن بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت هاد إلى مكة من أمثالهم سبعين رجلاً منهم قيل ابن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتنم لإسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهر آشربون الخمر وتغنيهم قيننا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم بالله وعلما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على مأم عليه وكان يستحي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالنا قل شعراً تغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية [ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماماً] [فيسقى أرض عاد إن عاداً * قد أمسوا لا يبنون الكلاماً] فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثن من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله تعالى سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا للمعاوية احبس عنا مرثداً لا يقدم معنا فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على هاد من واد يقال له المغيب فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منهار يرح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله تعالى

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٧٣﴾

٧ الأعراف

- فيها إلى أن ماتوا (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) عطف على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هوداً موافق ٧٣ له في تقديم المجرور على المنصوب وثمرود قبيلة من العرب سموها باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن لارم ابن سام بن نوح عليه السلام وقيل إنما سموها بذلك لقلة ماتهم من النمد وهو الماء القليل وقرى بالصرف بتأويل الحى وكانت مساكنهم الحجرين الحجاز والشام إلى وادى القرى وأخوة صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فإنه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله عليه السلام إليهم مظنة لأن يسأل ويقال فإذا قال لهم قيل جواباً عنه بطريق الاستئناف (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وقد مر الكلام في نظائره (قد جاءكم بينة) أى آية • وممثلة ظاهرة شاهدة بنبوتى وهى من الألفاظ الجارية مجرى الأبطال والأبرق فى الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الأفراد والجمع كالصالح أفراداً وجمعاً وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للأعمال أو المثوبة أو الحالة من الرخاء والشدة ولذلك أوليت العوامل وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجماعتكم • أو بمحذوف هو صفة ليننة كما مر مراراً والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام أول ما خاطبهم إثر دعوتهم إلى التوحيد بل إنما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه إلا يرى إلى ما فى سورة هود من قوله تعالى هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها إلى آخر الآيات . روى أنه لما أهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمرُوا أعمار أطول الحق إن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فتحترق البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فغتموا على الله تعالى وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وصالح من أوساطهم نسباً فدعاهم إلى الله عز وجل فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذروهم فسألوه آية فقال آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا إلهك وتدعوا آلهتنا فإن استجب لك اتبعناك وإن استجب لنا اتبعنا فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعوا أو ثابتهم وسألوا الاستجابة فلم تجبههم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبتناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم الموائيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعاه فتمخضت الصخرة تمخض التلج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها فى العظم فأمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رموسهم أن يؤمنوا فسكرت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا
وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ٧ الأعراف

- وكانت ترد غياً فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفجح فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلئ أو انهم فيشربون ويدخرون وكانت إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فهرب منها أنعامهم فهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عزيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقيها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثاً وكان صالح عليه السلام قال لهم أدركوا الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدرُوا عليه فانفجحت الصخرة بعد رغاؤه فدخلها فقال لهم صالح تصيحبون غداً ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم حمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفئوا بالأنفاس فأتتهم صبيحة من السماء ورجفة من الأرض فتنقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف مسوق لبيان البينة وإضافة الناقة إلى الاسم الجليل لتعظيمها ولجيشها من جهته تعالى بلا أسباب معدودة وسائط معتادة ولذلك كانت آية وأي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن يكون ناقة الله بدلاً من هذه أو عطف بيان له أو مبتدأ ثانياً ولكم خبراً عاملاً في آية (فندروها) تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فإن ذلك مما يوجب عدم التعرض لها (تأكل في أرض الله) جواب الأمر أي الناقة ناقة الله والأرض أرض الله تعالى فتركوها تأكل ما تأكل في أرض ربها فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها وقرىء تأكل بالرفع على أنه في موضع الحال أي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب إما للاكتفاء عنه بذكر الأكل أو لتعظيمه له أيضاً كما في قوله [علقمتها تبتاً وماء بارداً] وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذية ونكر السوء مبالغة في النهي أي لا تعرضوا لها بشيء مما يسوءها أصلاً ولا تطاردوها ولا تريبوها إكراماً لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) جواب النهي ويروى أن رسول الله ﷺ حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لا صحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه يا علي أتدري من أشق الأولين قال الله ورسوله أعلم قال غافر ناقة صالح أتدري من أشق الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي خلفاء في الأرض أو خلفاء لهم كأمير (وبوأكم في الأرض) أي جعل لكم مباءة ومزلاً في أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصوراً) استئناف مبين لكيفية النبوة أي تبنون في سهولها قصوراً رفيعة أو تبنون من سهولة الأرض بما تعلمون منها من الرهص واللبن والآجر (وتنحتون الجبال)

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا

٧ الأعراف

مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

٧ الأعراف

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَعْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ٧ الأعراف

- أى الصخور وقرىء تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كما فى قوله [ينباع من ذفرى أسيل حرة] والنحت نحر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى (يوتأ) على أنها حال مقدرة منها كما تقول خطت هذا الثوب قميصاً وقيل انتصاب الجبال على إسقاط الجار أى من الجبال وانتصاب يوتأ على المفعولية وقد جوز أن يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (فاذكروا آلاء الله) التى أنعم بها عليكم بما ذكر أو جميع آلائه التى هذه من جملتها (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) فإن حق آلائه تعالى أن تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعنى فى الأرض بالفساد (قال الملأ الذين استكبروا من ٧٥ قومه) أى عتوا وتكبروا استثناف كما سلف وقرىء بالواو عطفاً على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام فى قوله تعالى (للذين استضعفوا) للتبليغ وقوله تعالى (لمن آمن منهم) بدل من الموصول بإعادة العامل بدل الكل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض إن كان للذين استضعفوا على أن من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه إذ لا داعى إلى توجيه الخطاب أولاً إلى جميع المستضعفين مع أن المجاورة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين أى قالوا المؤمنين الذين استضعفهم واسترذلوهم (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه) وإنما قالوه بطريق الاستهزاء بهم (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذى ينبى عنه الجملة الاسمية وتنبه على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغى أن يسأل عنه وإنما التحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به (قال الذين ٧٦ استكبروا) أعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إذ نادى بأنهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار (إنا بالذى آمنتم به كافرون) وإنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون إظهاراً لمخالفتهم إياهم ورداً لمقاتلتهم (ففعقروا الناقة) أى نحروها أسند العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للبلابة أولاً لأن ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله كلمهم وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى (وعتوا عن أمر ربهم) أى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الأمر والنهى (وقالوا) مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والإلحاح على زعمهم (يا صالح اتقنا بما تعدنا) أى من العذاب والإطلاق للعلم به قطعاً (إن كنت من المرسلين) فإن كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من

٧ الأعراف

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ٧ الأعراف

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ٧ الأعراف

- ٧٨ الوعد والوعيد (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة لكن لا أثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادئ العذاب فى الأيام الثلاثة حسبما مر تفصيله (فأصبحوا فى دارهم) أى صاروا فى أرضهم وبلدهم
- أو فى مساكنهم (جاثمين) خامدين موتى لا حراك بهم وأصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم أى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون ندسة قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطيور البروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لأصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبراً وجاثمين حالاً لإفضائه إلى كون الإخبار بكونهم فى دارهم مقصوداً بالذات وكونهم جاثمين قيداً تابعاً له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدثت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به (فتولى عنهم) إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزن عليهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى (ولكن لا تحبون الناصحين)
- حكاية حال ماضية أى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم ﷺ بذلك خطاب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً وقيل إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عندهم شاهدته ﷺ لعلاماته تولى ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما هم عليه وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً
- ٨٠ وخمسمائة دار وروى أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (ولو طاً) منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للبرسل إليهم مقدماً على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه فى قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخى إبراهيم كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم فهاجر إلى الشام فنزل فلسطين وأنزل لوطاً الأردن وهى كورة بالشام فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وهى بلد بمصر وقوله تعالى (إذ قال لقومه) ظرف للضمير المذكور أى أرسلنا لوطاً إلى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد إرساله عليه السلام بذلك لما أن إرساله إليهم لم يكن فى أول وصوله إليهم وقيل هو بدل من لوطاً بدل اشتغال على أن انتصابه بأذى أى اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه (أتأتون الفاحشة) بطريق الإنكار التوبيخى التقرىعى أى أتفعلون تلك الفعل المتناهية فى القبح المتبادية فى

إِنَّكُمْ لَنَآتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧ الأعراف

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

٧ الأعراف

- الشريعة والسبوء (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم على أن الباء للتعديدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة
- من قولك سبقته بالكرة أى ضربتها قبله ومن في قوله تعالى (من أحد) مزيدة لنا كيد النفي وإفادة معنى
- الاستغراق وفي قوله تعالى (من العالمين) للتبعض والجملة مستأنفة مسوقة لنا كيد النكير وتشديد التوبيخ
- والتفريع فإن مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولاً إتيان الفاحشة ثم وبخهم بأنهم أول من عملها فإن سبك النظم الكريم وإن كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مراراً في نحو قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو مسوقة جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيناها فقيل بيانا للعلة وإظهاراً للزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نرا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن إسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقدمهم الناس فأذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صبا حافاً خبثوا فاستحكمت فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغباء وقال الكلبي أول من فعل به ذلك الفعل إبليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه فم عبثوا بذلك العمل (إنكم لَنَآتُونَ الرجال) خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرى بهمزتين صريحتين ٨١ وبتلپين الثانية بغير مد وبمد أيضاً على أنه تأكيد للإنكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة إن واللام مزيد توبيخ وتقرير كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيداً قوياً وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى (شهوة) مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبية على أن العاقل ينبغي له أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم وتقريرهم على اشتهاهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبغي عنه قوله تعالى (من دون النساء) أى متجاوزين النساء
- اللاتي هن محل الاشتها كما ينبغي عنه قوله تعالى هن أطهر لكم (بل أنتم قوم مسرفون) لإضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بمآلهم التي أفضتهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء
- أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معاصيهم أو عن محذوف أى لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف (وما كان جواب قومه) أى المستكبرين منهم المتولين للأمر والنهي المتصدين للعقد والحل ٨٢ وقوله تعالى (إلا أن قالوا) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى ما كان جواباً من جهة قومه شيء من الأشياء
- إلا أنهم أى لبعضهم الآخرين المباشرين للأمور معرضين عن مخاطبته عليه السلام (أخرجوهم) أى لوطاً ومن معه من أهله المؤمنين (من قريبتكم) أى إلا هذا القول الذي يستحيل أن يكون جواباً للكلام

٧ الأعراف

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾

٧ الأعراف

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

وَالْإِنِّ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

٧ الأعراف

- لوط عليه السلام وقرى برفع جواب على أنه اسم كان وإلا أن قالوا الخ خبرها وهو أظهر وإن كان الأول أقوى في الصناعة لأن الأعراف أحق بالاسمية وأياما كان فليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه لإلا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع إلى الأفهام بل أنه لم يصدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام إلا هذه الكلمة الشنيعة وإلا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الزهات حسبا حكى عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى (إنهم أناس يتطهرون) تعليل للأمر بالإخراج ووصفهم بالتطهير للاستنزاه والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة
- ٨٣ كما هو ديدن الشطار والدعار (فأنجيناه وأهله) أي المؤمنين منهم (إلا امرأته) استثناء من أهله فإنها كانت تسر بالكفر (كانت من الغابرين) أي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب وبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الإنجاء كأنه قيل فإذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) أي نوطاً من المطر عجباً وقد بينه قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وأمطر في العذاب والصحيح أن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر قيل كانت المؤمنين خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروى أن امرأته التفتت نحو ديارها فأصابها حجر فانت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)
- ٨٥ خطاب لكل من يتأني منه التأمل والنظر تعجبياً من حالهم وتحذيراً من أعمالهم (وإلى مدین أخاهم شعيباً) عطف على قوله وإلى عاد أخاهم هوداً وما عطف عليه وقد روى هنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدین بن إبراهيم عليه السلام شعيب بن ميكايل بن يشجر بن مدین وقيل شعيب بن ثوب بن مدین وقيل شعيب بن يثرون بن مدین وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخش للكايل والموازين مع كفرهم (قال) استئناف مبني

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا
إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

٧ الأعراف

- على سؤال نشأ عن حكاية إرساله إليهم كأنه قيل لماذا قال لهم فليل قال (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) مر تفسيره مراراً (قد جاء تكلم بيته) أى معجزة وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاء تكلم أو بمحذوف هو صلة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الإضافية أى بيته عظيمة ظاهرة كائنه من ربكم ومالك أموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام فى القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي ﷺ فيها ماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام الثنتين حين دفع إليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع لأن كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البيته مجيئه عليه السلام كما فى قوله تعالى يا قوم أرأيتم إن كنت على بيته من ربى أى حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة (فأوفوا الكيل) أى المكيال كما وقع فى سورة هود يؤيده قوله تعالى (والميزان) فإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدر كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والقاء لترتيب الأمر على مجيئ البيته ويجوز أن تكون عاطفة على اعبدوا فإن عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا يباشرونه (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) التى تشترونها بهما معتمدين على تمامهما أى شىء كان وأى مقدار كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه قال زهير [أفى كل أسواق العراق أتأوه وفى كل ما باع اسروء مكس درهم] (ولا تفسدوا فى الأرض) أى بالكفر والخياف (بعد إصلاحها) بعد ما أصلح أسرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بإجراء الشرائع أو أصلحوها فيها وإضافته إليها كإضافة مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم) إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقاً أو فى الإنسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والريح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا فى معاملتهم ومتاجرهم (إن كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى قولى هذا (ولا تقعدوا بكل صراط ٨٦ توعدون) أى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحداً لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحداً يشرع فى شىء منها منعه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعباً إنه كذاب لا يفننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) أى السبيل الذى قعدوا عليه فوقع المظهر موقع المضمهر بياناً لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقييحاً لما كانوا عليه أو الإيمان بالله أو بكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى (من آمن به) مفعول تصدون على أعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقليل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجاً) أى وتطلبون لسبيل الله عوجاً بالقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة وهى أبعد شىء من شائبة الاعوجاج

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ
 اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ
 لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾

٧ الأعراف

- (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم) بالبركة في النسل والمال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين)
- ٨٧ من الأمم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأضرابهم واعتبروا بهم (وإن كان طائفة منكم
- آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والأحكام (وطائفة لم يؤمنوا) أي به أولم يفعلوا الإيمان (فاصبروا
- حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعد للكافرين (وهو
- ٨٨ خير الحاكمين) إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) استئناف مبني
- على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فإذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل
- قال أشرف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
- من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار إلى أن قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه وأتباعه
- المؤمنون واجتمعوا على إكراههم عليه بوعيد النبي وخاطبوه بذلك على طريقة التوكيد القسمي (لنخرجنك
- يا شعيب والذين آمنوا) بنسبة الإخراج إليه عليه السلام أولاً وإلى المؤمنين ثانياً بعطفهم عليه تليها
- على أصله عليه السلام في الإخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبغي عنه قوله تعالى (معك) فإنه متعلق بالإخراج
- لا بالإيمان وتوسط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة
- والطغيان أي والله لنخرجنك وأتباعك (من قريتنا) بفضأ لكم ودفعاً لفتنكم المترتبة على المساكنة
- والجوار وقوله تعالى (أو لنعودن في ملتنا) عطف على جواب القسم أي والله ليسكون أحد الأمرين
- البتة على أن المقصد الأصلي هو العود وإنما ذكر النبي والإجماع المحض القسري الإلجاء كما يفصح عنه عدم
- تعرضه عليه السلام لجواب الإخراج كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وإدخالهم له عليه
- السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك إنما هو بطريق تغليب الجماعة
- على الواحد وإنما لم يقولوا أولنعيدنكم على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا إليها بصورة الطوعية
- حذار الإخراج باختيار أهون الشرين لا إعادتهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب (قال) استئناف كما
- سبق أي قال عليه السلام رداً لمقالتهم الباطلة وتكذيباً لهم في إيمانهم الفاجرة (أولو كنا كارهين) على أن
- الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه لا لإنكار الواقع واستيقظها كما قال في قوله تعالى (أولو كنا كارهين) على أن
- أن يكون الاستفهام فيه باقياً على حاله وقد مر مراراً أن كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في
- الزمن الماضي لانتهاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
- قصديّة إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق

بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والأمر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطى ولو كان غنياً وكقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تنهه ولو أهانك لبقائه على حاله سالماً عما يغيره وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الإنكار عليه لكن الأصل في الكل واحد إلا أن كلمة لوفى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو بما يتعلق به وأن ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وأن الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتى وأن المقصود الأصلي إنكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر مقرر إلا أنه أخرج مخرج الاستبعاد مبالغته في الإنكار من جهة أن العود بما ينكر عند كون الكراهة أمراً مستبعداً فكيف به عند كونها أمراً محققاً ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزاهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء حتى يقال إنها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل إنما هي كراهتهم له بعد وعيد الإخراج الذي جعل قريناً للقتل في قوله تعالى ولو أنا كتبنا الآية فإنهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في أنهم حينئذ يختارون العود خشية الإخراج إذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو أشد منه وأقطع والتقدير أنعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مباينين بالإكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسباً أشير إليه إذ ماله أنعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة إنكاراً لما تفيدته كلمة الشبهة بإطلاقها من العود على أى حالة كانت غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي أشد الأحوال منافاة للعود وأكثرها بعداً منه تنبيهاً على أنها هي الواقعة في نفس الأمر وثقة بإغنائها عن ذكر الأولى إغناء واضحاً لأن العود الذي تعلق به الإنكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبهم كلامهم فلأن يتحقق مع عدمه أولى إن قلت النفي المستفاد من الاستفهام الإنكارى فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في أن الأولوية هناك معتبرة بالنسبة إلى النفي ألا يرى أن الأولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعنى عدم الغنى هو عدم الإعطاء لا نفسه فكان ينبغى أن يكون الأولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه إذ هو الذى يدل عليه قولنا أنعود لأنه في معنى لا نعود فلم يختلف الحال بينهما قلت لما أن مناط الأولوية هو الحكم

قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

٧ الأعراف

الذى أريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور
وأما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر لإذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق أعنى قولهم
لنعودن وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لإبطال ما يفيدته ونفى ما يقتضيه لأنه من تمامه كما في صورة
النفي وتوضيحه أن بين النفيين فرقا معنويا تختلف به أحكامهما التى من جملتها ما ذكر من اعتبار الأولوية
فى أحدهما بالنسبة إلى نفسه وفى الآخر بالنسبة إلى متعلقه ولذلك لا تستقيم إقامة أحدهما مقام الآخر
على وجه الكلية الا يرى أنك لو قلت مكان أعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا
فاحشا لأن مدلول الأول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثانى تقييد العود المنفى بها وذلك لأن
حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع إليه من حيث هو منفي وأما همزة الاستفهام
فإنها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما أن دلالتها على الإنكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف
النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذى يليها ويكون ما بعده راجعا إليه من حيث هو منفي بل هى دلالة
عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد أن يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعى إنكاره ونفيه
حتما ليسكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها إلى معنى الإنكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على
كل حال مع الاختصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره
بطريق الأولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك أى مغنيا عن ذكر سائر
الأحوال ضرورة أن تحقق العود فى حال الكراهة مستلزم لتحقيقه فى حال عدمها البتة وعند كونها قيدا
لنفيه بخلاف ذلك أى غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة أن نفي العود فى حال الكراهة لا يستلزم نفيه فى
غيرها بل الأمر بالعكس فإن نفيه فى حال الإرادة مستلزم لنفيه فى حال الكراهة قطعاً استقام الأول
لإفادته نفي العود فى الحالتين مع الاختصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الأخرى ولم يستقم الثانى لعدم
إفادته إياه على الوجه المذكور إن قيل فما وجه استقامتهما جميعاً عند ذكر المعطوفين معاً حيث يصح أن
يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين كما يصح أن يقال أعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع
أن المقدر فى حكم الملفوظ قلنا وجهها أن كلا منهما يفيد معنى صحيحاً فى نفسه لا أن معنى أحدهما عين
معنى الآخر أو متلازمان متفقان فى جميع الأحكام كيف لا ومدلول الأول أن العود منتف فى الحالتين
ومدلول الثانى مصحح لنفي العود فى الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح فى نفسه مصحح لنفي العود
فى الحالتين مع ذكرهما معاً غير أن الثانى مصحح لنفي العود فى الحالتين مع الاختصار على ذكر حالة
الكراهة على عكس المعنى الأول فإنه مصحح لنفيه فيهما مع الاختصار على ذكر حالة الإرادة (قد اقرينا

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ آتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا تَخَسَّرْتُمْ ﴿٩٠﴾ ٧ الأعراف

- على الله كذباً) أى كذباً عظيماً لا يقادر قدره (إن عدنا فى ملتكم) التى هى الشرك وجواب الشرط
- محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن عدنا فى ملتكم (بعد إذ نجانا الله منها) فقد اقترينا على الله كذباً عظيماً
- حيث نزع حينئذ أن الله تعالى ندأ وليس كمثل شئ. وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه من الإسلام باطل وأن ما كنتم عليه من الكفر حق وأى اقراء أعظم من ذلك وقيل إنه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد اقترينا الخ (وما يكون لنا) أى وما يصح وما يستقيم لنا (أن نعود فيها) فى حال
- من الأحوال أو فى وقت من الأوقات (إلا أن يشاء الله) أى إلا حال مشيئة الله تعالى أو وقت مشيئته
- تعالى أعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبىء عنه قوله تعالى (ربنا) فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبىء عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعاً وكذا قوله تعالى بعد إذ نجانا الله منها فإن تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على أن الكفر بمشيئته تعالى وأياً ما كان فليس المراد بذلك بيان أن العود فيها فى حيز الإمكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كأنه قيل وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وهيات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له (وسع ربنا كل شئ علماً) فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الأشياء التى من جهاتها أحوال عبادته وعزائهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى (على الله توكلنا) أى فى أن يثبتنا على ما نحن عليه من الإيمان ويتم علينا نعمته بإنجائنا من الإشرار بالكلية وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار للبالغة فى التضرع والجوار وقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لإعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر له عليه الصلاة والسلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان أصلاً وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينهم وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أى احكم بيننا بالحق والفتاحة للحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه (وأنت خير الفاتحين) تذييل
- مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل ٩٠ هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بأمرهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز أن يكون عين الأولى وتغيير الصلة لما أن مدار قولهم هذا هو الكفر كما أن مناط قولهم السابق هو الاستكبار أى قال أشرافهم الذين أصروا على الكفر لا عقابهم بعد ما شاهدوا صلابه شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الإيمان وخافوا أن يستتبوا قومهم تثبيطاً لهم عن الإيمان به وتنفيراً لهم عنه على طريقة التوكيد القسمى والله (لئن اتبعتم شعباً) ودخلتم فى دينه وتركتم دين آبائكم (إنكم إذا تخاسرتم) أى فى الدين لا شرائكم الضلالة بهداكم أو فى الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وإذن حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها والجملة سادة مسد

٧ الأعراف

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩١﴾

٧ الأعراف الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى قَوْمٍ

٧ الأعراف

كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ٧ الأعراف

- ٩١ جواب الشرط والقسم الذي وطأته اللام (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام ولعلمنا من مبادئ الرجفة فاستند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى (فأصبحوا في دارهم) أى في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم (جامعين) أى ميتين لازمين لأنهم لا يراحمهم منها (الذين كذبوا شعيباً) استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابله
- والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى (كان لم يغنوا فيها) أى استوصلوا بالمرء وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً أى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية لإخراجهم لدخول بعدهم أبداً وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير وإعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين أى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الأخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه الصلاة والسلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بإنجائه عليه الصلاة والسلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه الخ (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما هلكوا تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه ذلك فقال (فكيف آسى) أحزن حزناً شديداً (على قوم كافرين) أى مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذات وسعى في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ آسى بإمالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي) إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم لئلا يبان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة أى من نبي كذب أو كذبه أهلها
 - (إلا أخذنا أهلها) استثناء مفرغ من أعم الأحوال وأخذنا في محل نصب من فاعل أرسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد إلا إلا بأحد شرطين إما تقدير قد كما في هذه الآية أو مقارنة قد كما في قولك ما زيد إلا قد قام والتقدير وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا آخذين

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٧ الأعراف

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

٧ الأعراف

أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾

٧ الأعراف

- أهلها (بالأسماء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لكن لاعلى معنى أن ابتداء الإرسال مقارن
- للأخذ المذكور بل على أنه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم
- عليه حسبها فعلت الأثم المذكورة (لعلمهم يتضرعون) كي يتضرعوا ويتذلّلوا ويحطوا أودية الكبر
- والعزة عن أكتافهم كقوله تعالى لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء لعلهم يتضرعون
- (ثم بدلنا) عطف على أخذنا داخل في حكمه (مكان السيئة) التي أصابتهم للغاية المذكورة (الحسنة) ٩٥
- أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
- (حتى عفوا) أي كثروا عدداً وعدداً من عفا النبات إذا كثر وتكاثر وأبطرهم النعمة (قالوا) غير
- واقفين على أن ما أصابهم من الأضرار من الله سبحانه (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا
- ذلك وما هو إلا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير أن يكون هناك داعية تؤدي
- إليهما أو تبيح تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للإشعار بأنها تعقب الضراء فلا ضير فيها (فأخذناهم)
- إثر ذلك (بغته) فجأة أشد الأخذ وأفظعه (وهم لا يشعرون) بذلك ولا يخطر ببالهم شيئاً من المكارة
- كقوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا الآية وليس المراد بالأخذ بغته إهلاككم طريقة عين كإهلاك عاد
- وقوم لوط بل ما يعمه وما يعضى بين الأخذ وإتمام الإهلاك أيام كدأب ثمود (ولو أن أهل القرى) ٩٦
- أي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى
- المنتظمة لما ذكرهم هنا انتظاماً أولياً (آمنوا) بما أوحى إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء
- بالضراء والسراء (واتقوا) أي الكفر والمعاصي أو اتقوا ما نذروا به على السنة الأنبياء ولم يصبوا على
- ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
- وحدوا الله واتقوا الشرك (لفتحننا عليهم بركات من السماء والأرض) لو سعتنا عليهم الخير ويسرناه لهم
- من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض وقيل
- المراد المطر والنبات وقرى لفتحنا بالتشديد للتكثير (ولكن كذبوا) أي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
- وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه الثاني (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من أنواع الكفر والمعاصي
- التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الأخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة لا عن الجذب
- والقمح كما قيل فإنهما قد زالا بقيد الحسنة مكان السيئة (أفأمن أهل القرى) أي أهل القرى المذكورة ٩٧

أَوْ أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ٧ الأعراف

أَقَامُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ٧ الأعراف

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ٧ الأعراف

- على وضع المظهر موضع المضمر للإبذان بأن مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن بجمع الأمم فإن كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم كما سيأتي والهمزة لإنكار الواقع واستقبحه لا لإنكار الوقوع ونفيه كما قاله أبو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور مما كسبته أيديهم والمعنى أبعث ذلك الأخذ أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا بياتاً) أي تبيناً أو وقت بيات أن مبيتاً أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البتوتة ويحى بمعنى التبيينت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً (أو أمن أهل القرى) إنكار بعد إنكار للبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرى أو يسكون الواو على التردد (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت (وهم يلعبون) أي يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون (أقاموا مكر الله) تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء في الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور وأما الثاني فنقطة الأول (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أي يخلفون من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم أهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام إمالة تنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ وإما لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية أي أولم يبين لهم مال أمرهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أي أن الشأن لو نشاء أصبناهم مجزاء ذنوبهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وقرى نهدي بنون العظمة فالجملة مفعوله (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما يفهم من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون أو يغفلون عن الهداية أو عن التفكير والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى طبعنا لا فضأته إلى نفي الطبع عنهم لأنه في سياق جواب لو (فهم لا يسمعون) أي أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهداية

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

٧ الأعراف

- (تلك القرى) جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلك لما قبلها من القصص منبثقة عن غاية غواية الأمم المذكورة ١٠١
- وتماديم فيها بعد ما أنتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك إشارة إلى قرى الأمم المهلكة على أن اللام للهدم وهو مبتدأ وقوله تعالى (نقص عليك من أنبائها) خبره وصيغة المضارع للإيدان بعدم انقضاء القصة بعد ومن
- للتعويض أى بعض أخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال أو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فإذا هى حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصود أنباء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) لما أن حكاية هلاكهم بالمرّة على وجه الاستئصال بحيث يشمل
- أما كنهم أيضاً بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة أهول وأفظع والباء فى قوله تعالى بالبينات متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالا من فاعله أى ملتبس بالبينات لكن لا بأن يأتى كل رسول بيينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الأحاد إلى الأحاد إنما هى فيما بين الرسل وضمير الأمم والجملة مستأنفة مبينة لكامل عتوهم وعنادهم أى وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكررة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للإيمان حتّى وقوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا) بيان
- لاستمرار عدم إيمانهم فى الزمان الماضى لالعدم استمرار إيمانهم وترتيب حالتهم هذه على مجىء الرسل بالبينات بالفاء لما أن الاستمرار على فعل من الأفعال بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه فى الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي أى فما صححوا ما استقام لقوم من أولئك الأقوام فى وقت من الأوقات أن يؤمنوا بكل كان ذلك ممنوعاً منهم إلى أن لقوا ما لقوا الغاية عتوهم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم إن كان المحكى عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم إيمانهم المذكور همنا لإصرارهم على ذلك بعد اللتى والى
- وبما أشير إليه بقوله تعالى (بما كذبوا من قبل) تكذيبهم من لدن مجىء الرسل إلى وقت الإصرار والعناد وإنما يجعل ذلك مقصوداً بالذات كالأول بل جعل صلة الوصول إيذاناً بأنه بين بنفسه وإنما المحتاج إلى البيان عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الإيمان والتكذيب سلباً وإيجاباً عبارة عن جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكى جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولاً كفرهم المستمر من حين مجىء الرسل الخ وبما أشير إليه آخر تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التى أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها أثر ذى أنير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولو أزمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجىء رسلهم

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٦﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٧﴾
 ٧ الأعراف

أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل أمة من أولئك الأمم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيسكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حين لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن يؤمنوا بما تنفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما أن ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى أسلافهم والمعنى فما كان الأبناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا أو آحييناهم بعد إهلاكهم ورددناهم إلى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولوردوا العادوا لما هموا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه هنا ما ورد في سورة بونس من مخالفة الجهور بجعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليه الضمير في به (كذلك) أي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم (يطبع الله على قلوب الكافرين) أي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والذنر وفيه تحذير للسامعين ١٠٢ وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لغرية المهابة وإدخال الروعة (وما وجدنا لأكثرهم) أي أكثر الأمم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا أي ما صدف له مالا ولا لقيته ● أو بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (من عهد) لأنه في الأصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والأصل ما وجدنا عهداً كامناً لأكثرهم ومن مزيدة للاستغراق أي وما وجدنا لأكثرهم من وفاء عهد فإنهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لن أنجيئنا من هذه لنكون من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن بأكثرهم ليس لأن بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لأن بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يوفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى إليهم من الإيمان والتقوى بنصب الآيات وإنزال الحجيح وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد بأكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فإن أكثرهم لا يوفون بالعهود بأي معنى كان (وإن وجدنا أكثرهم) أي أكثر الأمم أي علمناهم كافي قولك وجدت زيداً إذا حافظ وقيل الأول أيضاً كذلك وإن مخففة من إن وضمير الشأن ● محذوف أي إن الشأن وجدناهم (لفاسقين) خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين أن إن ناقية واللام بمعنى إلا أي ما وجدناهم إلا لفاسقين (ثم بعثنا من بعدهم موسى) أي أرسلناه من بعد أن قضاه ١٠٣

وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٧ الأعراف

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيَّ

إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾

٧ الأعراف

- وقائع الرسل المذكورين أو من بعد هلاك الأمم المحكية والتصریح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للإبذان بأن بعثه عليه الصلاة والسلام جرى على سنن السنة الإلهية من إرسال الرسل ترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر (بآياتنا) ● متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا أو صفة لمصدره أي بعثناه عليه الصلاة والسلام ملتبساً بآياتنا أو بعثناه بعثاً ملتبساً بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتى على التفصيل (إلى فرعون) هو لقب لكل من ملك مصر من العمالة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس وقبصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان (وملئه) أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لقومه كافة حيث كانوا جميعاً مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فنته الباغية لأصاليهم في تدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور (فظلموا بها) أي كفروا بها أجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واحد أو ضمن معنى الكفر أو التكذيب أي ظلموا كافرين بها أو مكذبين بها أو كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها الوضوح ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا أنفسهم بسببها بأن عرضوها للعباد الخالد أو ظلموا الناس بصددهم عن الإيمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها إلى أن لقوا من العذاب ما لقوا ألا يرى إلى قوله تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فكما أن ظلمهم بها مستتبغ لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبغ للأمر بالنظر إليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب بإسقاط الخافض أي فانظر بعين عقلك إلى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للإبذان بأن الظلم مستلزم للإفساد (وقال موسى) كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما أجمل فيما قبله من ١٠٤ كيفية إظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين (يا فرعون إني رسول) أي إليك (من رب العالمين) على الوجه الذي مر بيانه (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) جواب عما ينساق إليه الذهن من حكاية ١٠٥ ظلمهم بالآيات من تكذيبه إياه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة وكان أصله حقيق على أن لا أقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للأمن من الإلباس كما في قول من قال وتشتق الرماح بالضياطرة الحر أو لأن ما لزمتك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثل ناظراً به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على موضع الباء لإفادة التمكن كقولهم

قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِغَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٠٦﴾ ٧ الأعراف

فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ٧ الأعراف

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ٧ الأعراف

- رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي البلاء وقرىء: حقيق أن لا أقول وقوله تعالى (قد جئتمكم ببينة من ربكم) استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقاً بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه الصلاة والسلام وما بعده من جواب فرعون لآثر ما ذكرهنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمر بكما آيات وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للإيجاز ومن متعلقة إما بجئتمكم على أنها لا بتداء الغاية مجازاً وإما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الإضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفضيحية وإضافة اسم الرب إلى المخاطبين بعد إضافته فيما قبله إلى العالمين لتأكيد وجوب الإيمان بها (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى تغلهم حتى يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدتهم بعد انقراض الأسباط يستعملهم ويكلفهم الأفاعيل الشاقة فأنقذهم الله تعالى بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى عليهما السلام أربع مائة عام والفاء لترتيب الإرسال أو الأمر به على ما قبله من رسالته عليه السلام وبجئته بالبينة (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فإذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقليل قال (إن كنت جئت بآية) أى من عند من أرسلك كما تدعيه (فأت بها) أى فأحضرها حتى تثبت بها رسالتك (إن كنت من الصادقين) فى دعواك فإن كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضى إظهار الآية لا محالة (فأتى عصاه فإذا هى ثعبان مبين) أى ظاهر أمره لا يشك فى كونه ثعباناً وهو الحية العظيمة وإيشار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها فى الأصل كذلك. روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرّب منه وأحدث فانهزم الناس مزدحمين فأت منهم خمسة وعشرون ألفاً فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أو من بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه فعاد عصاه (ونزع يده) أى من جيبه أو من تحت إبطه (فإذا هى بيضاء للناظرين) أى بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمرها وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هى بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الأدمة وقيل بيضاء للناظرين لا أنها كانت بيضاء فى جبينها (قال الملأ

- ٧ الأعراف يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
- ٧ الأعراف قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾
- ٧ الأعراف يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَلْحٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾
- ٧ الأعراف وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾
- ٧ الأعراف قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

- من قوم فرعون) أى الأشراف منهم وهم أصحاب مشورته (إن هذا لساحر عليم) أى مبالغ فى علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقاً لفرعون وتقريراً للكلامه فإن هذا القول بعينه معزى فى سورة الشعراء إليه (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فماذا تأمرون) بفتح النون ومافى ماذا فى محل نصب ١١٠ على أنه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والأول محذوف والتقدير بأى شيء تأمروننى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى فإذا كان كذلك فماذا تشيرون على فى أمره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ إلى العامة فقوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) على الأول وهو الأظهر حكاية ١١١ لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثانى لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ وأباه أن الخطاب لفرعون وأن المشاورة ليست من وظائفهم أى أخره وأخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حسبا ينادى به الآيات الآخر والمعنى آخر أمرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرىء أرجئه وأرجه من أرجاه وأرجاه (وأرسل فى المدائن حاشرين) قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا سبعين ساحراً أخذوا السحر من رجلين مجوسيين من أهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بأن المجوسية ظهرت بزرادشت وهو إنما جاء بعد موسى عليه الصلاة والسلام (ياتوك بكل ساحر عليم) أى ١١٢ ماهر فى السحر وقرىء بكل سحار عليم والجملة جواب الأمر (وجاء السحرة فرعون) بعد ما أرسل إليهم ١١٣ الحاشرين وإنما لم يصرح به حسبا فى قوله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين للإيذان بمسارعة فرعون إلى الإرسال ومبادرة الحاشرين والسحرة إلى الامتثال (قالوا) استئناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجىء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم إياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم (إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم حينئذ أو بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقرىء بإثباتها وقولهم إن كنا مجرد تعيين مناط ثبوت الأجر لا لتردد فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر أى إن كنا نحن الغالبين لا موسى (قال نعم) وقوله تعالى (وإنكم لمن المقربين) عطف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب ١١٤

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ٧ الأعراف

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ٧ الأعراف

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ٧ الأعراف

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ٧ الأعراف

فَغَلَبُوا هَٰنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ ٧ الأعراف

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ٧ الأعراف

- كانه قال إن لكم لا جراً وإنكم مع ذلك لمن المقربين للبالغة في الترغيب . روى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج منه (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل فإذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصددين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام (ياموسى إما أن تلقى) ما تلقى أولاً (وإما أن نكون نحن الملحقين) أى لما تلقى أولاً أو الفاعلين للإلقاء أولاً خيره عليه السلام بالبدء بالإلقاء مراعاة للأدب وإظهاراً للجلادة وأنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبى عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل (قال ألقوا) غير مبال بأمرهم
- أى ألقوا ما تلقون (فلبا ألقوا) ما ألقوا (سحروا أعين الناس) بأن خيلوا إليهم مالا حقيقة له (واسترهبوهم)
- أى بالغوا في إرهابهم (وجاءوا بسحر عظيم) فى بابيه . روى أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً
- ١١٧ كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضها وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يافكون (الفاء فصيحة أى ألقاها فصار تحية فإذا هى الآية وإنما حذف الإشعار بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لفها لما يافكون قد حصل متصلاً بالامر بالإلقاء وصيغة المضارع لا استحضر صورة اللقف الهائل والإفك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد ومأمورة أو موصوفة والعائد محذوف أى ما يافكونه ويזורونه أو مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) أى فثبت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون) أى ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هناك) أى فى مجلسهم (وانقلبوا صاغرين) أى صاروا أذلاء
- ١٢٠ مهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى (وألقى السحرة ساجدين) فإن ذلك كان بمحض من فرعون قطعاً أى خروا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم كيف لا وقد

٧ الأعراف

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾

٧ الأعراف

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ اِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومُوْهُ فِى الْمَدِيْنَةِ لِيُخْرِجُوْا مِنْهَا

٧ الأعراف

اَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿١٢٣﴾

٧ الأعراف

لَا قِطْعَن اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَا صَلْبَنَكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿١٢٤﴾

٧ الأعراف

قَالُوا اِنَّا اِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَ ﴿١٢٥﴾

- بهرم الحق واضطرم إلى ذلك (قالوا آمنا برب العالمين) (رب موسى وهرون) أبدلوا الثاني من ١٢١ ١٢٢
- الأول لثلاثتهم أن مرادهم فرعون . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بنى إسرائيل ستائة ألف (قال فرعون) منكراً على السحرة وموياً لهم على ما فعلوه (آمنتم به) ١٢٣
- بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في إن لنا لا جراً وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معاً وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين أى آمنتم بالله تعالى (قبل أن آذن لكم) أى بغير أن آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى لا أن الإذن منه ممكن في ذلك (إن هذا لمكر مكرتموه) يعنى إن ما صنعتموه ليس بما اقتضى الحال صدوره ●
- عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع موأطاة موسى (فى المدينة) يعنى مصر ● قبل أن تخرجوا إلى الميعاد . روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لأؤمن بك وفرعون يسمعهم وهو الذى نشأ عنه هذا القول (لتخرجوا منها أهلها) أى القبط وتخلص هى لك ولبنى إسرائيل ● وهاتان شبهتان ألقاهما إلى أسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع أعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من أن يؤمنوا بها لينعمهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام بإراءة أن إيمان السحرة مبنى على المواضعة بينهم وبين موسى وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم ومعلوم أن مفارقة الأوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتاً للقبط على ما هم عليه وتهيجاً لعداوتهم له عليه الصلاة والسلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهما أن له قوة وقدرة على المدافعة فقال (فسوف تعلمون) أى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتحويل ثم عقبه بالتفصيل فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلف) أى من كل شق طرفاً ١٢٤ (ثم لا صلبنكم أجمعين) نفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم . قيل هو أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى ● لقطع الطريق تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله (قالوا) استئناف مسوق للجواب ١٢٥

وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

٧ الأعراف

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

٧ الأعراف

- عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال السحرة عند ماسمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به أو تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتن على ما أعددوا من الإيمان (إنا إلى ربنا منقلبون) أى بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك أو لا فلا نبأى بوعيدك أو إنا إلى رحمة ربنا ونوابه منقلبون إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفاً على لقاء الله تعالى أو إنا جميعاً إلى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك (وما تنقم منا) أى وما تنكر وتعيب منا (إلا أن آمناً بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الأعمال وأصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضااتك ثم أعرضوا عن مخاطبته لإظهار ألمنا في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقرير آله ففزعوا إلى الله عز وجل وقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أى افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الأوثان وأدناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على ما رزقنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى أنتم ومن اتبعكم الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون) مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه السلام (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أى فى أرض مصر بتغيير الناس عليك وصرهم عن متابعتك (ويذرك) عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كافي قول الخطيئة [ألم أك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والإخاء] أى أكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وقرى بالرفع عطفاً على أتذر أو استثناءً أو حالا وقرى بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) ومعبوداتك قيل إنه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناماً وأمرهم بأن يعبدوها تقرباً إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرى وآلهتك أى عبادتك (قال) مجيباً لهم (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والسكينة بذهاب ملكنا على يديه وقرى سنقتل بالتخفيف (وإنا فوقهم قاهرون) كما كنا لم يتغير حالنا أصلاً وهم مقهورون تحت أيدينا ١٢٨ كذلك (قال موسى لقومه) تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه (استعينوا بالله واصبروا) على ما سمعتم من أقاويله الباطلة (إن الأرض لله) أى أرض مصر أو جنس

قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

٧ الأعراف

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

٧ الأعراف

- الأرض وهي داخلة فيها دخولا أولياً (بورئها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) الذين أنتم منهم وفيه إيدان بأن الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرىء والعاقبة بالنصب عطفاً على اسم إن (قالوا) أي بنو إسرائيل (أو زيناً) أي من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) أي بالرسالة يعنون بذلك قتل ١٢٩ أنبائهم قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعده (ومن بعد ما جئتنا) أي رسولا يعنون به ماتو عدم به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وأما ما كانوا يستعبدون به ويمتنعون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملازمة بالمقام (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسلياً لهم بالتصريح بما لوح به في قوله إن الأرض لله الخ (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) أحسننا أم قبيحاً فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد للتسليية وتحقيق للأمر قيل لعل الإتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم فقد روى أن مصر إنما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها فإن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لاستخلاف أولادهم وإنما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) شروع في ١٣٠ تفصيل مبادئ الهلاك الموعود وإيدان بأنه تعالى لم يمهلم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل ربت أسباب هلاكهم فتحولوا من حال إلى حال إلى أن حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها الغتان أشهرهما إجرأوها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالإضافة واللغة الثانية إجراء الإعراب على النون والكن مع الياء خاصة إما بإثبات تنوينها أو بحذفه قال الفراهي في اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحيث لا يحذف النون بالإضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر [دعاني من نجد فإن سنينه * لعين بنا شيباً وشيفنا مرداً] وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنين كسني يوسف باللغتين (ونقص من الثمرات) بإصابة الماهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة . قال ابن عباس رضي الله عنهما أما السنون فكانت لباديتهم وأهل ماشيتهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم (لعلهم يذكرون) كي يتذكروا ويتعظوا بذلك وينفروا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعتاد . قال الزجاج إن أحوال

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا
إِنَّمَا طَّيَّرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

٧ الأعراف

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَتَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

٧ الأعراف

- العدة ترقى القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع إليه تعالى ألا يرى إلى قوله تعالى وإذا
مسه الشر فذودوا عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون
١٣١ في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة) الخ بيان لعدم تذكركم وتماديهم في الغي أي
● فإذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات (قالوا لنا هذه) أي لأجلنا واستحقاقنا لها (وإن تصيبهم
● سيئة) أي جدد وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) أي يقشاهموا بهم ويقولوا ما أصابنا إلا بشؤمهم
وهذا كما ترى شاهد بكمال مساواة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فإن الهدا ترقى القلوب وتلين العرائك
لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عناداً وتعريف
الحسنة وذكرها بأداة التحقيق للإيذان بكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بها بالذات كما أن تسكير السيئة
● وإيرادها بحرف الشك للإشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الإرادة بها إلا بالعرض وقوله تعالى (ألا
إنما طأثروهم عند الله) استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره
بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه أي ليس سبب خيرهم إلا عنده تعالى وهو حكمه وشيئته
المتضمنة للحكم والمصالح أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى أي مكتوبة لديه فإنها
● التي ساقته إليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرىء إنما طيروهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له (ولكن
أكثرهم لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن
بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب
والبلاء باليس إلا بما كسبت أيديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً (وقالوا) شروع في بيان
١٣٢ بعض آخر مما أخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في أنفسهم آيات بينات وعدم ارعواهم مع
ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد أي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصاة السنين ونقص الثمرات
● (مهما تأتينا به) كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء وأصلها ما الجزاءية ضمت إليها ما المازية للتأكيد كما
ضمت إلى أين وإن في أينما تكونوا وإما نذهبن بك خلا أن ألف الأولى قلبت هاء حذراً من تكرير
المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت إليها ما الشرطية ومحلها الرفع
● بالابتداء أو النصب بفعل يفسره ما بعدها أي شيء تظن أنه لدينا وقوله تعالى (من آية) بيان لهم ما وتسميتهم
لها آية لمجراتهم على رأى موسى عليه السلام واستهزائهم بها والإشعار بأن عنوان كونها آية لا يؤثر
● فيهم وقوله تعالى (لنسحرنا بها) إظهار لكمال الطفيان والغلو فيه وتسمية الإرشاد إلى الحق بالسحر
وتسكير الأبصار والضمير أن المجروران راجعان إلى مهما وتذكير الأول لمراعاة جانب اللفظ لإيهامه

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

٧ الأعراف

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾

٧ الأعراف

- وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له (فما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك (فأرسلنا عليهم) عقوبة ١٣٣
- لجرائمهم لاسيما لقولهم هذا (الطوفان) أي الماء الذي طاف بهم وغشى أما كنهم وحرورهم من مطر أو سيل وقيل هو الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قمل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها (والضفادع والدم) روى أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج أحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيمهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وقاض الماء على أرضهم وركد فنعمهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة أيام فقالوا له عليه الصلاة والسلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن تؤمن بك فدعا فكشف عنهم فبنت من العشب والكلأ ما لم يعمد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا إليه عليه الصلاة والسلام لما ذكر فخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فأكل ما أبقتة الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه ثالثاً فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه رابعاً وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى والإسرائيلى على إناء فيكون ما يليه دماً وما يلي الإسرائيلى ماء على حاله ويمص من فم الإسرائيلى فيصير دماً في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) حال من المنصوبات
 - المذكورة (مفصلات) مبيّنات لا يشكّل على عاقل أنها آيات الله تعالى ونقمتها وقيل مفرقات بعضها من بعض لا متجان أحواهم وكان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل إنه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) أي عن الإيمان بها (وكانوا قوماً مجرمين) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها (ولما وقع عليهم الرجز) أي ١٣٤
 - العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة أي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بعهده عندك وهو
- ٣٤ - أبو السعود ج ٢، ٣

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا

يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

النُّبُوَّةُ أَوَّالُهَا عَهْدُ إِلَهِكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَيَجِيبَكَ كَمَا أَجَابَكَ فِي آيَاتِكَ وَهُوَ صِلَةٌ لَدَعِ أَوْحَالَ مِنَ الضَّمِيرِ فِيهِ

بِمَعْنَى ادْعُ اللَّهَ مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ بِمَا عَهْدُ عِنْدَكَ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ التَّمَاهُجُ مِثْلَ أَسْعَفْنَا إِلَى مَا نَطْلُبُ

● بِحَقِّ مَا عِنْدَكَ أَوْ قَسَمٍ أَجِيبْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ كَشَفْتُ عَنْكَ الرِّجْزَ) الَّذِي وَقَعَ عَلَيْنَا (لَنُرِيَنَّكَ وَلَنُرْسِلَنَّ

١٣٥ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) أَيْ أَقْسَمْنَا بِعَهْدِ اللَّهِ عِنْدَكَ لَنَنْ كَشَفْتُ الْخ (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوْه)

● أَيْ إِلَى حَدِّ مِنَ الزَّمَانِ هُمْ بِالْغَوْه فَيُعَذِّبُونَ بَعْدَهُ أَوْ مَهْلِكُونَ (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) جَوَابٌ لِمَا أَيْ فَلَمَّا كَشَفْنَا

١٣٦ عَنْهُمْ فَاجْتَوِ النَّكَثَ مِنْ غَيْرِ تَأَمَّلْ وَتَوَقَّفْ (فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أَيْ فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْتَقِمَ مِنْهُمْ لِمَا أَسْلَفُوا مِنْ

● الْمَعَاصِي وَالْجَرَائِمِ فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (فَأَغْرَقْنَاهُمْ) عَيْنُ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ فَلَا يَصِحُّ دُخُولُ الْفَاءِ بَيْنَهُمَا وَبِحُجُوزِ أَنْ

● يَكُونَ الْمُرَادُ مَطْلَقَ الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَالْفَاءُ تَفْسِيرِيَّةٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ احْ (فِي الْيَمِّ)

● فِي الْبَحْرِ الَّذِي لَا يَدْرِكُ قَعْرَهُ وَقِيلَ فِي لُجَّتِهِ (بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) تَعْلِيلٌ لِلْإِغْرَاقِ أَيْ كَانَ

إِغْرَاقُهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهَا وَعَدَمِ تَفَكُّرِهِمْ فِيهَا بِحَيْثُ صَارُوا كَالْغَافِلِينَ عَنْهَا

بِالْكَلْبَةِ وَالْفَاءُ وَإِنْ دَلَّتْ عَلَى تَرْتِيبِ الْإِغْرَاقِ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ النَّكَثِ لَكِنَّهُ صَرَحَ بِالتَّعْلِيلِ إِذْ بَدَأَ بِأَنْ مَدَارَ

جَمِيعِ ذَلِكَ تَكْذِيبُ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ مَزْجَةً لِلْسَامِعِينَ عَنْ تَكْذِيبِ

١٣٧ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ)

أَيْ بِالْإِسْتِعْبَادِ وَذَبْحِ الْآبَاءِ وَالْجَمْعُ بَيْنَ صِغَتَيِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْإِسْتِضَاعِ

وَتَجَدُّدِهِ وَهُمْ بَنُو إِسْرَءِيلَ ذَكَرُوا بِهَذَا الْعِنَانِ إِظْهَارًا لِكَمَالِ لُطْفِهِ تَعَالَى بِهِمْ وَعَظِيمِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ فِي

● رَفْعِهِمْ مِنْ حَضِيضِ الْمَذَلَّةِ إِلَى أَوْجِ الْعِزَّةِ (مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا) أَيْ جَانِبَيْهَا الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ حَيْثُ

مَلَكَهَا بَنُو إِسْرَءِيلَ بَعْدَ الْفِرَاعَةِ وَالْعِمَالِقَةِ وَتَصَرَّفُوا فِي أَكْثَانِهَا الشَّرْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ كَيْفَ شَاءُوا وَقَوْلُهُ

● تَعَالَى (الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا) أَيْ بِالْخُصْبِ وَسِعَةِ الْأَرْزَاقِ صِفَةً لِلْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَقِيلَ لِلْأَرْضِ وَفِيهِ ضَعْفٌ

● لِلانْفِصَالِ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ بِالْمَعْطُوفِ كَمَا فِي قَوْلِكَ قَامَ أُمُّ هَنْدٌ وَأَبُوهَا الْعَاقِلَةُ (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخُسْنَى)

وَهِيَ وَعْدُهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ كَمَا يُنْبِئُهُ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنَزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي

● الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ وَفِيهِ كَلِمَاتٌ لَتُعَدُّ لِلْمَوَاعِيدِ وَمَعْنَى تَمَّتْ مَضَتْ وَاسْتَمَرَّتْ (عَلَى

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾

٧ الأعراف

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفَاعِلُونَ ﴿١٣٩﴾

٧ الأعراف

- بنى إسرائيل بما صبروا (أى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه (ودرنا)
- أى خربنا وأهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من المهارات والقصور أى ودرنا الذى كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان يصنع خبر مقدم والجملة السكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد إلى ما الموصولة ويصنع مسند إلى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف أيضاً والتقدير ودرنا الذى كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودرنا الذى يصنعه فرعون الخ أى صنعه والعدول إلى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كهرح هامان وقرى يعرشون بضم الراء والكسر أفصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل (وجاوزنا بنى إسرائيل البحر) شروع فى قصة بنى إسرائيل ١٣٨ وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له شم الجبال تسلياً لرسول الله ﷺ وإيقاظاً للؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم وجاوز بمعنى جاوز وقرى جاوزنا بالتشديد وهو أيضاً بمعنى جاوز فعدى بالباء أى قطعنا بهم البحر . روى أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون فصاروه شكراً لله عز وجل (فأتوا) أى مروا (على قوم) قيل كانوا من لحم وقيل من العماقة الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم (يعكفون على أصنام لهم) أى يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرى بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل (قالوا) عند ما شاهدوا أحوالهم (يا موسى اجعل لنا إلهاً) مثلاً نعبده (كما لهم آلهة) الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وماموصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلهاً كأننا كالذى استقر هو لهم (قال إنكم قوم تجهلون) تعجب عليه السلام من قولهم هذا لآثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجمل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكد بقوله (إن هؤلاء) يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبر) أى مدمر مكسر (ما هم فيه) أى من الدين ١٣٩ الباطل أى يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاءاً وإنما جىء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق (وباطل) أى مضمحل بالكلية (ما كانوا يعملون) من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى فإنه كفر محض وليس هذا كافى قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً كما توهم فإن المراد به أعمال البر التى عملوها فى الجاهلية فإنها فى أنفسها حسنات

٧ الأعراف

قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

وَلَمَّا أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

٧ الأعراف

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمِيقَتْ رَبِّيَّةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ

٧ الأعراف

هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

لوقارنت الإيمان لاستتبعته أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر وفي إيقاع هؤلاء اسماً لأن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم الأمر وضون للتبار وأنه لا يعدوم البتة وأنه لهم هزيمة لازمة ليجزئهم عاقبة ما طلبوا ويغض إليهم ما أحبوا (قال أغير الله أبيعكم إلهاً) شروع في بيان شئون الله تعالى الموجهة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان أن ما طلبوا عبادته بما لا يمكن طلبه أصلاً لكونه هالكاً باطلاً ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه الصلاة والسلام والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير الإيذان بأن المنكر هو كون المبعث غيره تعالى لما أنه لا اختصاص الإنكار بغيره تعالى دون إنكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غيره على أنه مفعول أبيعكم محذوف اللام أي أبيعكم لكم أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلهاً إما تمييزاً أو حالاً أو على الحالية من إلهاً وهو المفعول لا يبنى على أن الأصل أبيعكم إلهاً غير الله فغير الله صفة لإلهاً فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالاً (وهو فضلكم على العالمين) أي والحال أنه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قبلوا تخصيص الله تعالى لإياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن عمدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته فجعلوه شريكاً له تعالى تباراً لهم ولما يعبدون (ولما أنجيناكم) تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون وقرى نجيناكم من التنجية وقرى أنجاءكم فيكون مسوقاً من جهة موسى عليه الصلاة والسلام أي واذكروا وقت إنجائنا إياكم (من آل فرعون) من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم في المسكنة والقدرة بل يهلكهم بالسكينة وقوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) من سامه خسفاً أي أولاه إياه أو كلفه إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجاءهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معاً لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له (وفي ذلكم) الإنجاء أو سوء العذاب (بلاء) أي نعمة أو محنة (من ربكم) من مالك أمركم فإن النعمة والنقمة كلتاها منه سبحانه وتعالى (عظيم) لا يقادر قدره (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله عدوم أناهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلف فيه فتسوك

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَبْصُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

٧ الأعراف

- فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ كُنَّا نَتَحَنَّنُ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةِ الْمَسْكِ فَأَفْسَدَتْهُ بِالسَّوَاكِ وَقِيلَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَمَا عَلِمْتَ
أَنْ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبَ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ
لِذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) وَالتَّعْبِيرُ عَنْهَا بِاللَّيَالِي لِأَنَّهَا غُرَرُ الشُّهُورِ وَقِيلَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى
● بِأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا بِمَا يَقْرِبُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فِي الْعَشْرِ وَكَلَّمَ فِيهَا
وَقَدْ أَجَلَ ذَكَرَ الْأَرْبَعِينَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفَصَّلَ هَهُنَا وَوَاْعَدْنَا بِمَعْنَى وَعَدْنَا وَقَدْ قَرِئَ كَذَلِكَ وَقِيلَ
الصَّيْغَةُ عَلَى بَابِهَا بِنَاءً عَلَى تَنْزِيلِ قَبُولِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْزِلَةَ الْوَعْدِ وَثَلَاثِينَ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَوَاْعَدْنَا بِمَحْذُفٍ
المُضَافِ أَيْ لِتَمَامِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً (فَمِ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) أَيْ بِالْغَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ
● هَارُونَ) حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى الْمُنَاجَاةِ حَسْبَ أَمْرِهِ (أَخْلَفَنِي) أَيْ كُنْ خَلِيفَتِي (فِي قَوْمِي) وَرَاقِبُهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ
● وَمَا يَنْدُرُونَ (وَأَصْلَحْ) مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِصْلَاحِ مِنْ أُمُورِهِمْ أَوْ كُنْ مُصْلِحًا (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) أَيْ
● لَا تَتَّبِعْ مِنْ سَبِيلِ الْإِفْسَادِ وَلَا تَقْطَعْ مِنْ دَعَاكَ إِلَيْهِ (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا) لَوْقَتِنَا الَّذِي وَقْتَنَاهُ وَاللَّامُ ١٤٣
لِلْإِخْتِصَاصِ أَيْ اخْتَصَّ بِمِيقَاتِنَا (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ كَمَا يَكَلِّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفِيهَا
● رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ جَهَةِ تَنْبِيْهِ عَلَى أَنْ سَمَاعُ كَلَامِهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ مِنْ
● جَنْسِ سَمَاعِ كَلَامِ الْمُحَدَّثِينَ (قَالَ رَبُّ أَرِنِي أَبْصُرَ إِلَيْكَ) أَيْ أَرِنِي ذَاتَكَ بِأَنْ تَمَكِّنَنِي مِنْ رُؤْيَيْكَ أَوْ تَنْجِلَنِي
لِي فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَرَاكَ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ رُؤْيَيْتَهُ تَعَالَى جَائِزَةٌ فِي الْجُمْلَةِ لَمَّا أَنْ طَلَبَ الْمُسْتَحِيلَ مُسْتَحِيلٌ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ لَا سِيَّمَا مَا يَقْتَضِي الْجَهْلُ بِشُكُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ رَدَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى لَنْ تَرَانِي دُونَ لَنْ أَرِي وَلَنْ أَرِيكَ
وَلَنْ تَنْظُرَ إِلَى تَنْبِيْهِ عَلَى أَنَّهُ قَاصِرٌ عَنْ رُؤْيَيْتِهِ لِتَوْقُفِهَا عَلَى مَعْدَى الرَّاْيِ وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ ذَلِكَ بَعْدَ وَجْعَلِ
السُّؤَالِ لِتَبْكِيَتِ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً خَطَأً إِذْ لَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُمْتَنِعَةً لَوْ جَبَّ أَنْ يَجْهَلَهُمْ وَيَزِيحَ
شَبْهَتَهُمْ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ حِينَ قَالُوا اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا وَأَنْ لَا يُتَّبَعَ سَبِيلُهُمْ كَمَا قَالَ لِأَخِيهِ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ
وَالِاسْتِدْلَالَ بِالْجَوَابِ عَلَى اسْتِحْجَالِهَا أَشَدَّ خَطَأً إِذْ لَا يَدُلُّ الْإِخْبَارُ بِعَدَمِ رُؤْيَيْتِهِ إِلَّا بِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَبَدًا
وَأَنْ لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ أَصْلًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَدُلَّ عَلَى اسْتِحْجَالِهَا وَدَعَايَ الْضَّرُورَةَ مَكَابِرَةً أَوْ جَهْلَ الْحَقِيقَةِ
الرُّؤْيَةِ (قَالَ) اسْتِثْنَا فِ مَبْنَى عَلَى سُّؤَالِ نَشَأَ مِنَ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ قِيلَ فَمَاذَا قَالَ رَبُّ الْعِزَّةِ حِينَ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ
● السَّلَامُ مَا قَالُ فَقِيلَ قَالَ (لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) اسْتِدْرَاكُ
● لِبَيَانِ أَنَّهُ لَا يُطَبِّقُ بِهَا فِي تَعْلِيلِهَا بِاسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى الْجَوَازِ ضَرْوَرَةَ أَنَّ الْمَعْلُوقَ بِالْمُمْكِنِ مُمْكِنٌ
وَالْجَبَلُ قِيلَ هُوَ جَبَلُ أَرْدَنِ (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) أَيْ ظَهَرَتْ لَهُ عَظَمَتُهُ وَتَصَدَّى لَهُ اقْتِدَارُهُ وَأَمْرُهُ وَقِيلَ
● أَعْطَى الْجَبَلَ حَيَاةً وَرُؤْيَةً حَتَّى رَأَاهُ (جَعَلَهُ دَكًّا) مَدْكُوكًا مُفْتَنًا وَالدُّقُّ أَخْوَانُ كَالشُّكِّ وَالشُّقُّ

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي نَخَذَ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

٧ الأعراف

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ نَخَذَ بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأَوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

٧ الأعراف

- وقرىء دكاء أى أرضاً مستوية ومنه ناقة دكاء للى لا سنام لها وقرىء دكاء أى قطعاً (وخر موسى
- صعباً) مغشياً عليه من هول ما رآه (فلما أفاق) الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما
- بسبب من الأسباب (قال) تعظيماً لما شاهده (سبحانه) أى تزيهاً لك من أن أسالك شيئاً بغير إذن
- منك (تبت إليك) أى من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن (وأنا أول المؤمنين) أى بعظمتك
- ١٤٤ وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى فى الدنيا وقيل بأنه لا يجوز السؤال بغير إذن منك (قال ياموسى)
- استئناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن منعتك
- الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحداً من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها (إني اصطفتيك)
- أى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك (على الناس) أى المعاصرين لك وهرون وإن كان نبياً كان ما موراً
- باتباعه وما كان كلياً ولا صاحب شرع (برسالاتى) أى بأسفار التوراة وقرىء برسالتى (وبكلامى)
- وبتكليمى إياك بغير واسطة (نخذ ما آتيتك) أى أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين)
- ١٤٥ على ما أعطيت من جلائل النعم . قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا
- له فى الألواح من كل شيء) أى بما يحتاجون إليه من أمور دينهم (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) بدل من
- الجار والمجرور أى كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلاف فى عدد الألواح وفى جوهرها
- ومقدارها فقيل إنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وإنما كانت من زمردة جاء بها جبريل
- عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل أمر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة
- صماء لينهاه فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن رضى الله عنه كانت من خشب نزلت من السماء فيها
- التوراة وإن ظو لها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة
- لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل رضى الله عنه كتب فى
- الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا أبى شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعفوا الوالدين
- (نخذها) على إضمار قول معطوف على كتبنا أى فقلنا خذها (بقوة) بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله
- تعالى نخذ ما آتيتك والضمير للألواح أول كل شيء لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتوراة (وأمر قومك
- يأخذوا بأحسنها) أى بأحسن ما فيها كالغفر والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب
- والحث على اختيار الأفضل كما فى قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها فإنها

سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

٧ الأعراف

أحسن من المباح وقيل المعنى بأخذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى
ولذكر الله أكبر وقيل هو أن تحمل الكلمة المحملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها
إلى الصواب (سأريكم دار الفاسقين) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق
الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار
الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتهم وهى الخالية عن أهلها غاوية على عروشها
موجبة للاعتبار والانزعاج عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد
والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبارة والعمالة بالشام فإنها
أيضاً بما أتىح لبنى إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة
التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيثار ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة
كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرى سأورثكم ولعله
من أورث الزندأى سأبينها لكم وقوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) استئناف ١٤٦
مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكير في الآيات التي هى ما كتب في ألواح التوراة من الموعظ
والأحكام أو ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد إرأته من دار الفاسقين ومعنى
صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لإصرارهم على مام عليه
من التكبر والتعجب كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لإظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع أن في المؤخر نوع طول يحل تقديمه بتجاوب أطراف
النظم الجليل أى سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا
فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغائم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا
أمنائهم وقيل المعنى سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال ما رآه من الآيات
فأبى الله تعالى إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا فالأنسب أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبارة
والعمالة المشهورين بالفسق والتكبر في الأرض ويارأيتها للخطابين لإدخالهم الشام وإسكانهم في
مسكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون
قوله تعالى سأصرف عن آياتي الخ جواباً عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد
بالآيات ما تلى آتفاً ونظائره وبصرفهم عنها إزالتهم عن مقام معارضتها وما نعتها لوقوع أخبارها وظهور
أحكامها وآثارها ياهلاكم على يد موسى عليه الصلاة والسلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني إسرائيل

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ٧ الأعراف
وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمُ خُورَ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ٧ الأعراف

- أو بغيرياتهم على اختلاف الروايتين إلى أريحا وبوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو إسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساءلكمهم وإنما عدل إلى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى (بغير الحق) إما صلة للتكبر أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط أو متعلق بمحذوف هو حال من فاعله أى يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) عطف على يتكبرون داخل معه فى حكم الصلة والمراد بالآية إما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها أو ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسمع والإبصار أى وإن يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم أى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتنابهم إياها كما هى وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) عطف على ما قبله داخل فى حكمه أى لا يتوجهون إلى الحق ولا يسلكون سبيله أصلاً لا سبيله الشيطنة عليهم ومطبوعتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفنحتين وقرئ الرشاد وثلاثه الغات كالسقم والسقم والسقام (وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) أى يختارونه لا أنفسهم مسلكاً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه
- لموافقته لا هوأتهم الباطلة وإفضائه بهم إلى شهواتهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات وإعراضهم عن سبيل الرشاد وإقبالهم التام إلى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى حاصل بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القباح وعلى حقيقة أضدادها (وكانوا عنها غافلين) لا يتفكرون فيها وإلا لما فعلوا ما فعلوا من الأباطيل ويجوز أن يكون إشارة إلى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الإشعار بعلمية ما فى حيز الصلة كيف لا وقد مر أن ذلك فى قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز أن يكون إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللاً بالكفر بآيات الله صريحاً وقيل محل اسم الإشارة النصب على المصدر أى ساءصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى وبلقائهم الدار الآخرة أو لقائهم ما وعده الله تعالى فى الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (حبطت أعمالهم) خبره أى ظهر بطلان أعمالهم التى كانوا عملوها من صلة الأرحام وإغاثة الملهوفين
- ونحو ذلك أو حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير إيمانهم بها (هل يجزون) أى لا يجزون (إلا ما كانوا يعملون) أى إلا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده) أى من بعد ذهابه إلى الطور (من حلبيهم) متعلق باتخذ كالجار الأول لا اختلاف معنيهما فإن الأول للابتداء

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

٧ الأعراف

الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

- والثاني للتبويض أو للبيان أو الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا بما بعده إذ لو تأخر لكان صفة له وإضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط لأدنى الملايسة حيث كانوا استعاروها من أربابها قبيل الفرق فبقيت في أيديهم وأما أنهم ملكوها بعد الفرق فذلك منوط بتملك بنى إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيها بينهم فلا يساعده قولهم حملنا أوزاراً من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى كندى وثدى وقرى بكسر الحاء بالاتباع كدلى وقرى حليهم على الأفراد وقوله تعالى (عجلاً) مفعول اتخذ آخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والنشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقيل هو متعدد إلى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أى إلهاً وقوله تعالى (جسداً) بدل من عجلاً أى جثثاً دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح معه وقوله تعالى (له خوار) أى صوت بقر وقرى بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلاً . روى أن السامري لما صاغ العجل ألقي في فمه تراباً من أثر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام وقد كان أخذه عند فلق البحر أو عند توجهه إلى الطور فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الريح في جوفه فيصوت والآنسب بما في سورة طه هو الأول وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد منهم وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه وإما لأن المراد بالاتخاذ اتخاذهم إياه إلهاً لا صنعه وإحداثه (ألم يروا أنه لا يكلمهم) استئناف مسوق لتقريرهم وتشنيعهم وتركيب عقولهم وتفسيرهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذ إلهاً أى ألم يروا أنه ليس فيه شيء من أحكام الألوهية حيث لا يكلمهم (ولا يهديهم سبيلاً) بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه إلهاً وقوله تعالى (اتخذوه) أى فعلوا ذلك (وكانوا ظالمين) أى واضعين للأشياء في غير موضعها فلم يكن هذا أول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه (ولما سقط في ١٤٩ أيديهم) أى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعرض يده غماً فتصير يده مسقوطة فيها وقرى سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل (ورأوا أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل أى تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخراً عنها للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعتة كأنه سابق على الرؤية (قالوا) والله (لئن لم يرحمنا ربنا) يأنزال التوبة المكفرة (ويغفر لنا) ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التولية إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق لإرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما أشير إليه وفي قوله تعالى (لنكونن من الخاسرين) لجواب القسم وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول وإن كان بعد ٣٥٥ - أبو السعود ج ٢ ،

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَيْنَ أَسْفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْلَيْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾

٧ الأعراف

- ١٥٠ عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد (ولما رجع موسى إلى قومه) شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات لإثريان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى (غضبنا أسفاً) حالان من موسى عليه السلام أو الثاني من المستكن في غضبان والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين (قال بنسما خلفتموني من بعدى) أى بنسما فعلتم من بعد غيبي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلى من توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه أبصاركم حيث قلتم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري وأشباؤه أو بنسما قتم مقامى ولم تراعوا عمدي حيث لم تكفوا العبادة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبي عنه قوله تعالى قال ياهرون ما منعك إذ رأيتم ضلوا أن لا تتبعن أفصيت أمرى ويجوز أن يكون الخطاب للكل على أن المراد بالخليفة ما يعم الأمرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بنس المستكن فيه والخصوص بالذم محذوف تقديره بنس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم (أعجلتم أمر ربكم) أى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الأمرين وقدرتم موقى وغيرتم بعدى كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم (وألقي الألواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حية الدين . روى أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها التى كان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والأحكام (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه عليهما السلام (يجرّه إليه) حال من ضمير أخذ فعله عليه السلام توها أنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولاً ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل (قال) أى هرون مخاطباً لموسى عليهما السلام (ابن أُمَّ) بحذف حرف النداء وتخصيص الأمم بالذكر مع كونهما شقيقين لما أن حق الأمم أعظم وأحق بالمراعاة مع أنها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرىء بكسر الميم بإسقاط الياء تخفيفاً كالمندى المضاف إلى الياء وقرأة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدى في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلى (فلا تشمت بي الأعداء) أى فلا تفعل بي ما يكون سبباً لشمتهم بي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى معدوداً في عدادهم بالمواخذة أو النسبة إلى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل أولاً تعتقد أنى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم .

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾
 ٧ الأعراف
 إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبِيلَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
 ٧ الأعراف

- (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال (رب اغفر لي) أى ما فعلت بأخى من غير ذنب مقرر من قبله (ولأخى) إن فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تهم شمتهم به ولأخيه للإيدان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم (وأدخلنا فى رحمتك) بمزيد الإيناع بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فلا غرو فى انتظامنا فى سلك رحمتك الواسعة فى الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله (إن الذين اتخذوا العجل) أى تموا على اتخاذه ١٥٢ واستمروا على عبادته كالسامرى وأشباعه من الذين أشربوه فى قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثانى عبارة عن التاممين فإن ذلك صريح فى أن الموصول الأول عبارة عن المصيرين (سينالهم) أى فى الآخرة (غضب) أى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما أن جرمهم أعظم الجرائم وأقبح الجرائم وقوله تعالى (من ربهم) أى مالكم متعلق بينالهم أو بمحذوف هو نعت لغضب مؤكداً لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائن من ربهم (وذلة فى الحياة الدنيا) هى ذلة الاغتراب التى تضرب بها الأمثال والمسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعاً والذلة التى اختص بها السامرى من الانفراد عن الناس والابتلاء بلامساس . يروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حماً جميعاً فى الوقت وإيراد ما نالهم فى حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الأخلاق على حال الأسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم واعتذر عن السين بأن ذلك حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بأنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقاً على الغضب وأنت خير بأن سباق النظم الكريم وسياقه نأبيان عن ذلك نبواً ظاهراً كيف لا وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفتريين) (ينادى على خلافه فإنهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وأيضاً ليس يجزى الله تعالى كل المفتريين بهذا الجزاء الذى ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم أبناؤهم المعاصرون لرسول الله ﷺ فإن تعبير الأبناء بأفاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً الآية وقوله تعالى وإذ قتلتم باموسى الآية والمراد بالغضب الغضب الآخرى وبالدلة ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير فى ينالهم أخلافهم ولا ريب فى أن توسيط حال هؤلاء فى تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (والذين عملوا السيئات) أى سيئة كانت .

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ٧ الأعراف
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ٧ الأعراف

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ
مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٧ الأعراف

- ١٥٣ (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أى من بعد عملها (وآمنوا) إيماناً صحيحاً خالصاً واشتغلوا
● بإقامة ما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى (إن ربك من بعدها)
● أى من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان (لغفور) للذنوب وإن عظمت وكثرت (رحيم) مبالغ في إفاضة
فنون الرحمة الدنيوية والأخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للنشريف
١٥٤ (ولما سكنت عن موسى الغضب) شروع في بيان بقية الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى مصر وتائب
والإشارة إلى مال كل منهما إجمالاً أى لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا صريح في
أن ما حكى عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجى موسى عليه الصلاة والسلام وفي هذا النظم الكريم
من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الأمر بذلك
المغرى عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرى مسكن وسكت وأسكت على
● أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون (أخذ الألواح) التى ألقاها (وفي نسختها) أى فيما نسخ
● فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الألواح المنكسرة (وهدى) أى بيان
● للحق (ورحمة) للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصالح (الذين هم لربهم يرهبون) اللام الأولى متعلقة
بمحذوف هو صفة لرحمة أى كائنة لهم أو هى لام الأجل أى هدى ورحمة لأجلهم والثانية لتقوية عمل
الفعل المؤخر كما في قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هى أيضاً لام العلة والمفعول محذوف أى يرهبون
١٥٥ المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة (واختار موسى قومه) شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة
وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما مجرور بمن أى اختار من قومه محذوف الجار وإيصال
الفعل إلى المجرور كما في قوله [اختارك الناس اذرت خلافتهم] واعتل من كان يرجى عنده السؤل |
● أى اختارك من الناس (سبعين رجلاً) مفعول لاختار آخر عن الثانى لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم
● والتشويق إلى المؤخر (لميقاتنا) الذى وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذى ذكر

- قبل ذلك كما قيل . قال السدى أمره الله تعالى بأن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعداً فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلاً وقال محمد بن إسحق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراهم من قومهم قالوا اختار عليه الصلاة والسلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه الصلاة والسلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب وبوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجداً فسمعوه تعالى يكلم موسى بأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الأمر بقتل أنفسهم توبة (فلما أخذتهم الرجفة) مما اجتمعوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروى أنه لما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى عليه السلام وقالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جبهة فآخذتهم الرجفة أى الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها أى ماتوا ولعلمهم أرادوا بقولهم لن تؤمن لك لن نصدقك فى أن الأمر بما سمعنا من الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قالوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياساً فاسداً حين شاهد موسى تلك الحالة الهائلة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها (وإياي) أيضاً حين طلبت منك الرؤية أى لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لا أهلكتنا حينئذ أراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعنى إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موافقه إلا عدم مشيتك إياه فحيث لطف بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو فى أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضاً وحمل الكلام على التقى بأباه قوله تعالى (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى الذين لا يعطون تفاصيل شئونك ولا يثبتون فى المداحض والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك فقه بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الأنبارى أو للاستعطاف كما قاله المبرد أى لا تهلكنا (إن هى إلا فتنك) استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلظهم أى ما الفتنه التى وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة إلا فتنك أى محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فافتنوا بذلك ولم يثبتوا فطمعوا فيها فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى (فضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) إما استئناف مبين لحكم الفتنه أو حال من فتنك أى حال كونها مضللاً بها الخ أى فضل بسببها من تشاء إضلاله فلا يهتدى إلى الثبوت وتهدى من تشاء هدايته إلى الحق فلا يتزلزل فى أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أى القائم بأمرنا
- الدينية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصى والفناء لترتيب الهداء على ما قبله من الولاية كأنه قيل فن شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل إن إقدامه عليه الصلاة والسلام على أن يقول إن هى إلا فتنك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها (وارحمنا) بإحاطة آثار الرحمة الدينية والأخروية علينا (وأنت خير الغافرين) اعتراض تذييل مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأم بمسبب المقام .

وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَادَتِنَا يُوْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

٧ الأعراف

- ١٥٦ (واكتب لنا) أى عين لنا وقيل أوجب وحقق وأثبت (في هذه الدنيا حسنة) أى نعمة وعافية
- أو خصلة حسنة . قال ابن عباس رضى الله عنهما أقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة (وفي الآخرة) أى واكتب لنا فيها أيضاً حسنة وهى المثوبة الحسنى والجنة (إننا هُدينا إليك) أى تبنا وأبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرىء بكسر الهاء من هاده يهده إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنياً للفاعل أو للمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك وتجوز أن تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة بما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن التوبة مما يوجب قبله بموجب الوعد المحثوم وتصديرها بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة فى التوبة والمعنى إنا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جنتك للاعتذار عنها وعما وقع ههنا من طلب الرؤية فبعد من لطفك وفضلك أن لا تقبل توبة التائبين قيل لما أخذتهم الرجفة ماتوا جميعاً فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام يتضرع إلى الله تعالى حتى أحياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه الصلاة والسلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فاذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال (عذابى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل يقتلهم أنفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى خصلة حسنة طارية عن المشقة والشدة فإن فى قتل أنفسهم من العذاب والتشديد مالا يخفى فأجاب تعالى بأن عذابى شأنه أن أصيب به من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيرى فيه وهم ممن تناولته مشيتى ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوى (ورحمى وسعت كل شيء) أى شأنها أن تسع فى الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها فى ضمن العذاب الدنيوى وفى نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضى إيدان بأن الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فبمقتضى معاصى العباد والمشيئة معتبرة فى جانب الرحمة أيضاً وعدم النصريح بها للإشعار بغاية الظهور ألا يرى إلى قوله تعالى (فسأكتبها) أى أثبتها وأعينها فإنه متفرع على اعتبار المشيئة كأنه قيل فإذا كان الأمر كذلك أى كما ذكر من إصابة عذابى وسعة رحمى لكل من أشاء فسأكتبها كنية كائنة كادعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الخ أى سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب
 - الدنيوى (الذين يتقون) أى الكفر والمعاصى إما ابتداء أو بعد ملامستهما وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وإن كانت مقارنة للعذاب الدنيوى (ويؤتون

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

٧ الأعراف

- (الزكاة) وفيه أيضاً تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلاة إنما لم تذكر مع إيمانها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيراد إيتاء الزكاة لما مر من التعريض (والذين هم بآياتنا) جميعاً (يؤمنون) إيماناً مستمراً من غير إخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام وبما سيحجى بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع أن المراد به عين ما أريد بالموصول الأول دون أن يقال ويؤمنون بآياتنا عطفاً على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما أشير إليه من القصر بتقديم الجار والمجرور أي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحى إليه كتاباً مختصاً به (النبي) أي صاحب ١٥٧ المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة إليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة إلى الأمة (الأمي) بضم الهمزة نسبة إلى الأم لأنه كانه باق على حاله التي ولد عليها من أمه أو إلى أمة العرب كما قال ﷺ إنا أمة لا نحسب ولا نكتب أو إلى أم القرى وقرى بفتح الهمزة أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الأولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول بدل الكل أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه أي أعنى الذين أو هم الذين وأما جملة مبتدأ على أن خبره يأمرهم أو أولئك هم المفلحون فغير سديد (الذي يجدونه مكتوباً) باسمه ونعوته بحيث لا يشكون أنه هو ولذلك عدل عن أن يقال يجدون اسمه أو وصفه مكتوباً (عندهم) زيد هذا لزيادة التقرير وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلاً (في التوراة والإنجيل) اللذين تعبد بهما بنو إسرائيل سابقاً ولا حقاً والظرفان متعلقان بيجدون أو بمكتوباً وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي ﷺ والقرآن الكريم قبل مجيئهما (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض أحكام الرحمة التي وعد فيها سبق بكتبتها إجمالاً فإن ما بين فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وإسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار رحمته الواسعة وقيل في محل نصب على أنه حال مقدرة من مفعول يجدونه أو من النبي أو من المستكن في مكتوباً أو مفسر لمكتوباً أي لما كتب (ويحل لهم الطيبات) التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

٧ الأعراف

النفس كتميعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
 النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم السبت . وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل إذا قاموا
 يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة
 وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرىء أصارهم أصل الأصر الثقل الذي يأصر صاحبه من
 الحراك (فالذين آمنوا به) تعلم السكينة اتباعه عليه الصلاة والسلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واعتناهم
 منافع الرحمة الواسعة في الدارين إثر بيان نعوته الجليلة والإشارة إلى إرشاده عليه الصلاة والسلام لإياهم
 بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه
 في أوامره ونواهيه (وعزوه) أي عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرىء بالتخفيف وأصله
 المنع ومنه التعزير (ونصروه) على أعدائه في الدين (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي مع نبوته وهو
 القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره أو مظهر للحقائق كاشفاً عنها لمناسبة
 الانبعاث ويجوز أن يكون معه متعلقاً باتباعوا أي واتباعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسفته
 وبما أمر به ونهى عنه أو اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه (أولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث
 اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد الإيذان بعلود رجعتهم
 وسوء طبعهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة (هم المفلحون) أي هم
 الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عليه الصلاة
 والسلام دخولا أولاً حيث لم ينجوا غما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق
 والتطبيق بين دعائه عليه الصلاة والسلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من أنه لما دعا نفسه ولبنى إسرائيل
 أجيب بما هو منطوق على توبيخ بنى إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته
 العظام التي أجراها على يد موسى عليه الصلاة والسلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون
 وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله عليه السلام وبما جاء به كعبدة الله بن سلام
 وغيره من أهل الكتابين لطفاً بهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح (قل يا أيها الناس إني
 رسول الله إليكم) لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله عليه السلام وشرف من يتبعه من أهل ما ونيهم
 لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه
 كائناً من كان ببيان عموم رسالته للتقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام بأقوامهم وإرسال
 موسى عليه السلام إلى فرعون وملكه بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه

- وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فتنة الباغية وإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وأما العمل بأحكام النوراة فنختص ببني إسرائيل (جميعاً) حال من الضمير في إليكم (الذي له ملك السموات والأرض) منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى (لا إله إلا هو) بيان لما قبله من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وقوله تعالى (يحي ويميت) لزيادة تقرير الوهيته والقضاء في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته ﷺ وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للبيان في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله (الذي لا اله الا هو) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووجه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن تنبيهاً على أن المأمور به هو الإيمان به عليه الصلاة والسلام من حيث أنزل عليه القرآن لا من حيثية أخرى أو على أن المراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام تعريضاً لليهود وتنبيهاً على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) علة للفعلين أو حال من فاعليهما أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له وفي تعليقه بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلال (ومن قوم موسى) كلام ١٥٩ مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يورمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمقتضى رسول الله ﷺ من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم (أمة يهدون) أي الناس (بالحق) أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعدلون) أي في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ وبآبائه أنه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترأوا على قتل الأنبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه ستة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أو صانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة

وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

٧ الأعراف

- ١٦٠ مع أن منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد (وقطعناهم) أى قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى (اثنتى عشرة) ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة أو القطعة أى صيرناهم اثنتى عشرة أمة أو قطعة متميزاً بعضها من بعض أو حال من مفعوله أى فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى (أسباطاً) بدل منه ولذلك جمع أو يميزه على أن كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى (أُمَمًا) على الأول بدل بعد بدل أو نعت لا سباطاً وعلى الثانى بدل من أسباطاً (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه) حين استولى عليهم العطش في التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقاهاهم إياه عليه الصلاة والسلام بل باستسقاهاهم لقوله تعالى وإذا استسقى موسى قومه وقوله تعالى (أن اضرب بعصاك الحجر) مفسر لفعل الإيحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة (فانبجست) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلاً على كمال الظهور وإيداناً بغاية مسارعة عليه السلام إلى الامتثال وإشعاراً بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبهاً على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق الضرب كفى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فاضرب فانبجست (منه اثنتا عشرة عيناً) بعدد الأسباط وأما ما قيل من أن التقدير فإن ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم النزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها (قد علم كل أناس) كل سبط عبر عنهم بذلك إيداناً بكثرة كل واحد من الأسباط (مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم (وظللنا عليهم الغمام) أى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن ياقاتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسرون بضوئه (وأنزلنا عليهم المن والسوى) أى الترنجيبين والسمانى . قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبج الرجل منه ما يكفيه (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) أى مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسوى (وما ظللونا) رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطاهم وهو معطوف على جملة محذوفة للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غنى عن النصريح به أى فظللوا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظللونا بذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لإفادة القصر الذى يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
تَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾

٧ الاعراف

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

٧ الاعراف

- التحكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تواليهم فيما هم فيه من الظلم والكفر (وإذ ١٦١
قيل لهم) منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ وإيراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده إليه تعالى
كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والإيدان بالغي عن
التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ أى اذكر لهم وقت قوله تعالى
لأسلافهم (اسكنوا هذه القرية) منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا
وهى بيت المقدس وقيل أريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العماقة رأسهم
عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا إيدان بأن المأمور به فى سورة البقرة هو الدخول على لوجه السكنى
والإقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغداً فى قوله تعالى (وكلوا منها) أى من مطاعمها وثمارها على أن من
تبعيضية أو منها على أنها ابتدائية (حيث شئتم) أى من نواحيها من غير أن يراحمكم فيها أحد فإن الأكل المستمر
على هذا الوجه لا يكون إلا رغداً أو اسعاً وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زماناً بخلاف الدخول
فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا (وقولوا حطة) أى مسئلتنا أو أمرك حطة لذنو بنا وهى
فعلة من الخط كالجلسة (وادخلوا الباب) أى باب القرية (سجداً) أى متطامنين مخبتين أو ساجدين
شكراً على إخراجهم من التيه وتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور فى سورة البقرة
غير محل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان المراد
بالقرية أريحاء فقد روى أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى إسرائيل أو
بذرائعهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة المائدة وأما إن كانت بيت المقدس فقد روى
أنهم لم يدخلوها فى حياة موسى عليه السلام فقبل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون إليها (تغفر لكم
خطيئكم) وقرىء خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيئكم وخطاياكم وخطيئكم على البناء للمفعول
(سنزيد المحسنين) عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لأنه استئناف مقرب
على تقدير سؤال نشأ من الإخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان (فبدل الذين ظلموا منهم) بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا ١٦٢
موضعهم (قولاً) آخر مما لا خير فيه . روى أنهم دخلوه زاحفين على أستاههم وقالوا مكان حطة حطة
وقيل قالوا بالنبطية خطأ شمتاناً يعنون حطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى واستهزاءً بموسى عليه الصلاة

وَسَعَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ٧ الأعراف

- والسلام وقوله تعالى (غير الذي قيل لهم) نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعاً تحفيظاً
- للمخالفة وتنصيصاً على المغايرة من كل وجه (فأرسلنا عليهم) إثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة
- البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والإرسال من فوق فيكون كالإزال (رجزاً من السماء) عذاباً
- كائناتاً منها والمراد الطاعون . روى أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (بما كانوا يظلمون)
- بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل
- فقط كما يشعر به ترتيب الإرسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التحليل لما أن الحكم هنا مترتب على المضمر
- دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة وأما التحليل بالفسق بعد الإشعار بعلية الظلم فقد مروجاه هناك
- ١٦٣ والله تعالى أعلم (واسألهم) عطف على المقدر في إذ قيل أي وأسأل اليهود للمعاصرين لك سؤال تقرير
- وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى وإعلاماً لهم بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف
- عليها إلا من مارس كتبهم قد أحاط به النبي ﷺ خبراً وإذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لأنه ﷺ بمزله من
- ذلك تعين أنه من جهة الوحي الصريح (عن القرية) أي عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من
- الداهية الدهياء وهي أيلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية وللعرب تسمى المدينة قرية
- (التي كانت حاضرة البحر) أي قريبة منه مشرقة على شاطئه (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون حدود
- الله تعالى بالصيد يوم السبت وإذ ظرف للبضاف المحذوف أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة
- وليس بذلك إذ لا إقامة في تقييد الكون أو الحضور بوقت العدوان وقرىء يعدون وأصله يعدون
- ويعدون من الأعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير
- العبادة (إذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل والاول هو الاول لأن السؤال عن
- عدواتهم أدخل في التقرير والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونيان لفظاً ومعنى
- وإضافتها إليهم للإشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر أفراد الجنس من الخواص
- الخارقة للعادة أو لأن المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وإن ما ذكر من الإتيان وعدمه لا اعتبارها
- أحوالهم في عدم التعرض يوم السبت (يوم سبتهم) ظرف لتأتيهم أي تأتيهم يوم تعظيمهم لأن أمر السبت
- وهو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم
- بأحكام فيه ويؤيد الأول قراءة من قرأ يوم أسبائهم وقوله تعالى (شرعاً) جمع شارع من شرع عليه
- إذا دنا وأشرف وهو حال من حيتانهم أي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قرية من الساحل
- (ويوم لا يسبتون) أي لا يراعون أمر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو
- المتبادر بل مع انتفائهما معاً أي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله [ولا ترى غضب بها ينجر] وقرىء

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

٧ الأعراف

- لا يستبشرون من أسبت ولا يستبشرون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يندار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما أمروا به يوم السبت (لا تأتيتهم) كما كانت تأتيتهم يوم السبت حذاراً من صيدهم وتغيير للسبك حيث لم يقل ولا تأتيتهم يوم لا يستبشرون لما أن الإخبار يأتيانها يوم سبتهم مظنة أن يقال فإذا حالها يوم لا يستبشرون فقبل يوم لا يستبشرون لا تأتيتهم (كذلك نبلوهم) أى مثل ذلك اليلاء المجيب للظنيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدواتهم وتواخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتهما والتعجب منها (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيقتي الماضي والمستقبل لكن لافى تلك المادة فإن فسقهم فيها لا يكون سبباً للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر فى كل ما يأتون وما يذرون وقبل كذلك متصل بما قبله أى لا تأتيتهم مثل ما تأتيتهم يوم سبتهم فبالجملة بعده حيثند استئناف مبنى على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى (وإذ قالت) ١٦٤
- عطف على إذ يعدون مسوق لتأديهم فى العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والإنذارات (أمة منهم) أى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظمتهم متن كل صعب وذلول حتى ينسوا من احتمال القبول
 - لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة فى الأعذار وطمعاً فى فائدة الإنذار (لم تعظون قوماً الله مهلكهم) أى مخترهم بالكلية ومطر الأرض منهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) دون الاستئصال
 - بالمرّة وقبل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا أو معذبهم فى الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم مهلكون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة فى أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيباً للقوم أو سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحض من القوم حشاً لهم على الاتعاط فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم بما يلحق فى قلوبهم الخوف والحشية وقبل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعظّم ردّاً عليهم وتهكّاهم
 - وليس بذلك كما ستقف عليه (قالوا) أى الوعاظ (معذرة إلى ربكم) أى نعظمهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له وهو الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى مو عظمتنا معذرة إليه تعالى حتى لا تنسب إلى نوع تفریط فى النهى عن المنكر وفى إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين (ولعلهم يتقون) عطف على معذرة أى ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى أن القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة وإلا لوجب الخطاب .

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

٧ الأعراف

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

٧ الأعراف

١٦٥ (فلما نسوا ما ذكروا به) أى تركوا ما ذكروهم به صلاحاً ثم ترك الناسى للشيء وأعرضوا عنه إعرافاً

● كلياً بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفريقان

المذكوران وإخراج لإنجائهم مخرج الجواب الذى حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لإهلاكهم لما أن ما فى حيز الشرط شيان النسيان والتذكير كأنه قيل فلما ذكر المذكرون

ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين وأما تصدير الجواب بإنجائهم فلما مر مراراً من

● المسارعة إلى بيان نجاتهم من أول الأمر مع ما فى المؤخر من نوع طول (وأخذنا الذين ظلموا)

● بالاعتداء ومخالفة الأمر (بعذاب بئس) أى شديد وزنا ومعنى من يؤس يؤس بأساً إذا اشتد وقرىء

بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء

ككبد فى كبد ويئس بقلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب ويئس كريس بقلب همزة بئس ياء وإدغام الياء

● فيها ويئس على تخفيف يئس كمين فى هين وتكثير العذاب للتفخيم والتهويل (بما كانوا يفسقون) متعلق

بأخذنا كالباء الأولى ولا ضمير فيه لاختلافهما معنى أى أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماذيهن فى

الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضاً وإجراء الحكم على الموصول وإن أشعر

بعلية ما فى حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور لإيداناً بأن العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان

مع اعتبار كون ذلك خروجاً عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان وإلا لما أخرجوا عن ابتداء

المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا

١٦٦ فى الغى ففسخهم بعد ذلك لقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) أى تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا

● ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين أذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر

التسكوبي لا القولى وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للإيدان بأنه ليس لخصوصيات

الحوت بل العمدة فى ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئس هو

المسخ والجملة الثانية تقرير للأولى . روى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه

واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم

الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها

ولا تأتهم فى سائر الأيام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتهم عن أخذها

يوم السبت فاتخذوا حياءً سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت

فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً وربط فى ذنبه خيطاً إلى

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

٧ الأعراف

وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

٧ الأعراف

خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ربح السمك فتطالع في تنوره فقال له إني أرى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في يوم السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم استمروا
على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً تلك
استمروا على النهي وتلك ملوا التذكير وستموه وقالوا للواغظين لم تعظون الخ وتلك باشروا الخطيئة
فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لانساكنكم فقسموا القرية بحدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم
داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن لهم لشأنا
فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحو الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابهم من الإنس وهم
لا يعرفونها فجعل القردياً نسيبه فيشم ثيابه فيبيكي فيقول له نسيبه ألم ننمكم فيقول القردي برأسه بلى ثم
ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد رضى الله عنه مسخت قلوبهم
وقال الحسن البصرى أكلوا والله أو خم أكلها أهلها أنقلها خزيماً في الدنيا وأطولها عذاباً في الآخرة
هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعداً
والساعة أدهى وأمر (وإذ تأذن ربك) منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم ١٦٧
وتأذن بمعنى آذن كما أن توعد بمعنى أوعد أو بمعنى عزم فإن العازم على الأمر يحدث به نفسه وأجرى
يجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك أجيب بجوابه حيث قيل (ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة) أى
● واذكر لهم وقت إيجابه تعالى على نفسه أن يسلط على اليهود البتة (من يسومهم سوء العذاب) كالإذلال
● وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر
غرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها
إلى المجوس حتى بعث النبي ﷺ ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر
(إن ربك لسريع العقاب) يعاقبهم في الدنيا (وإنه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن منهم (وقطعناهم) ١٦٨
● أى فرقنا بني إسرائيل (في الأرض) وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث لا تحلوا ناحية منها
● منهم تكملة لأدبارهم حتى لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى (أُمَمًا) إما مفعول ثانٍ لقطعنا أو حال من
● مفعوله (منهم الصالحون) صفة لأما أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم (ومنهم
● دون ذلك) أى ناس دون ذلك الوصف أى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

٧ الأعراف

وَالَّذِينَ يُبْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

٧ الأعراف

- ١٦٩ بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلمهم يرجعون) عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي (خلف من بعدهم) أي من بعد المذكورين (خلف) أي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ (ورثوا الكتاب) أي التوراة من أسلافهم يقرءونها ويقفون على ما فيها (يأخذون عرض هذا الأدنى) استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم إياه أي يأخذون حطام هذا الشيء الأدنى أي الدنيا وهو من الأدنى أو الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من ولو ورثوا (ويقولون سيغفر لنا) ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة
- تحتمل العطف والحالية والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة والحال أنهم مصرون على الذنب عائدون إلى مثله
- غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق الوارد في الكتاب (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم
- القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على أنها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه)
- عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) ما فعل هؤلاء (أفلا تعقلون) فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى للمؤدى إلى العقاب بالنعم المخلد
- وقرئ: بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون في أمور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم أمة محمد ﷺ وقرئ: يمسكون من الإمساك وقرئ: تمسكوا واستمسكوا موافقاً لقوله تعالى (وأقاموا الصلاة) ولعل
- التغيير في المشهورة للدلالة على أن التمسك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف إقامة الصلاة فإنها مختصة بأوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لاناقتها عليها ومحل الموصول إما الجر نسقاً على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله وإما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (إننا لنضيع أجر المصلحين) والرابط إما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير أجر المصلحين منهم وإما الألف واللام كما هو رأي الكوفيين فإنه في حكم مصلحهم كما في قوله تعالى فإن الجنة

وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آيِّنِكُمْ بَقْوَةً وَادَّكُرُوا مَا
فِيهِ حَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

٧ الأعراف

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

٧ الأعراف

- هي المأوى أى ما واهم وقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب أى أبوابها وإما العموم فى مصلحين فإنه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على أحد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون أو مثابون وقوله تعالى إنا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله (وإذ تقنا الجبل فوقهم) أى قلعهنا ١٧١
- من مكانه ورفعه عليهم (كأنه ظلة) أى سقيفة وهى كل ما أظلك (وظنوا) أى تيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت فى الجوى لأنهم كانوا يوعدون به وإطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم إن قبلتم ما فيها فبها وإلا ليقعن عليكم (خذوا ما آتيناكم) أى رقلنا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة على تحمل مشاقه ●
 - وهو حال من الواو (وادكروا ما فيه) بالعمل ولا تتركوه كالمسنى (لعلكم تتقون) بذلك قبائح الأعمال ●
 - وردائل الأخلاق أوراجين أن تنتظموا فى سلك المتقين (وإذ أخذ ربك) منصوب بمضمر معطوف ١٧٢
 - على ما انتصب به إذ تقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بدت كير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه ثم الاحتجاج عليهم بتد كير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تد كير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مراراً أى واذكر لهم أخذ ربك (من بنى آدم) المراد بهم الذين ولد لهم كانتاً من كان نسل بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الأسباب كالعقم وعدم الزوج والموت صغير أو إشاراً الأخذ على الإخراج للإيدان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن الاجتهاد والاصطفاء وهو السبب فى إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتى وإضافته إلى ضميره ﷺ للتشريف وقوله تعالى (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم ●
 - ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لا بدتانه على البيان بعد الإبهام والتفصيل غب الإجمال وتنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم فى أصلاب الآباء ولم يستودعوا فى أرحام الأمهات وقوله تعالى (ذريتهم) ●
 - مفعول أخذ آخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع إليه ولمراعاة أصالته ومنشئته ولما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر وقرىء ذرياتهم والمراد بهم أولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ اندارجاً أولياً كما اندرج أسلافهم فى بنى آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفاً وخلفاً مع أن ما أريد بيانه من بديع صنع الله تعالى عز وجل شامل لكل كافة محل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل (وأشهدهم على أنفسهم) أى أشهد كل واحدة من أولئك الذريات المأخوذ من ●

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ٧ الأعراف

- ظهور آباؤهم على نفسها لا على غيرها تقرير ألهم ربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من أحكامها وقوله تعالى (ألسنت بربكم) على إرادة القول أى قائلا ألسنت بربكم ومالك أمركم ومريكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل فى شأن من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فإذا قالوا
- حينئذ قيل قالوا (بلى شهدنا) أى على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لأرب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقهم تعالى إياهم جميعاً فى مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والأنفس المؤدية إلى التوحيد والإسلام كما ينطق به قوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئته المنتزعة من تعريضه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل تمكيناً تاماً ومن تمكينهم منها تمكيناً كاملاً وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تعلم أصلاً من غير أن يكون هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها والأرض اثنيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله تعالى (أن تقولوا) بالناء على تلوين الخطاب
- وصرفه عن رسول الله ﷺ إلى معاصريه من اليهود تشديداً فى الإلزام أو إليهم وإلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث إنهم مخاطبون بقوله تعالى ألسنت بربكم فإنه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء على أن الضمير للذرية وأباً ما كان فهو مفعول له لما قبله من الأخذ والإشهاد أى فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا أو لتلا تقولوا أيها الكفرة أو يقولوا هم (يوم القيامة) عند ظهور الأمر (إنا كنا عن هذا)
- عن وحدانية الربوبية وأحكامها (غافلين) لم تنبه عليه فإنهم حيث جبلوا على ما ذكر من التيهو التام لتحقيق الحق والقوة القرينة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك إذ لا سبيل لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى (أو تقولوا إنما أشرك آبائنا) عطف على تقولوا
- وأولمنع الخلودون الجمع أى هم اخترعوا الإشراك وهم سنوه (من قبل) أى من قبل زماننا (وكننا) نحن (ذرية من بعدهم) لانهتدى إلى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل (أفتهلكننا بما فعل المبطلون)
- من آباؤنا المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستعداد بالرأى أو أتواخذنا فتهلكنا الخ فإن ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا أيضاً فإن التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها عما لا مساغ له أصلاً هذا وقد حملت هذه المقالة على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألسنت بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وقدر روى عن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة

٧ الأعراف

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ٧ الأعراف

وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه الصلاة والسلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبناءه الصليبية ومن ظهرهم أبناءهم الصليبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الأصلي ظهره عليه الصلاة والسلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين إجمالاً من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب إخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله ﷺ وبيان عدم إقادة الاعتذار بإسناد الإشراف إلى آباءهم اقتضى الحال نسبة إخراج كل واحد منهم إلى ظهر أبيهم من غير تعرض لإخراج الأبناء الصليبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعاً وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضى الله تعالى عنه ليس بياناً لعدمه ولا مستلزماً له وأما ما قالوا من أن أخذ الميثاق لإسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ومعلوم أنه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف إذ لا فرد من أفراد البشر يذكر ذلك فردود لكن لا بما قيل من أن الله عز وجل قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسوله فيما أخبروا به فن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس مفعولاً له لقوله تعالى وأشهدهم وما يفرغ عليه من قولهم بل شهدنا حتى يجب كون ذلك الإشهاد والشهادة محفوظاً لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيانه كراهة أن تقولوا أو لثلاثا تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة إنا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف وإلا لعلمنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور وأما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الأمر المضمر العامل في إذ أخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق لما أخذ منهم فيما مضى لثلاثا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فأما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في أن تقولوا ولا محذور أصلاً إذ المعنى شهدنا قولكم هذا لثلاثا تقولوا يوم القيامة الخ لا نأزركم ونكذبكم حينئذ (وكذلك) إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للإيدان بملو ١٧٤ شأن المشار إليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما أفاده اسم الإشارة من التفخامة والتقديم على الفعل لإقادة القصر ومحلّه النصب على المصدرية أى ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة (نفسل الآيات) المذكورة لا غير ذلك (ولعلمهم يرجعون) وليرجعوا عما هم عليه من الإصرار على الباطل وتقليد الآباء فعل التفصيل المذكور قالوا وإن ابتدئنا ويجوز أن تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل أى وكذلك نفسل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ (واتل عليهم) عطف ١٧٥

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَّكَهْ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

٧ الأعراف

- على المضمير العامل في إذا أخذ وارد على نمطه في الآباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى أى
- وائل على اليهود (نبا الذى آتينا آياتنا) أى خبره الذى له شأن وخطره هو أحد علماء بنى إسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو أمية بن أبى الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي ﷺ حسده وكفر به والأول هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم (فانسلخ منها) أى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر لها بباله أصلا أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره وأيا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبىء عن اتصال المحيط بالمحاط
 - خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما أبدا للإبذان بكال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال (فاتبعه الشيطان) أى تبعه حتى لحقه وأدركه فصار قريبا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح
 - بأنه أشد من الشيطان غواية أو أتبعه خطواته (فكان من الغاوين) فصار من زمرة الضالين الراشخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين وروى أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده أن التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وإنما عذب به بنو إسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة (ولو شئنا) كلام مستأنف مسوق لبيان مناسبات ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوى الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة
 - أى ولو شئنا رفعه (لرفعناه) أى إلى المنازل العالية للأبرار العالمين بتلك الآيات العالمين بموجها لکن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلا فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الجزية بالأفعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدى إلى الرفع بصرف اختياره إلى تحصيله
 - كما ينبىء عنه قوله تعالى (بها) أى بسبب تلك الآيات بأن عمل بموجها فإن اختياره وإن لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البته حسب جريان العادة الإلهية وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أسند ما يؤدى إلى نقيض التالى إليه حيث
 - قيل (ولكنه أخلد إلى الأرض) مع أن الإخلاد إليها أيضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره إليه إلا بخلقته تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التى هى أقوى أسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على إشعار المذكور بالمطوى كما في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد

- لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للإيذان بأن الرفع مرادله تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع أفعاله ومبادئها من نعمه تعالى وتفضلاته وإن نقيضه إنما أصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالإرادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السرفى جريان السنة القرآنية على إسناد الخير إليه تعالى وإضافة الشر إلى الغير كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره والإخلاص إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان به والمراد بالأرض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه أثر الدنيا الدنية على المنازل السنية أو الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة (واتبع هواه) معرضاً عن تلك الآيات الجليلة فأنحط وأبلغ انحطاطاً ●
- وارتد أسفل سافلين وإلى ذلك أشير بقوله تعالى (فتله كمثل الكلب) لما أنه أخس الحيوانات وأسفلها ●
- وقد مثل حاله بأخس أحواله وأذلها حيث قيل (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أي لحاله التي هي مثل في السوء كصفته في أرذل أحواله وهي حالة دوام اللهث به في حالي التعب والراحة فكأنه قيل قتردى إلى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وإثارت الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعل الشرط لكل أحد ممن له حظ من الخطاب فإنه أدخل في إشاعة فظاعة حاله واللهث إدلاج اللسان بالتنفس الشديد أي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالظرد العنيف أو تركته على حاله فإنه في الكلاب طبع لا تقدر على نفث الهواء المتسخ وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فإنها لا تحتاج إلى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء والشرطية مع أخذتها تفسير لما بهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الإعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون إثر قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل نصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحويلهما إلى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين إليه في مثل قوله تعالى أنذرهم أم لم تنذرهم كأنه قيل لا هنأ في الحالتين وأياً ما كان فالأظهر أنه تشبيه للهيئة المنتزعة عما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الأحوال بالهيئة المنتزعة عما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب إلى أن هلك (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الحالة الخسيسة ●
- منسوبة إلى الكلب أو إلى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة أي ذلك المثل السيئ (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعوت النبي ﷺ وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وآنسوا من حكم التوراة (فأقصص القصص) القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي إذا تحقق أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فأقصصه عليهم حسبما أوحى إليك (لعلهم يتفكرون) فيقفون على جليلة الحال وينزجرون ●

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ٧ الأعراف

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ٧ الأعراف

- ١٧٧ عمام عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون إيقاناً بك والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير المخاطب أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص راجعاً لتفكرهم أي أو رجاء لتفكرهم (ساء مثلاً) استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كمال الكلب أو المنسلخ وساء بمعنى بئس وقاعها مضمرة فيها ومثلاً تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى (القوم الذين كذبوا بآياتنا) وحيث وجب التصديق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير إلى تقدير مضاف إما إليه وهو الظاهر أي ساء مثلاً مثل القوم الخ أو إلى التمييز أي ساء أصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم وإعادة القوم موصوفاً بالموصول مع كفاية الضمير بأن يقال ساء مثلاً مثلهم للإيذان بأن مدار السوء مافي حيز الصلة ولربط قوله تعالى (وأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) به فإنه إما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله بعد قيام الحجة عليها وعليهم بها وبين ظلمهم لأنفسهم خاصة أو منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها وأياً ما كان ففي يظلمون لمح إلى أن تكذبيهم بالآيات متضمن للظلم وأن ذلك أيضاً معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول (من يهد الله فهو المهتدي) لما أمر النبي ﷺ بأن يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثل ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلالة ويهتدوا إلى الحق عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما ينط به خلق الله تعالى إياه كسائر أفعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعاً لكن لا لأن حقيقتها الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل لأنها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الإيصال إليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الإخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقضى به تعريف الخبر فالعنى من يهد الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائناتاً من كان (ومن يضل) بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور (هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران لا غير وإفراد المهتدي نظراً إلى لفظ من وجمع الخاسرين نظراً إلى معناها للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ٧ الأعراف

- طرق الضلال (ولقد ذرأنا) كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أى خلقنا (لجهم) أى ١٧٩ لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى (كثير) أى خلقاً كثيراً مع كونه مفعولاً به لما فى توابعه من نوع طول يؤدى توسطه بينهما وتأخيرها عنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى (من الجن والإنس) متعلق بمحذوف هو صفة لكثيراً أى كانتا منهما وتقديم الجن لأنهم أعرق من الإنس فى الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر عدداً وأقدم خلقاً والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدى إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف ينشيمهم من الآيات والنذر فهذا الاعتبار جعل خلقهم مغياها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى للعبادة وتمسكهم التام منها جعل خلقهم مغياها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى (لهم قلوب) فى محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيراً وقوله تعالى (لا يفقهون بها) فى محل الرفع على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيدته تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكاله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكال الإغراق فى القساوة فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأساً وكذا الحال فى أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أى لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئاً مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أولاً وتخصيصه بذلك محل بالإفصاح عن كنه حالهم (ولهم أعين لا يبصرون بها) الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقل من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الأنعام أى لا يبصرون بها شيئاً من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجاً أولاً (ولهم آذان لا يسمعون بها) أى شيئاً من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولاً أولاً وإعادة الخبر فى الجنتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفى إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكال رسوخهم فى الجهل والغواية مالا يخفى (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فى الضلال أى أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) أى فى انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو فى أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم أضل) فإنها تدرك مامن شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد فى جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

٧ الأعراف

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

٧ الأعراف

- كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه
- وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أولئك) المنعوتون بما مر من مثلية الأنعام والشرية منها (هم الغافلون) الكاملون في الغفلة المستحقون لأن يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وأنهم لا يعرفون من شئون الله عز وجل ولا من شئون ما سواه شيئاً فيشركون به سبحانه وليس كمثل شيء.
 - ١٨٠ وهو السميع البصير أصنامهم التي هي من أخس مخلوقاته تعالى (ولله الأسماء الحسنى) تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع الخلقين بذلك الغافلين عنه سبحانه عما يليق به من الأمور ومالا يليق به إثر بيان غفلتهم التامة وضلاتهم الطامة والحسنى تأييداً لأحسن أى الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنباتها عن أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أى فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم) الإلحاد والحد الميل والانحراف يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي أى يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لا توقف فيه أو بما يؤهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا بنى ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسمائه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال يلحدون فيها وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب أيضاً وبالأسماء أسمائه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع أسمائه الحسنى واجتنبوا الإخراج بعضها من البين وإما بأن يطلقوها على غيره تعالى كما سمو أصنامهم آلهة وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا اللات من الله تعالى والعزى من العزيز فالمراد بالأسماء أسمائه تعالى حقيقة كما في الوجه الثانى والإظهار في موقع الإضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للإيذان بأن إلحادهم في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الإعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقباً لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) فإنه استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة والإعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبأى بإلحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لأنه سينزل بهم عقوبته وتنشفون بذلك عن قريب وأما على الوجهين الأولين فالمعنى اجتنبوا إلحادكم كيلاً يصيبكم ما أصابهم فإنه سينزل بهم عقوبة إلحادكم (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) بيان إجمالى لحال

٧ الأعراف

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَعَايَتَنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

٧ الأعراف

وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ إما باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ أى وبعض من خلقنا أو وبعض من خلقنا أمة أى طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق أو يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة والحق يحكون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجوزون فيها. عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام إن من أمي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى وروى لا تزال من أمي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله وروى لا تزال من أمي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الإجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعمتهم هداية الناس للإيمان بأن اهتداءهم في أنفسهم أمر محقق غنى عن التصريح به (والذين كذبوا بآياتنا) شروع في تحقيق الحق الذي به يهدى الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس ١٨٢ على الاهتداء به على وجه الزهيب ومحل الموصول الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لثربها واستعظام الإقدام على تكذيبها أى والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصدق العدل (سنستدرجهم) أى نستندبهم البتة إلى الهلاك شيئاً فشيئاً ● والاستدراج استفعال من درج إما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامة وإما بمعنى مشى مشياً ضعيفاً وإما بمعنى طوى والاول هو الأنسب بالمعنى المراد الذي هو النقل إلى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال إلى حال من الأحوال الملائمة للنقل الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترقى في مراقب منافعه مع أنه في الحقيقة ترد في مآوى مصارعه فاستدراجه سبحانه إياهم أن يواتر عليهم النعم مع انهما كم في الغي فيحسبوا أنها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطراً وطغياناً لكن لا على أن المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي إلى أن يحق عليهم كفة العذاب على أفطع حال وأشنعها والاول وسيلة إليه وقوله تعالى (من حيث لا يعلمون) متعلق بمضمر وقع صفة ● لمصدر الفعل المذكور أى سنستدرجهم استدراجاً كأننا من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثر من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم (وأمل لهم) عطف على سنستدرجهم غير ١٨٣ داخل في حكم السين لما أن الإملاء الذي هو عبارة عن الإمهال والإطالة ليس من الأمور التدرجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعل يحصل دفعة وإنما الحاصل بطريق التدرج آثاره

وأحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان النبي عن مزيد الاعتناء
بمضمون الكلام لا بقنائه على تجديد القصد والعزيمة وأما إن ذلك للإشعار بأنه بمحض التقدير الإلهي
والاستدراج بتوسط المدبرات فبناه دلاله نون العظمة على الشركة وأن ذلك والإلا حترز عن إيرادها في
قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم الآية بل إنما إيرادها في أمثال
● هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء (إن كيدى متين) تقرير للوعيد وتأكيده له أي قوى
لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به إما الاستدراج والإملاء مع تبيخهما التي هي الأخذ الشديد على غرة
فتسميته كيداً لما أن ظاهره لطف وباطنه قهراً وإما نفس ذلك الأخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك
وأما أن حقيقة الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه فيما لا تعويل عليه
مع عدم مناسبته للقيام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور ختماً (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من
١٨٤ جنة) كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكيرهم في شأنه ﷺ وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما
أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو لللطف على مقدر
يستدعيه سباق النظم للكريم وسياقه وما إما استفهامية إنكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم
وإما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقيق والجملة معلقة لفعل التفكير لكونه من أفعال القلوب ومحالها على الوجهين النصب على
نزع الجار أي أكذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما كانوا بصاحبهم الذي هو أعظم الأمة
المهادية بالحق وعليه أنزلت تلك الآيات أوفى أنه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤدبهم التفكير في
ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند
قوله تعالى أولم يتفكروا أي أكذبوا بها ولم يفعلوا التفكير ثم ابتدئ فقيل أي شيء بصاحبهم من جنة
ما على طريقة الإنكار والتعجيب والتسكيت أو قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم
للإيدان بأن طول مصاحبتهم له ﷺ بما يطلعهم على نزاهته ﷺ عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للتكثير
وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه ﷺ مع وضوح استحالة ثبوته له ﷺ لما أن التكلم بما هو خارق
لقضية العقول والعادات لا يصدر إلا عن بهمس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى
أو عن له تأييد إلهي يخبر به عن الأمور الغيبية وإذ ليس به ﷺ شائبة الأول تعين أنه ﷺ مؤيد من عند
الله تعالى وقيل إنه ﷺ علا الصفا لئلا يحمل بدعوق ريشاً نخذاً نخذاً يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم إن
صاحبكم هذا مجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت فالنصر يحج بنفي الجنون حينئذ الرد على عظيمتهم الشنعاء
● والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى (إن هو
إلا نذير مبين) جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله ﷺ على منهاج قوله تعالى إن هذا إلا ملك
كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشراً أي ما هو ﷺ إلا مبالغ في الإنذار مظهر له غاية الإظهار إبراز لكمال الرأفة

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

٧ الأعراف

- ومبالغة في الأعداء وقوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) استئناف آخر مسوق ١٨٥
- للإنكار والتوبيخ بإخلاصهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر مانع عليهم إخلاصهم بالتفكير في شأنه ﷺ والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور أو على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم أي أكذبوا بها أو ألم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة (وما خلق الله) أي وفيما خلق فيهما على أنه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما ●
- لكمال ظهور عظم الملك فيهما أو وفي ملكوت ما خلق على أنه عطف على السموات والأرض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى (من شيء) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بمجالات المصنوعات ●
- دون دقائقها والمانع أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحديته تعالى وبسائر شئونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فإن كل فرد من أفراد الأكوان مما عزوهان دليل لأمح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) عطف على ملكوت وأن مخففة من أن واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو أن يكون واسم يكون أيضاً ضمير الشأن والخبر قد اقترب أجلهم والمعنى أو لم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم وقد جوز أن يكون اسم يكون أجلهم وخبرها قد اقترب على أنها جملة من فعل وفاعل هو ضمير أجلهم لتقدمه حكماً وأياً ما كان فمناط الإنكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل أي لعلمهم بموتون عما قريب فالحل لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز أن يكون الأجل عبارة عن الساعة والإضافة إلى ضميرهم للملابستهم لها من جهة إنكارهم لها وبجحهم عنها وقوله تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون) قطع لاحتمال إيمانهم رأساً ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر ●
- من تكذيبهم بالآيات وإخلاصهم بالتفكير والنظر والبلاء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآناً أو بتأويلها بالمذكور وإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة والمعنى أكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من أحواله ﷺ وأحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيئات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو إنكار وتبكيك لهم مترتب على إخلاصهم بالمسارعة إلى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ٧ الأعراف

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلْتَ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ٧ الأعراف

- فألهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق
منه يريدون أن يؤمنوا وقيل الضمير لأجلهم والمعنى فبأى حديث بعد انقضاء أجلهم يؤمنون وقيل
للرسول ﷺ على حذف مضاف أى فبأى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو أصدق الناس وقوله تعالى
١٨٦ (مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ) استئناف مقرر لما قبله منبىء عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى (ويذرهم
في طغيانهم) بالياء والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم وقرىء بنون العظمة على طريقة الالتفات أى
ونحن نذرهم وقرىء بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادى له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم
● وقد روى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ وقوله تعالى (يعمهمون) أى يترددون ويتحيرون
حال من مقول يذرهم وتوحيد الضمير في حين النفي نظر إلى لفظ من وجمعه في حين الإثبات نظر إلى
١٨٧ مدناها للتخصيص على شمول النفي والإثبات للكل (يسألونك عن الساعة) استئناف مسوق لبيان بعض
أحكام ضلالهم وطغيانهم أى عن القيامة وهى من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة
ما فيها من الحساب أو لأنها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل إن قوماً من اليهود قالوا يا محمد
أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإننا نعلم متى هى وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر
● بعلمها وقيل السائلون قریش وقوله تعالى (أيان مرساها) بفتح الهمزة وقد قرىء بكسر ها وهو ظرف
زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضى بخلاف متى حيث يليها كلاهما
قيل اشتقاقه من أى فعلان منه لأن معناه أى وقت وهو من أويت إلى الشيء لأن البعض أو إلى الكل
مقتضاه إليه ومحل الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر أى متى إرساؤها أى إثباتها وتقريرها
فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال
أرساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قبل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق أن محلها نصب بنزع
الخاص لا أنها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها
وفي تعليق السؤال بنفس الساعة أو لا وبوقت وقوعها ثانياً تنبيه على أن المقصد الأصلي من السؤال نفسها
باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونها محلها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن أيضاً
● حيث أضيف العلم بالمطلوب بالسؤال إلى ضميرها فأخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل (قل إنما علمها)
● أى علمها بالاعتبار المذكور (عند ربى) ولم يقل إنما علم وقت إرسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حل

- النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ للإيهان بأن توفيقه ﷺ للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة أنه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به أحداً من ملك مقرب أو نبي مرسل وقوله تعالى (لا يجليها لوقتها إلا هو) يبان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها وإقناط كل من إظهار أمرها بطريق الإخبار من جهته تعالى أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية إياه فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الذي تسألونني عنه إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره لهم لكن لا بأن لا يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المستول بل بأن يقيمها فيشاهدوها عياناً كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للإيهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها أي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قبل لا يجليها إلا هو في وقتها إلا أنه قدم على الاستثناء للتنبيه من أول الأمر على أن تجليتها ليست بطريق الإخبار بوقتها بل بإظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى (ثقلت في السموات والأرض) استئناف ● كما قبله مقرر لمضمون ما قبله أي كبرت وشقت على أهلها من الملائكة والتقلين كل منهم أمره خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائد ما وأهوالها وقيل ثقلت فيهما إذ لا يطيقها منهما وما فيها شيء أصلاً والأول هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى (لا تأتیکم إلا بغتة) فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء ● أي لا تأتیکم إلا فجأة على غفلة كما قال ﷺ إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) ● استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله ﷺ بناء على زعمهم أنه ﷺ عالم بالمستول عنه أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة إثر بيان خطئهم في أصل السؤال بأعلام شأن المستول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جرى بها بياناً لما يدعوم إلى السؤال على زعمهم وإشعاراً بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبهاً حالك عندم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم عليه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه إحقاق الشارب واحتفاء البقل أي استقصاه والإحقاق أي الإلحاف فيها وقيل عن متعلقة يسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة أي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فإن قريشاً قالوا له ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تمنحني بهم فتخصمهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي أمرها عن غيرهم فحفي تخفئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال منها تحبه مع أنك كارها لها أنه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه (قل إنما علمها عند الله) أمر ﷺ بإعادة الجواب الأول تأكيداً للحكم وتقريراً له وإشعاراً بعلمته على الطريقة البرهانية بإيراد اسم الغلت المنبئة عن

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾
 ٧ الأعراف
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا قَرَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَاكَ اللَّهُ رَبَّهُمَا لِيَنزِلَنَّ صَالِحًا لِّكُتُبِنَا مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿١٨٩﴾ ٧ الأعراف

- استنباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونهارأساً فلا يعلمون شيئاً بما ذكر قطعاً وبعضهم يعلمون أنها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلاً وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة إلى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جليلة الحال من المؤمنين وأما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى (قل لا أملك ١٨٨ لنفسي نفعاً ولا ضرراً) شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها لإثبات عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه ^{مستثنى} عن علمها وإعادة الأمر لإظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبية على استقلاله ومقارنته للأول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضرر لإثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام إما متعلق بأملك أو محذوف وقع حالا من نفعاً أي لا أقدر لأجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضرر ما (إلا ما شاء الله) أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه
- ويقدرني عليه أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز (ولو كنت أعلم الغيب) أي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الأشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية
- ومن المباينات المستتعبة للمنافعة والمدافعة (لا استكثرت من الخير) أي لحصلت كثيراً من الخير الذي
- ينط تحصيله بالأفعال الاختيارية للبشر بترتيب أسبابه ودفع موافقه (وما مسني السوء) أي السوء الذي
- يمكن النفس عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فإن منه مالا مدفع له (إن أنا إلا نذير وبشير) أي ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة شأني حياة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدينية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إيهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما أن المقام مقام الإنذار
- وقوله تعالى (لقوم يؤمنون) إما متعلق بهما جميعاً لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة وإما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقيين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان (هو الذي خلقكم) استئناف سبق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراتهم على الإشراك بتذكير مبادي ١٨٩

- أحوالهم المتنافية له وإيقاع الموصول خبراً لتفخيم شأن المبتدأ أى هو ذلك العظيم الشأن الذى خلقكم جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه (من نفس واحدة) هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا نوع تفصيل لما أشير إليه فى مطلع السورة الكريمة إشارة إجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته (وجعل) عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا ضمير فى تقدمه عليه وجوداً لما أن الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود (منها) أى من جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا أو من جسدها لما يروى أنه تعالى خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والاول هو الأنسب إذا الجنسية هى المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل إما بمعنى التفسير فقوله تعالى (زوجها) مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم وإما بمعنى الإنشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى (ليسكن إليها) علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى أى ليستأنس بها ويطمنن إليها اطمئناناً مصححاً للزواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى (فلما تغشاها) أى جامعها (حملت حملاً خفيفاً) فى مبادئ الأثر فإنه عند كونه نطفة أو دلقة أو مضغة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذلك خفته الإشارة إلى نعمته تعالى عليهم فى إنشائه تعالى إياهم متدرجين فى أطوار الخلق من العدم إلى الوجود ومن الضعف إلى القوة (فمرت به) أى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المورو وهو المجيء والذهاب أو من المارية فظنت الحمل وارتابت به وأما ما قيل من أن المعنى حملت حملاً خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقله فمرت به أى فضت به إلى ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق فيرده قوله تعالى (فلما أنقلت) إذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلاً للرخفة بالمعنى المذكور وإنما يقابلها الكرب الذى يعترى بعضهم من أول الحمل إلى آخره دون بعض أصلاً وقرئ أنقلت على البناء للفعول أى أنقلها حملها (دعوا الله) أى آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما أمر لم يمهدها ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا إليه عز وجل وقوله تعالى (ربهما) أى مالك أمرهما الحقيق بأن يخص به الدعاء إشارة إلى أنهما قد صدرا به دعاهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تمويلاً على شهادة الجملة القسمية به أى دعوا الله تعالى أن يؤتيهما صالحاً ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالوا أو قائلين (لئن آتيتنا صالحاً) أى ولداً من جنسنا سوا (لنكونن) نحن ومن يناسل من ذريتنا (من الشاكرين) الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما أنهما قد علمتا أن ما علقا به دعاهما أنموذج لسائر أفراد الجنس ومعيار لها ذاتاً وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كأنهما قالوا لئن آتيتنا ذريتنا أولاداً صالحاً وقيل إن ضمير آتيتنا أيضاً لهما ولكل من يناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر وأنت خير بأن نظم السك

قُلْنَا إِنَّهُمَا صَالِحَا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ٧ الأعراف

في سلك الدعاء أصالة ياباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ماها بصدده وأما جعل ضمير لتكوين لكل فلا محذور فيه لأن توسيع دائرة الشكر غير محال بالاعتناء المذكور بل مؤكدا له وأيا ما كان فعنى قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) لما آتاهما ما طلباه أصالة واستنباحا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى (جعلنا) أي جعل أولادهما (له) تعالى (شركاء) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثقة

● بوضوح الأمر وتعويدا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى (فيما آتاهما) أي فيما آتى أولادهما من الأولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص إشرافهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع أن إشرافهم بالعبادة أغلظ منه جناية وأقدم وقوعا لما أن من اتق النظام الكريم لبيان إخلاصهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح وأول كفرهم في حقه إنما هو أنه حينئذ يباه بما ذكره وقرىء شركاء أي شركة أو ذوى شركة أي شركاء إن قيل ما ذكر من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه ممة إنما يصادر إليه فيما يكون للفعل ملازمة ما بالمضاف إليه أيضاً سرايته إليه حقيقة أو حكما وتتضمن نسبته إليه صورة مزينة يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية فإن الإنجاز منهم مع أن تعلقه حقيقة ليس إلا بأسلاف اليهود قد نسب إلى أخلافهم بحكم سرايته إليهم توفية إقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون أنبياء الله الآية فإن القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد أسند إليهم بحكم رضاهم به أداء لحق مقام التوبيخ والتبكيك ولا ريب في أنهما عليهما الصلاة والسلام بريئان من سراية الجعل المذكور إليهما بوجه من الوجوه فإياه إسناده إليهما صورة قلنا وجهه الإيدان بتركهما الأولى حيث أقدمنا على نظم أولادهما في سلك أنفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما وأقسما على ذلك قبل تعرف أحواصهم ببيان أن إخلاصهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكداً باليمين بمنزلة إخلاصهما بالذات في استيجاب الخنث والخلف مع ما فيه من الإشعار بتضاعف جانيتهما ببيان أنهم بمعلمهم المذكور أو قوعهما في ورطة الخنث والخلف وجعلوا كأنهما بإشراف بالذات فجعلوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام (فتعالى الله عما يشركون) تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من أحكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية إلى التوحيد وصيغة الجمع لما أشير إليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عن ذلك وما في عما إما مصدرية أي عن إشرافهم أو موصولة أو موصوفة أي عما يشركونه به سبحانه والمراد بإشرافهم إما تسميتهم المذكورة أو مطلق إشرافهم المنتظم لها انتظاماً أولياً وقرىء تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قریش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فإنهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولداً صالحاً فأعطاهما أربعة بنين فسميهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وأما ما قيل من أنه لما حملت حواء أنماها لإبليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب أو خنزير وما يدريك من أين يخرج تخافت من

٧ الأعراف

أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾

٧ الأعراف

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَحْمَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَذُنُكُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ٧ الأعراف

- ذلك فذكرته لادم فأهمهما ذلك ثم عاد إليها وقال إني من الله تعالى بمنزلة فإن دعوته أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبدا للحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته سمته عبدا للحرث فيما لا تعويل عليه . كيف لا وأنه ﷺ كان عالما في علم الأسما والمسميات فعدم عليه بإبليس واسمه واتباعه إياه في مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (أيشركون) استئناف مسوق ١٩١ لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشرائهم على الإطلاق وإبطاله بالكلية ببيان شأن ما أشركوه به سبحانه وتفصيل أحواله القاضية بإبطال ما اعتقدوه في حقه أي أيشركون به تعالى (مالا يخلق شيئا) أي لا يقدر ● على أن يخلق شيئا من الأشياء أصلا ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعباده لا محالة وقوله تعالى (وهم يخلقون) عطف على لا يخلق وإيراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما إلى ما المعبر بها عن الأصنام إنما هو بحسب اعتقادهم فيها وإجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقة بعد وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها ما اعتقدوه في حقها وإظهار غاية جهلهم فإن إشرائهم لا يقدر على خلق شيء ما يخالفه وخالق جميع الأشياء لا يمكن أن يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للإيدان بتعيينه والاستغناء عن ذكره (ولا يستطيعون لهم) أي لعبدهم إذا ١٩٢ حزمهم أمرهم وخطبهم (نصرا) أي نصرا ما يجلب منفعة أو دفع مضرة (ولا أنفسهم ينصرون) ● إذا عتراه من حوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم وإيراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن إيصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية إلى عبدهم وأنفسهم بعد بيان عجزهم عن إيصال منفعة الوجود إليهم وإلى أنفسهم خلا أنهم وصفوا هناك بالمخلوقة لكونهم أهلا لها وهنالم بوصفوا بالمصورية لأنهم ليسوا أهلا لها وقوله تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى) بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي ١٩٣ عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد إلى طريق حصوله من غير أن يحصله الطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات للنبي عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيك أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره (لا يتبعوكم) إلى ● مرادكم وطلبكم وقرىء بالتخفيف وقوله تعالى (سواء عليكم أذعنتموهم أم أنتم صامتون) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتمكم البحث فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجارية وقوله تعالى أم أنتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمتم عدل عنها للبالغة في عدم إفادة الدعاء

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ٧ الأعراف

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ ٧ الأعراف

- بيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أى الإسلام لا يتبعوكم الخ بما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه أصلا على أنه لو كان كذلك لقل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإن استواء الدماء وعدمه إنما هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم قاتلون بفضل الدعوة (إن الذين تدعون من دون الله) تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم أى إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أى عائلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث إنها مملوكة لله عز وجل مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضرر وتبديها بهم في ذلك مع كون معجزها عنهما أظهر وأقوى من معجزهم إنما هو لا اعترافهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما إذ هو الذى يدعوهم إلى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى (فادعواهم فليستجيبوا لكم) تحقيق لمضمون ما قبله بتعجزهم وتبكيهم
- أى فادعواهم فى جلب نفع أو كشف ضرر (إن كنتم صادقين) فى زعمكم أنهم قادرون على ما أتم عاجزون عنه وقوله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها) الخ تبكى لثبوت مؤكدا لما يفيد الأمر التعجيزى
- ١٩٥ من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها حياة وقوى محرركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرّة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التى بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى كل واحدة من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا للتبكي وتثنية للتقريع وإشعارا بأن انتفاء كل واحدة منها يحيا لها كاف فى الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشى بها للإيدان بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال يمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهى ليست بأرجل فى الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح
- الثلاث الباقية وكلية أم فى قوله تعالى (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا) منقطعة وما فيها من الهمة لما مر من التبكي والإلزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكي بعد تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرى يبطشون بضم الطاء وهى لغة فيه والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشى حالهم فى أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)
-

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ٧ الأعراف

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ٧ الأعراف

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ٧ الأعراف

- مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المفاصلة بين الأيدي والأرجل ولأن إغفاء المشي والبطش أظهر والتبكيبت بذلك أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الأذان وأظهر عيناً وأثراً هذا وقد قرئ. إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى عباداً أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألم الخ تقريراً لنفي المماثلة بإثبات القصور والنقصان (قل ادعوا شركاءكم) بعد ما بين أن شركاءهم لا يقدر على شيء ما أصلاً أمر رسول الله ﷺ بأن يناصبهم للحاجة ويكرر عليهم التبكيبت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على (ثم كيّدون) جميعاً أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدر على من مبادئ الكيد والمكر (فلا تنظرون) أي فلا تهملوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي بكم أصلاً (إن ولي الله الذي نزل الكتاب) تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق ١٩٦ انضماماً جلياً ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن ولي هو الله الذي أنزل الكتاب الناطق بأنه ولي وناصرى وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلاً عن نصركم وقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم (والذين ١٩٧ تدعون) أي لعبادتهم (من دونه) تعالى أو تدعونهم الاستعانة بهم على حسب ما أمركم به (لا يستطيعون نصركم) أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور (ولا أنفسهم ينصرون) إذا نابهم نائبة (وإن تدعوهم إلى الهدى) إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود (لا يسمعون) أي دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلاً والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأى العين يشبهون الناظرين إليك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعيناً مركبة بالجواهر المضيئة المتألثة وصوروها بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالحطابات السابقة تنبيهاً على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لا تنسني للكل معاً بل

٧ الأعراف

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

٧ الأعراف

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

٧ الأعراف

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله ﷺ وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا أي وترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله تعالى وإن تدعوا للمؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يلتفتوا إليكم ثم خوطب ﷺ بطريق التجربة بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيهاً على أن ما فيه ﷺ من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين (خذ العفو) بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم مالا يطاق تحمله أمر ﷺ بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير تكبر (وأعرض عن الجاهلين) من غير ممارسة ولا مكافأة قيل لما نزلت سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه بمكارم الأخلاق وروى أنه لما نزلت الآية ٢٠٠ السكرية قال ﷺ كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى (وأما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده أي وإما يحملك من جهته وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه (فاستعذ بالله) فالتجىء إليه تعالى من شره (إنه سميع) يسمع استعاذتك به قولاً (عليم) يعلم تضرعك إليه قلباً في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره وقد جوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه إن لي شيطاناً يعتريني فقيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الفوائت الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه ٢٠١ عليها (إن الذين اتقوا) استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به ﷺ من الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (إذا مسهم طائف من الشيطان) أدنى لمة منه على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف

٧ الأعراف

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِيَّايَ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ

مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

٧ الأعراف

- كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من طاف به الخيال بطيف طيفاً أى ألم وقرىء طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيف من الواوى أو البائى كمين ولين والمراد بالشيطان المجلس ولذلك جمع ضميره فيما سأتى (تذكروا) أى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه (فإذا هم) بسبب ذلك التذكر (مبصرون) مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه (وإخوانهم) أى إخوان ٢٠٢ الشيطان وهم المنهمكون فى الغى المعرضون عن وقاية أنفسهم عن المضار (يمدونهم فى الغى) أى يكون الشياطين مدداً لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرىء يمدونهم من الإمداد ويمنادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) أى لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أى لا يرفعون عن الغى ولا يقصرون كالمعتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على من هو له (وإذا لم تأتكم آية) من القرآن عند تراخى الوحي أو آية مما اقترخوه (قالوا لولا اجتبيتها) اجتبت الشيء بمعنى جباه لنفسه أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقولان يرون بذلك أن سائر الآيات أيضاً كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء (قل) رداً عليهم (إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي) من غير أن يكون لى دخل ما فى ذلك أصلاً على معنى تخصيص حاله ﷺ باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى مقابله الذى كلفوه إياه ﷺ لا على معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع فى موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى منه تعالى وفى التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبلغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشریفه ﷺ والتنبيه على تأييده ما لا يخفى (هذا) إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلى (بصائر من ربكم) بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتترك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لغنائمتها أى بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تعالى (وهدى ورحمة) عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) للإيدان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالماؤمنين به إذ هم المقتدون من أنواره والمفتمنون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به .

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
 ٧ الأعراف
 وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
 الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
 ٧ الأعراف

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ٧ الأعراف

- ٢٠٤ (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شئونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول (وأنصتوا) أي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع (لعلكم ترحمون) أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أنه في استماع المؤتم وقد روى أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه خلفه فزلت وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية
- ٢٠٥ إما من تمام القول للمأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب إلى رسول الله ﷺ وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة (تضرعاً وخيفة) أي متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) أي ومتكلاً كلاماً دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفسر (بالغدو والآصال) متعلق بذكر أي أذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرىء والإيصال وهو مصدر أصل أي دخل في الأصيل
- ٢٠٦ موافق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى (إن الذين عند ربك) وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قريبهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها حسبما أمروا به (ويسبحونه) أي ينزهونه عن كل مالا يليق بجناب كبريائه (وله يسجدون) أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئاً وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته . عن النبي ﷺ إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فإ النار . وعنه ﷺ من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم عليه السلام شقيعاً له يوم القيامة .

(تم الجزء الثالث ويليهِ الجزء الرابع وأوله سورة الأنفال)

فهرست

الجزء الثالث من تفسير قاضي القضاة أبي السعود

صفحة

٥ - سورة المائدة

- ٢ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .
 ١٤ قوله تعالى : ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل .
 ٢٦ قوله تعالى : واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق .
 ٣٦ قوله تعالى : يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر .
 ٤٧ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .
 ٦٠ قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .

(الجزء السابع)

- ٧١ قوله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .
 ٨٢ قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .
 ٩٣ قوله تعالى : يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتكم .

٦ - سورة الأنعام

- ١٠٤
 ١١٦ قوله تعالى : وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم .
 ١٢٩ قوله تعالى : إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبغثهم الله .
 ١٤٣ قوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .
 ١٥١ قوله تعالى : وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة .
 ١٦٤ قوله تعالى : إن الله قاطق الحب والنوى .

(الجزء الثامن)

- ١٧٤ قوله تعالى : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة .
 ١٨٤ قوله تعالى : لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون .
 ١٩١ قوله تعالى : وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات .
 ١٩٧ قوله تعالى : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا .

٧ - سورة الاعراف

٢٠٩ قوله تعالى : المص .

٢٢٤ قوله تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا .

٢٣٠ قوله تعالى : وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين .

٢٣٧ قوله تعالى : وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

(الجزء التاسع)

٢٤٨ قوله تعالى : قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا .

٢٦٠ قوله تعالى : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون .

٢٦٨ قوله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة .

٢٧٨ قوله تعالى : واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك .

٢٨٩ قوله تعالى : وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

واذكروا ما فيه .

٣٠٢ قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها .

(تم الفهرست)